بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

طالع فيه واشتراه [illegible] الفقير

من معاينة احمد ابو السعد الحلواني

كتاب النوادر السلطانية

والمحاسن اليوسفية

تاليف مولانا [illegible] قاضي القضاة شيخ مشايخ الاسلام بهاء الدين ابي

المحاسن يوسف بن رافع بن تميم [illegible] الاسدي [illegible] اكرم الله ايامه سماع [illegible]

كتاب سيرة الملك الناصر صلاح الدين يوسف

ابن ايوب

مصنف هذا [illegible] قاضي [illegible] ابو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم [illegible]

[illegible]

[illegible] رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم نستعين

الحمد لله الذي من علينا بالاسلام وهدانا للايمان الجاري على احسن
نظام وانعم علينا بشفاعة نبينا عليه السلام وجعل سير الاولين
عبرة لاولي الافهام وتقلبات الاحوال قاضية على كل امر حادث
بالانصرام كيلا يغتر ذو حال حسن ولا يياس من لعبت باحواله
اكف السقام واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له
شهادة تشفي القلوب من لظى الاوام واشهد ان محمدا عبده ورسوله
الذي فتح الهداية ابوابا لج فيها المستفتحون لها بمفاتيح الانقياد
والاستسلام صلى الله عليه وعلى اله صلاة دائمة باقية ببقاء
الايام ن وبعد فاني لما رايت ايام مولانا السلطان الملك
الناصر جامع كلمة الايمان قامع عبدة الصلبان رافع علم العدل
والاحسان صلاح الدنيا والدين سلطان الاسلام والمسلمين منقذ
بيت المقدس من ايدي المشركين خادم الحرمين الشريفين ابي المظفر يوسف
بن ايوب بن شاذي سقى الله ضريحه صوب الرضوان واذاقه في منشر
رحمته حلاوة نتيجة الايمان قد صدقت من اخبار الاولين ما

كذبه الاستبعاد وشهدت بالصحة لما روي من نوادر الكرام
الاجواد وحققت وقعات شجعانها بالكتب ما قدحت فيه الشكوك
من اخبار الشجعان واوضحت العيان من الصبر على المكاره في ذات الله
ما قوي به الايمان وعظمت عجائبها عن ان تحويها خاطر او تجمعها جنان
وجلت نوادرها عن ان تحيط بها لسان وان تنطوي في طرس بيان
وكان مع ذلك من قبيل الاثر الخبير بها احق بها ولا يسع المطلع عليها
الا ان يروي عند اخبارها وانبائها ويثني من لم يشاهدها حق صحتها
رايت من حرمتها ما اختص علي به ابدا ما جمعت من حسناتها ورواياتها كلمة
من محاسن سمعتها وما رايت ان اختصر من ذلك على ما املاه علي العيان او
الخبر الذي يقارب مطلعه درجة العيان وذلك جزء من كل وقليل
من كثير ليستدل بالقليل على الكثير وبالشعاع على المستطيل بعد
المستطير واسميت هذا المختصر بالنوادر السلطانية
والمحاسن اليوسفية وجعلته قسمين احدهما في مولده رحمه الله ونسبه
وخصائصه رحمة الله عليه واوصافه واخلاقه المرضية وشمائله
الزاكية في نظر الشرع الموجود ن والقسم الثاني في تقلبات الاحوال

بوبه تابعه وفتوحه وتواريخ ذلك الى آخر حياته قدس الله
روحه والله المستعان في الصيانة عن هفوات اللسان والقلم
وجريان الخاطر بما يثبت مزلة القدم وهو حسبي ونعم الوكيل

القسم الأول في ذكر مولده رحمة الله عليه وخصائصه
واوصافه وشمائله وخلاله

ذكر مولده رحمة الله عليه

وكان مولده على ما بلغنا من الثقات تتبعوا حتى نبهوا عليه نسبة
مولده على ما اقتضيه صناعة التنجيم في شهور سنة اثنتين وثلثين وخمسمائة
بقلعة تكريت وكان والده ايوب بن شاذي رحمه الله واليا بها وكان
كريما اريحيا حليما حسن الاخلاق مولده بدوين ثم اتفق له الانتقال من تكريت
الى المحروسة الموصل وانتقل ولده المذكور معه واقام بها الى ان ترعرع
وكان والده محترما مقدما هو واخوه اسد الدين شيركوه عند
اتابك زنكي واتفق لوالده الانتقال الى الشام رحمه الله
تعالى واعطي بعلبك واقام بها مدة ونزل ولده المذكور رحمه الله
تعالى الى بعلبك المحروسة واقام في خدمة والده يتربى تحت حجر نعمته ويرتضع

ثدي محاسن اخلاقه حتى بدت منه امارات السعادة ولاحت
عليه لوائح التقدم والسيادة وقدمه الملك العادل نور الدين محمود
بن زنكي رحمه الله وعول عليه ونظر اليه وقربه وخصصه ولم يزل
كلما تقدم قدما يبدو منه اسباب تقتضي تقديمه الى ما هو اعلى
حتى اتفق لعمه اسد الدين رحمه الله الحركة الى المحروسة مصر والنهوض
اليها وسياتي ذكر ذلك مفصلا مبينا في موضعه ان شاء الله تعالى

ذكر ما شاهدناه من مواظبته على القواعد الدينية
وملاحظته للامور الشرعية رحمه الله

ورد في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال بني
الاسلام على خمس شهادة ان لا اله الا الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة
وصوم رمضان والحج الى بيت الله الحرام وكان رحمه الله عليه
حسن العقيدة كثير الذكر لله تعالى قد اخذ عقيدته عن الدليل
بواسطة البحث مع مشايخ اهل العلم واكابر الفقهاء وتفهم من ذلك ما
يحتاج اليه بحيث كان اذا جرى الكلام بين يديه يقول فيه قولا
حسنا وان لم يكن بعبارة الفقهاء فتحصل من ذلك سلامة عقيدته

عن كدر التشبيه غير مارق سهم النظر فيها الى التعطيل والتمويه
جارية على نمط الاستقامة موافقة لقانون النظر الصحيح
مرضية عند اكابر العلما وكان رحمه الله قد جمع له الشيخ
الامام قطب الدين النيسابوري رحمه الله عقيدة تجمع جميع ما يحتاج
اليه في هذا الباب وكان من شدة حرصه عليها يعلمها الصغار
من اولاده حتى ترسخ في اذهانهم من الصغر ورايته وهو ياخذها
عليهم وهم يقروونها من حفظهم بين يديه رحمه الله ن
واما الصلاة فانه كان شديد المواظبة عليها بالجماعة
حتى انه ذكر رحمه الله يوما ان له سنين ما صلى الا جماعة وكان
اذا مرض يستدعي الامام وحده ويكلف نفسه القيام
ويصلي جماعة وكان يواظب على السنن الرواتب وكان له ركعات
يصليها اذا استيقظ بوقت في الليل والا اتى بها قبل صلاة الصبح
وما كان يترك الصلاة ما دام عقله عليه ولقد رايته
قدس الله روحه يصلي في مرضه الذي مات فيه قايما
وما ترك الصلاة الا في الايام الثلثة التي تغيب فيها ذهنه رحمه الله

وكان

وكان اذا ادركته الصلاة وهو ساير نزل وصلى رحمه الله
واما الزكاة فانه مات رحمه الله ولم يحفظ ما تجب
به عليه الزكوة ن واما صدقة النفل فانها
استنفدت جميع ما ملكه من الاموال فانه ملك رحمه الله ما
ملك ومات ولم يخلف في خزانته من الذهب والفضة الا
سبعة واربعين درهما ناصرية وجرما واحدا ذهبا صوريا
ولم يخلف ملكا لا دارا ولا عقارا ولا بستانا ولا قرية
ولا مزرعة ولا شيا من انواع الاملاك رحمه الله عليه ن
واما صوم رمضان فانه كان عليه منه
فوايت بسبب امراض تواترت عليه في رمضانات متعددة
وكان القاضي الفاضل قد تولى ثبت تلك الايام وشرع
رحمه الله في قضا فوايت ذلك بالقدس الشريف
في السنة التي توفي فيها وواظب على الصوم مقدار
زايد على شهر فانه كان عليه فوايت رمضانين شغلته
الامراض وملازمة الجهاد عن قضايها وكان الصوم

لا أرى أني من أجد فالهمه الله الصوم لفضل الثواب وكان
يصوم وأنا أثبت الأيام التي يصومها فإن القاضي كان
غائبا والطبيب يلومه وهو لا يسمع ويقول ما أعلم ما يكون
فكأنه كان ملهما ببراءة ذمته رحمه الله عليه ولم يزل
حتى قضى ما كان عليه

وأما الحج فإنه لم يزل عازما عليه وناويا له سيما
في العام الذي توفي فيه فإنه صمم العزم عليه واستوى الأهب
وعملت الزوادة ولم يبق إلا المسير فاعتاق عن ذلك بسبب
ضيق الوقت وفراغ اليد عما يليق بأمثاله فأخره إلى
العام المستقبل وقضى الله ما قضى وهذا أمر اشترك
في العلم به الخاص والعام وكان رحمه الله يحب سماع القرآن
العظيم حتى أنه كان يستخير إمامه ويشترط أن يكون عالما بعلوم
القرآن العظيم متقنا لحفظه وكان يستقرئ من يحضره في الليل
وهو في برجه الجزوين والثلاثة والأربعة وهو يسمع وكان
يستقرئ في مجلسه العام من جرت عادته بذلك الآية

والعرس

والعرس والزائد على ذلك ولقد اجتاز على صغير بين يدي
أبيه وهو يقرأ القرآن فاستحسن قراءته فقربه وجعل له حظا
من خاص طعامه ووقف عليه وعلى أبيه جزوا من مزرعة وكان
رحمه الله رقيق القلب خاشع الدمعة إذا سمع القرآن خشع قلبه
وتدمع عينه في معظم أوقاته وكان رحمه الله عاشقا بالرغبة في
سماع الحديث ومتى سمع عن شيخ ذي رواية عالية وسماع كثير
فإن كان ممن يحضر عنده استحضره وسمع عليه وأسمع من يحضره
في ذلك المكان من أولاده ومماليكه والمختصين به وكان يأمر الناس
بالجلوس عند سماع الحديث إجلالا له وإن كان ذلك الشيخ
ممن لا يطرق أبواب السلاطين ويتجافى عن الحضور في مجالسهم
سعى إليه وسمع عليه تردد إلى الحافظ الأصفهاني بالإسكندرية
رحمهما الله تعالى وروى عنه أحاديث كثيرة وكان رحمه الله يحب أن يقرأ
الحديث بنفسه وكان يستحضرني في خلوته فيحضر شيئا من الحديث
ويقرأه هو فإذا مر بحديث فيه عبرة رق قلبه ودمعت عينه وكان
رحمه الله كثير التعظيم لشعائر الدين قائلا ببعث الأجسام ونشورها

ومجازاة المحسن بالجنة والمسي بالنار مصدقا بجميع ما وردت به
الشرايع منشرحا بذلك صدره مبغضا للفلاسفة والمعطلة
والدهرية ومن يعاند الشريعة ولقد امر ولده صاحب حلب
الملك الظاهر بقتل شاب نشا كان يقال له السهروردي
قيل عنه انه كان معاندا للشرايع مبطلا وكان قد قبض
عليه ولده المذكور لما بلغه من خبره وعرف السلطان رحمه
الله به فامره بقتله وصلبه اياما فقتله وكان قدس الله
روحه حسن الظن بالله كثير الاعتماد عليه عظيم الانابة
اليه ولقد شاهدت من اثار ذلك ما احكيه وذلك ان الفرنج
خذلهم الله تعالى كانوا نازلين بيت نوبه وهو موضع قريب من
القدس الشريف بينه وبينها بعض مرحله وكان السلطان رحمه
الله بالقدس وقد اقام يزكا على العدو محيطا به وقد سير اليهم
الجواسيس والمخبرين فتواصلت الاخبار بقوة عزمهم على الصعود
الى القدس ومحاصرته وتركيب القتال عليه واشتد خوف
المسلمين بسبب ذلك فاستحضر الامرا وعرفهم ما قد دهم

المسلمين من الشدة وشاورهم في الاقامة بالقدس فاتوا بمجاملة
باطنها غير ظاهرها واصر جميع على انه لا مصلحة في اقامته بنفسه
فانه مخاطرة بالاسلام وذكروا انهم يقيمون هم ويخرج هو
رحمه الله بطايفة من العسكر يكون حول العدو كما كان الحال
بعكا ويكون هو ومن معه بصدد منع ميرتهم والتضييق عليهم
ويكونون هم بصدد حفظ البلد والدفع عنه وانفصل مجلس
المشوره على ذلك وهو مصر على ان يقيم هو بنفسه علما منه انه
ان لم يقم ما اقام احد فلما انصرف الامرا الى بيوتهم جا من عندهم
من اخبر انهم لا يقيمون الا ان يقيم اخوه الملك العادل او احد اولاده
حتى يكون هو الحاكم عليهم والذي ياتمرون بامره فعلم ان هذه اشارة
منهم الى عدم الاقامه وضاق صدره رحمه الله وتقسم فكره واشتد
قلقه ولقد جلست في خدمته في تلك الليله وكانت ليله
الجمعه من اول الليل الى ان قارب الصبح وكان الزمان شتا ليس
معنا ثالث الا الله تعالى ونحن نقسم اقساما ونرتب على كل
قسم مقتضاه حتى اخذني الاشفاق عليه والخوف على مزاجه

فانه كان غلب عليه اليبس فنفعت البدخين باحس
فتحجه لعلي ينام ساعة فقال رحمه الله لعلك حال
النوم لم نهض ناوصلت الى بين واخذت لبعض شاني الاوان
المؤذن وطلع الصبح ولا اصلي معه الصبح رحمه الله في معظم
الوقت فدخلت عليه وهو يمر الما على اطرافه فقال يا
اخذني النوم اصلا فقلت قد علمت فقال من اين فقلت
لاني ما انتبه بما بقي وقت النوم ثم استعلنا بالصلاة وجلسنا
على ما كنا عليه فقلت له رحمه الله قد وقع لي وانتج واظنه
مفيد ان شا الله فقال وما هو فقلت له الاخلاد الى
الله تعالى والاسناد به اليه والاعتماد في كشف هذه
الغمة عليه فقال وكيف نصنع فقلت اليوم الجمعة تغتسل
المولى عند الرواح وتصلي على العادة بالاقصى موضع مسرب
النبي صلى الله عليه وسلم وتقدم المولى الصدقة خفية
خفية على يد من تثق به وتصلي المولى ركعتين بين الاذان والاقامة
وتدعوا الله في سجوده فقد ورد فيه حديث صحيح وتقول

في باطنك الهي قد انقطع اسبابي الارضية في نصرة
دينك فلم يبق الا الاخلاد اليك والاعتصام بحبلك والاعتماد
على فضلك انت حسبي ونعم الوكيل فان الله تعالى اكرم
من ان يخيب قصدك ففعل ذلك كله وصليت الى جانبه
رحمه الله على العادة وصلى الركعتين بين الاذان والاقامة ورايته
ساجدا ودموعه تتقاطر على شيبته ثم على سجادته ولا
اسمع ما يقول فلم ينقضي ذلك اليوم حتى وصلت رقعة من عز الدين
جرديك وكان على اليزك الخبر فيها ان الفرنج مختبطون وقد
ركب اليوم عسكرهم باسره الى الصحرا ووقفوا الى قايم الظهيرة
وعادوا الى خيامهم وفي يوم السبت جات رقعة ثانية تخبر عنهم
مثل ذلك ووصل في اثنا النهار جاسوس اخبر انهم اختلفوا
وذهبت الفرنسيسية الى انهم لا بد لهم من محاصرة المدينة
وذهب الانكتار واتباعه الى انه لا يخاطر بدين النصرانية
ويرميهم في هذا الجبل مع عدم المياه فان السلطان رحمه الله
كان قد افسد جميع ما حول القدس من المياه وانهم خرجوا للمشورة

ومن عادتهم انهم يثبتون دون الحرب على ظهور الخيل وانهم قد
نصوا على عشر انفس منهم وحلوهم فباي شي اشاروا لاحالوهم
ولما كانت نكبة الاسر جا المبشر بخبر انهم دخلوا عابدين
الى جهة الرملة فهذا ما شاهدته من اثار استنابته
ونحمد الله تعالى رحمة الله عليه

ذكر عدله رحمه الله عليه

روى ابو هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الوالي
العادل ظل الله في ارضه ورمحه فمن نصحه في نفسه
او في عباد الله اظله الله تحت عرشه يوم لا ظل الا ظله
ومن خانه في نفسه او في عباد الله خذله الله يوم القيامة ويرفع
للوالي العادل في كل يوم عمل ستين صديقا كلهم عابد مجتهد
لنفسه ولقد كان رحمه الله عادلا رؤوفا رحيما ناصرا
للضعيف على القوي وكان يجلس للعدل في كل يوم اثنين وخميس في
مقام يحضره الفقها والقضاة والعلما ويفتح الباب للمتحاكمين حتى
يصل اليه كل احد من كبير وصغير وعجوز هرمة وشيخ كبير

وكان يفعل ذلك سفرا او حضرا على انه كان في جميع اوقاته قابلا
لما يعرض عليه من القصص كاشفا لما ينهى اليه من المظالم
وكان يجمع القصص في كل يوم ثم يجلس مع الكاتب ساعة اما
في الليل او النهار ويوقع على كل قصة بما اطلق الله على قلبه
وما استغاث اليه احد الا وقف وسمع ظلامته وكشف قضيته
واخذ قصته ولقد رايته رحمه الله وقد استغاث اليه انسان
يقال له ابن زهير من اهل دمشق على تقي الدين ابن اخيه وانفذ
اليه ليحضر في مجلس الحكم فما خلصه الا ان شهد عليه شاهدان
معروفان مقبولا القول انه وكل القاضي ابا القسم امين الدين قاضي
حماه في المخاصمة والمنازعة فحضر الشاهدان واقاما الشهادة
عندي في مجلسه رضي الله عنه بعد دعوى الوكيل الوكالة
الصحيحة وانكار الخصم فلما ثبتت الوكالة امرت ابا القسم بمساواة
الخصم فساواه وكان من خواص جلسا السلطان رحمه الله ثم
جرت المحاكمة بينهما وتوجهت اليمين على تقي الدين وانفصل المجلس
على ذلك وقطعنا عن احضاره دخول الليل وكان تقي الدين من اعز

الناس عليه واعظمهم عندهم والجائر في الحق واعظم من هذه
الحكاية ما بلغني عن عبد الله رحمه الله قضية جرت له مع
افضان بن عامر الخلاطي التاجر وذلك اني كنت يوما في مجلس
الحكم والقدس الشريف اذ دخل علي شيخ حسن تاجر معروف
يسمى عمر الخلاطي معه كتاب حكمي يسأل فتحه فسألته من خصمك
فقال خصمي السلطان وهذا بساط الشرع وقد سمعنا انك لا
تحابي فقلت وفي اي قضية هو خصمك فقال ان سنقر الخلاطي
كان مملوكي ولم يزل على ملكي الى ان مات وكان في يده اموال عظيمة
كلها لي ومات عنها واستولى عليها السلطان وانا مطالبه بها
فقلت له يا شيخ وما الذي اقعدك الى هذه الغاية فقال
الحقوق لا تبطل بالتاخير وهذا الكتاب الحكمي ينطق بانه لم
يزل في ملكي الى ان مات فاخذت الكتاب منه وتصفحت مضمونه
فوجدته يتضمن حلية سنقر الخلاطي وانه قد اشتراه من فلان
التاجر بارجيش في اليوم الفلاني من شهر كذا من سنة كذا
وانه لم يزل في ملكه الى ان شذ عن يده في سنة كذا وما عرف

شهود هذا الكتاب خروجه عن ملكه بوجه ما وتمم الشرط
الى اخره فتعجبت من هذه القضية فقلت للرجل لا يسعني سماع
الدعوى مع وجود الخصم وانا اعرفه واعرفك ما عنده في ذلك
فرضي الرجل بذلك واندفع فلما اتفق المثول بين يديه في بقية ذلك اليوم
عرفته القضية فاستبعد ذلك استبعادا عظيما وقال لم نظرت
في الكتاب فقلت نظرت فيه ورايته متصلا الورود والقبول الى دمشق
وقد كتب عليه كتاب حكمي من دمشق وشهد به على قاضي دمشق شهود
معروفون فقال نبارك نحضر الرجل ونحاكمه ونعمل في القضية بما
يقتضيه الشرع ثم اتفق بعد ذلك جلوسه رضي الله عنه خلوة فقلت
له هذا الخصم يتردد ولا بد ان نسمع دعواه فقال اقم عنا وكيلا
يسمع الدعوى ثم يقيم الشهود شهادتهم واخر فتح الكتاب الى حين حضور
الرجل فها هنا فعلت ذلك ثم حضر الرجل عنده واستدناه رحمه
الله حتى جلس بين يديه وكنت كاتبه ثم انفصل من طراحته
حتى ساواه وقال ان كان لك دعوى فاذكرها فحرر الرجل
الدعوى على معنى ما شرح اولا فاجابه السلطان بان هذا سنقر

كان لولدي ولم يزل على ملكي حتى اعتقته وتوفي وخلف ما خلفه
لورثته فقال الرجل لي بينة تشهد بما ادعيته ثم سال فتح الكتاب
ففتحته فوجدته كاسره حتى فلما سمع السلطان رحمه الله
التاريخ قال لي من يشهد ان هذا سنقر في هذا التاريخ كان
في ملكي وفي يدي بمصر واني اشتريته مع ثمانية انفس في تاريخ
متقدم على هذا التاريخ بسنة وانه لم يزل في يدي وملكي الى
ان اعتقته ثم استحضر جماعة من اعيان الامرا المجاهدين فشهدوا
بذلك وحكوا القضية كما ذكرها وذكروا التاريخ كما ادعاه فابلس
الرجل فقلت له يا مولاي هذا الرجل انما فعل ذلك لاجل مراحم
السلطان وقد حضر بين يدي مولانا ولا يحسن ان يرجع خايب
القصد فقال هذا باب اخر وتقدم له بخلعة ونفقة بالغة قد
شذ عني مقدارها فانظر الى ما في طي هذه القضية من المعاني
الغريبة العجيبة من التواضع والانقياد الى الحق وارغام النفس
والكرم في موضع المواخذة مع القدرة التامة رحمه الله

ذكر طرف من زهده قدس الله روحه

قال صلى الله عليه وسلم اذا عثر الكريم فان الله اخذ بيده
وفي الكرم لحادثة وكرمه قدس الله روحه كان اظهر
من ان يسطر واشهر من ان يذكر لكن ننبه عليه جملة وذلك
انه ملك ما ملك رحمه الله عليه ومات وما وجد في خزانته
من الفضة الا سبعة واربعين درهما ناصرية ومن الذهب الا جرم
واحد صوري ما علمت وزنه وكان رحمه الله يهب الاقاليم
وفتح آمد وطلبها منه ابن قرا ارسلان فاعطاه اياها ورايته
رحمه الله قد اجتمع عنده جمع من الوفود بالقدس الشريف وكان
قد عزم على التوجه الى دمشق ولم يكن في الخزانة ما يعطي الوفود
فلم ازل اخاطبه في معناهم حتى باع قرية من بيت المال وفضضنا
ثمنها عليهم ولم يفضل منه درهم واحد وكان رحمه الله
يعطي في وقت الضايقة كما يعطي في حال السعة وكان
نواب خزاينه يخفون عنه شيا من المال حذرا ان يفاجيهم مهم
لعلمهم انه متى علم به اخرجه وسمعته يقول في معرض
حديث جرى يمكن ان يكون في الناس من ينظر الى المال كمن

كان اوكى ولم يزل على ملكي حتى اعتقته وتوفي وخلف ما خلفه
لورثته فقال الرجل لي بينة تشهد بما ادعيته ثم سأل فتح دابة
ففتحته وجدته ... فلما سمع السلطان رحمه الله
التاريخ قال من يشهد ان هذا سنقر في هذا التاريخ كان
في ملكي وفي يدي بمصر واني اشتريته مع ثمانية انفس في تاريخ
متقدم على هذا التاريخ بسنة وانه لم يزل في يدي وملكي الى
ان اعتقته ثم استحضر جماعة من اعيان الامراء المجاهدين فشهدوا
بذلك وحكوا القضية كما ذكرها وذكروا التاريخ كما ادعاه فابلس
الرجل فقلت له يا مولاي هذا الرجل ما فعل ذلك الا طلبا لمراحم
السلطان وقد حضر بين يدي مولانا وما يحسن ان يرجع خائب
القصد فقال هذا باب آخر وتقدم له بخلعة ونفقة بالغة قد
شذ عني مقدارها فانظر الى ما في طي هذه القضية من المعاني
الغريبة العجيبة من التواضع والانقياد الى الحق وارغام النفس
والكرم في موضع المؤاخذة مع القدرة التامة رحمه الله

ذكر طرف من كرمه قدس الله روحه

قال صلى الله عليه وسلم اذا عثر الكريم فان الله آخذ بيده
وفي الكرم احاديث كثيرة وكرمه قدس الله روحه كان اظهر
من ان يسطر واشهر من ان يذكر لكن ننبه عليه جملة وذلك
انه ملك ما ملك رحمه الله عليه ومات وما وجد في خزائنه
من الفضة الا سبعة واربعين درهما ناصرية ومن الذهب الا جرما
واحدا صوريا ما علمت وزنه وكان رحمه الله يهب الاقاليم
وفتح آمد وطلبها منه ابن قرا ارسلان فاعطاه اياها ورأيته
رحمه الله قد اجتمع عنده جمع من الوفود بالقدس الشريف وكان
قد عزم على التوجه الى دمشق ولم يكن في الخزانة ما يعطي الوفود
فلم ازل اخاطبه في معناهم حتى باع قرية من بيت المال وفضضنا
ثمنها عليهم ولم يفضل منه درهم واحد وكان رحمه الله
يعطي في وقت الضائقة كما يعطي في حال السعة وكان
نواب خزائنه يخفون عنه شيئا من المال حذرا ان يفاجئهم مهم
لعلمهم انه متى علم به اخرجه وسمعته يقول في معرض
حديث جرى ان يكون في الناس من ينظر الى المال كمن

ينظر الى التراب فكانه اراد بذلك تسد وكان احطى فوق
ما يومل الطالب وما سمعته قط يقول اعطينا الفلان وكان
الاخير و يبسط وجهه للمعطى يسبط من لم يبسط شيا وكان رحمه
الله يعطى و يكرم الرجل ما يعطي وكان قد عرفه الناس
وكانوا استزيدونه في كل وقت وما سمعته قط يقول قد
زدت مرارا فكم ازيد واكثر الرسايل كانت تجرى على
لساني ويدي وكنت اخجل من كثرة ما يطلبون ولا اخجل منه
من كثرة ما اطلبه لهم لعلمي بعدم مواخذته في ذلك وما اخذ منه
قط الضجر الا واغناه عن سوال غيره رحمه الله ك

واما تعداد عطاياه

وتعداد سنوتها فلا اطمع فيه
اصلا حصفته ولقد سمعت من صاحب ديوانه يقول لي وقد
جارينا عطاياه وقال حصرنا عدد ما وهب من الخيل بمرج عكا
لا غير فكان عشرة الاف فرس ومن شاهد عطاياه يستقل هذا
القدر رحمه الله عليه اللهم انك الهمته الكرم وانت اكرم منه فترحم
عليه برحمتك ورضوانك يا ارحم الراحمين ك

شيا وتركهم وانصرف راجعا واسر الخيمة التي كانت
منصوبة ان تقلعت وانفض الناس عن العدو متيقنين ان
السلطان رحمه الله في ذلك اليوم ربما صلب وقتل جماعة
ولقد حكالي ولده الملك الظاهر رحمه الله انه خاف منه
في ذلك اليوم حتى انه لم يتجاسر ان يقع في عينه مع انه حمل في
ذلك اليوم واوغل حتى منعه رحمه الله قال ولم يزل السلطان
رحمه الله سايرا حتى نزل بشهرزور وهي شهر حلة لطيفة فضربت
له خيمة لطيفة هنالك ونزل بها ونزل العسكر في منازلهم
تحت صبايوانات لطيفة كما جرت العادة في مثل ذلك الوقت وما
من الامرا الا من يرعد خيفة ومن يعتقد انه ماخوذ مسخوط
عليه خيفة منه حتى استدعاني قال فدخلت اليه وقد وصله
من محروسة دمشق فاكهة فقال اطلبوا الامرا حتى ياكلوا
شيا قال فسرى عني ما كنت اجده وطلبت الامرا فحضروا وهم خايفون
فوجدوا من بشره وانبساطه ما احدث لهم الطمانينة والامن والسرور
وانصرفوا عنه على عزم الرحيل كان لم يجر له شي اصلا فانظر

الى هذا الحلم الذي لا يأتي في مثل هذا الزمان ولا حكي عن
من تقدم مثل ما رأينا له رحمه الله عليه

ذكر محافظته على اسباب المروه قدس الله روحه

قال النبي صلى الله عليه وسلم بعثت لاتمم مكارم الاخلاق
وكان صلى الله عليه وسلم اذا صافحه الرجل لا ينزع يده
حتى يكون هو الذي يبدأ بذلك ولقد كان السلطان رضي
الله عنه كثير المروه ندي الوجه كثير الحيا مبسوط
الوجه لمن يرد عليه من الضيوف لا يرى ان يفارقه الضيف
حتى يطعم عنده وما يخاطبه في شي الا وينجزه وكان رحمه
الله يكرم الوافد عليه وان كان كافرا ولقد وفد عليه البرنس
صاحب انطاكية فما احس به الا وهو واقف على باب خيمته بعد
وقوع الصلح في شهر شوال سنة ثمان وثمانين وخمسمائة عند منصرفه
من القدس الى دمشق عرض له في الطريق وطلب منه شيا
فاعطاه العمق وهي بلاد كان اخذها منه عام فتح الساحل وهي
سنة اربع وثمانين ولقد رايته وقد دخل اليه صاحب صيدا فاكرمه

ذكر شجاعته قدس الله روحه

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله يحب الشجاعه
ولو على قتل حية ولقد كان رحمه الله من عظما الشجعان قوي
النفس شديد الباس عظيم الثبات لا يهوله امر ولقد رايته
رحمه الله مرابطا في مقابلة عدو عظيم من الفرنج ونجدهم تتواصل
وعساكرهم تتواتر وهو لا يزداد الا قوة نفس وصبر ولقد وصل
في ليلة واحدة منهم نيف وسبعون مركبا على عكا وانا اعدها
من بعد صلاة العصر الى غروب الشمس وهو لا يزداد الا قوة نفس
ولقد كان رحمه الله يعطي دستورا في اوايل الشتا ويبقى في شرذمة
يسيرة في مقابلة عدتهم الكثيرة ولقد سالت باليان
بن بارزان وهو من كبار ملوك الساحل وهو جالس بين يديه
رحمه الله عليه يوم انعقاد الصلح عن عدتهم فقال الترجمان عنه
انه يقول كنت انا وصاحب صيدا وكان ايضا من ملوكهم
وعقلائهم قاصدين عسكرنا من صور فلما اشرفنا عليه تحازرناه
فحزره هو بخمسمايه الف وحزرته انا بستمايه الف او قال كذا

ذلك فقلت لكم هلك منهم فقال اما بالقتل فقريب من سبعين الف
واما بالمدن والغرق فلا نعلم وما رجع من هذا العالم الا الاقل
وكان لا بد له وان يطوف حول العدو في كل يوم مرة
او مرتين اذا كانا قريبا بينهم وكان رحمه الله اذا اشتد الحرب يطوف
بين الصفين ومعه صبي واحد على يده جنيبة ويخرق الصفوف
المتمدة الى الميسرة ويرتب الاطلاب ويامرهم بالتقدم والوقوف
في مواضع يراها وكان يشارف العدو ويجاورهم رحمه الله ولقد قرى
عليه جزء من الحديث بين الصفين وذلك اني قلت له قد سمع الحديث
في جميع المواطن الشريفة وما نقل انه سمع بين الصفين فان راى المولى
يوثر عنه ذلك كان حسنا فاذن في ذلك فاحضر جزء وهناك من
له به سماع فقرى عليه ونحن على ظهور الدواب بين الصفين نمشي تارة
ونقف اخرى وما رايته استكثر العدو اصلا ولا استعظم امرهم
قط وكان مع ذلك في حال الفكر والتدبير يذكر بين يديه الاقسام
كلها ويرتب على كل قسم مقتضاه من غير حدة ولا غضب
يعتريه رحمه الله ولقد انهزم المسلمون في يوم المصاف

الـ

الاكبر بمرج عكا حتى القلب ورجاله ووقع الكوس
والعلم وهو رضي الله عنه ثابت القدم في نفر يسير قد انحاز
الى الجبل يجمع الناس ويردهم ويخجلهم حتى يرجعوا ولم يزل كذلك
حتى عكر المسلمون على العدو في ذلك اليوم وقتل منهم زهاء
سبعة الف ما بين راجل وفارس ولم يزل رحمه الله مصابرا لهم وهم
في العدة الوافرة الى ان ظهر له ضعف المسلمين فصالح وهو مسؤول
من جانبهم فان الضعف والملال كان فيهم اكثر ولكنهم كانوا يتوقعون
النجدة ونحن لا نتوقعها وكانت المصلحة في الصلح وظهر ذلك
لما ابدت الاقضية والاقدار ما كان في مكنونها وكان رحمه
الله مريضا ويتعز به الاحوال متوالية وهو مصابر مرابط
ونرى نارهم ويسمع منهم صوت الناقوس ويسمعون منا صوت
الاذان الى ان انقضت الوقعة على احسن حال وانيس قدس
الله روحه

ذكر اهتمامه بامر الجهاد قدس الله روحه
ونور ضريحه

قال الله سبحانه وتعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا
وان الله لمع المحسنين ونصوص الجهاد فيها كثيرة ولقد كان
رحمه الله شديد المواظبة عليه عظيم الاهتمام به ولو حلف
حالف انه ما انفق بعد خروجه الى الجهاد دينارا ولا درهما
الا في الجهاد او في الارفاد لصدق وبر في يمينه ولقد كان
الجهاد وحبه والشغف به قد استولى على قلبه وسائر
جوانحه استيلاء عظيما بحيث ما كان له حديث الا فيه ولا
نظر الا في آلته ولا اهتمام الا برجاله ولا ميل الا الى من
يذكره ويحث عليه ولقد هجر في محبة الجهاد في سبيل الله
اهله واولاده ووطنه وسكنه وسائر بلاده وقنع من الدنيا
بالسكون في ظل خيمة تهب بها الرياح ميمنة وميسرة ولقد وقعت
عليه الخيمة في ليلة ريحة على مرج عكا فلو لم يكن في البرج
والاثاثة ولا يزيده ذلك الا رغبة ومصابرة واهتماما وكان
الرجل اذا اراد ان يتقرب اليه يحثه على الجهاد او يذكر شيئا
من اخبار الجهاد ولقد الف له كتب عدة في الجهاد وانا ممن جمع

له فيه كتابا جمعت فيه ادابه وكل اية وردت فيه وكل
حديث روي فيه وشرحت غريبها وكان رحمه الله كثيرا
ما يطالعه حتى اخذه منه ولده الملك الافضل ولاحكين عنه ما
سمعته منه رحمه الله في ذلك وذلك انه كان قد اخذ كوكب
في ذي القعدة سنة اربع وثمانين واعطى العساكر دستورا
واخذ عسكر مصر في العود الى مصر وكان مقدمه اخاه
الملك العادل رحمه الله فسار معه ليودعه ويحظى بصلاة العيد
في القدس الشريف وسرنا في خدمته وصلى العيد في القدس وعن له
انه يمضي معهم الى عسقلان ويودعهم بعسقلان ثم يعود على
طريق الساحل يتفقد البلاد الساحلية الى عكا ويرتب احوالها
فاشاروا عليه ان لا يفعل فان العساكر اذا فارقتنا نبقى في عدة
يسيرة والفرنج كلهم بصور وهذه مخاطرة عظيمة فلم يلتفت
رحمه الله وودع اخاه والعسكر بعسقلان ثم سرنا
في خدمته على الساحل طالبي عكا وكان الزمان شتاء عظيما
والبحر هائجا هيجانا شديدا وموجه كالجبال كما قال

الله تعالى وكنت حديث برؤية البحر فعظم امر البحر عندي
حتى خيل لي انني لو قال لي قائل إن جزت في البحر ميلا واحدا
ملكتك الدنيا لما كنت افعل واستخففت راي من ركب البحر رجا
لكسب دينار او درهم واستحسنت راي من لا يقبل شهادة
راكب البحر هذا كله خطر لي لعظم الهول الذي شاهدته
من حركة البحر وتموجه فبينا انا في ذلك اذ التفت الي رحمه
الله عليه وقال يا اخي لك شيا فقلت بلى قال في نفسي
انه متى يسر الله تعالى فتح بقية الساحل قسمت البلاد واوصيت
وودعت وركبت هذا البحر الى جزائرهم اتبعهم فيها حتى لا ابقي
على وجه الارض من يكفر بالله او اموت فعظم وقع هذا
الكلام عندي حيث ناقض ما كان يخطر لي قلت ام ليس
في الارض اشجع نفسا من المولى ولا اقوى نية منه في نصره دين
الله فقال وكيف فقلت اما الشجاعة فلان مولانا ما يهوله امر
هذا البحر وهوله ولما نصرة دين الله فهو ان المولى ما
يقنع بقلع اعداء الله من موضع مخصوص في الارض حتى يطهر جميع الارض

منهم واستاذنت في ان احكي له ما كان يخطر لي فاذن
فحكيت له ثم قلت ما هذه الا نية جميلة ولكن المولى يسير في
البحر العساكر وهو سور الاسلام ومنعته لا ينبغي له ان
يخاطر بنفسه فقال لنا استفتيك ما اشرف الميتات فقلت
الموت في سبيل الله فقال غاية ما في الباب ان اموت اشرف
الميتات فانظر الى هذه الطوية ما اطهرها والى هذه النفس
ما اشجعها واجرأها رحمه الله عليه اللهم انك تعلم انه بذل جهده
في نصرة دينك رجاء رحمتك فارحمه ○

ذكر طرف من صبره واحتسابه رحمة الله عليه ورضي عنه

قال الله سبحانه وتعالى ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من
بعدها لغفور رحيم

ولقد رايته رحمه الله بمرج عكا وهو على غاية من مرض
اعتراه بسبب كثرة دمامل كانت ظهرت عليه من وسطه
الى ركبتيه بحيث لا يستطيع الجلوس وانما يكون متكيا على جانبه
اذا كان في الخيمة وامتنع من مد الطعام بين يديه لعجزه

عن الجلوس وكان بأمره يطوف على الناس وكان مع
ذلك قد نزل لجهة الحرب قريبًا من العدو وقد رتب الناس ميمنة
وميسرة وقلبًا تعبية القتال رحمه الله مع ذلك كله يركب وكان
من بكرة النهار إلى صلاة الظهر يطوف على الأطلاب ومن
العصر إلى صلاة المغرب وهو صابر على شدة الألم وقوة ضربان
الدماميل وأنا أتعجب من ذلك فيقول رحمه الله إذا ركبت يزول
عني ألمها حتى أنزل وهذه عناية ربانية ولقد مرض
رحمه الله ونحن على الخروبة وكان قد تأخر عن تل الحجل بسبب
مرضه فبلغ الفرنج ذلك فخرجوا طمعًا في أن ينالوا من المسلمين شيئًا
بسبب مرضه رحمه الله فبلغ الفرنج ذلك فخرجوا طمعًا في ال
وهي نوبة النهر فخرجوا في مرحلة إلى الآبار التي تحت التل فأمر
هو رحمه الله بالثقل حتى نقل إلى جهة الناصرة وكان
عماد الدين صاحب سنجار مريضًا أيضًا فأذن له حتى تأخر مع الثقل
وأقام هو رحمه الله ثم رحل العدو في اليوم الثاني طالبًا لنا وركب رحمه الله
على مضض ورتب العسكر للقاء القوم تعبية الحرب وجعل طرف

الميمنة

الملك
الميمنة العادل رحمه الله وطرف الميسرة تقي الدين رحمه الله وجعل أولاده
الملك الظاهر في القلب والملك الأفضل ونزل هو رحمه الله
وراء القوم يطلبه وأول ما نزل من التل أحضر من يديه
فرنجي قد أسر من القوم فأمر بضرب عنقه فضرب عنقه بين
يديه بعد عرض الإسلام عليه وإبائه عنه وكان سار العدو
يطلب رأس النهر وسار هو رحمه الله يستدير إلى ورائهم حتى يقطع
بينهم وبين خيامهم وهو رحمه الله يسير ساعة ثم ينزل يستريح
ويظلل بمنديل على رأسه من شدة وقع الشمس عليه ولا ينصب
له خيمة حتى لا يرى العدو ضعفًا ولم يزل كذلك حتى نزل العدو برأس
النهر ونزل هو رحمه الله قبالتهم على تل مطل عليهم إلى أن دخل الليل
ثم أمر العساكر المنصورة أن عادت إلى محال المصابرة وأن يبيتوا تحت
السلاح وتأخر هو رحمه الله ونحن في خدمته إلى قمة الجبل
فضربت له خيمة لطيفة وبت تلك الليلة أجمع أنا والطبيب نمرضه
ونشاغله وهو ينام تارة ويستيقظ أخرى حتى لاح الصباح ثم
ضرب البوق وركب رحمه الله وركبت العساكر وأحدقت بالعدو

ورحل العدو عائدا الى خيامهم من الجانب الغربي في النهر
وصابر المسلمون في ذلك اليوم مصابرة شديدة وقدم اولاده
بين يديه احتسابا الملك الظاهر والملك الافضل والملك
الظافر وجميع من حضر منهم ولم يزل يبعث من عنده حتى لم يبق
عنده الا انا وطبيب وعارض الجيش والغلمان بايديهم الاعلام
والبيارق لا غير فيظن الرائي لها عن بعد ان تحتها خلقا عظيما
ولم يبق تحتها الا واحد خلق عظيم رحمه الله ولم يزل العدو
سائرا والقتل يعمل فيهم وكلما قتل منهم شخص دفنوه وكلما جرح
منهم رجل حملوه حتى لا يبين عندهم من يعلم قتله وجرحه وهم
سائرون ونحن نشاهدهم حتى اشتد بهم الامر ونزلوا عند الجسر
وكان الفرنج متى ما نزلوا الى الارض ايس المسلمون من بلوغ غرض
منهم لانهم يحتمون في حالة النزول حماية عظيمة وبقي رحمه
الله عليه في موضعه والعساكر على ظهور الخيل قبالة العدو
الى اخر النهار ثم امرهم ان يبيتوا على مثل ما باتوا عليه
بارحتهم وعدنا الى منزلنا في الليلة الماضية فبتنا على ما بتنا

عليه

عليه الى الصباح من مضايقة العدو ورحل العدو خذله
الله وسار على مضض من القتل والقتال حتى دنا الى خيامهم
وخرج اليه منها من الخبرة حتى وصلوا الى خيامهم فانظر
الى هذا الصبر والاحتساب الى اي غاية بلغ بهذا الرجل
اللهم انك الهمته الصبر والاحتساب ووفقته له فلا تحرمه
ثوابه يا ارحم الراحمين ولقد رايته رحمه الله وقد جاءه خبر وفاة
ولد له بالغ او مراهق يسمى اسماعيل فوقف على الكتاب ولم يعرف
احدا حتى سمعناه من غيره ولم يظهر عليه شيء من ذلك سوى انه
لما قرى الكتاب دمعت عينه رحمه الله ولقد رايته ليلة على
صفد وهو يحاصرها وقد قال رحمه الله لا ننام الليلة حتى تنصب
لنا خمسة مناجيق ورتب لكل منجنيق قوما يتولون نصبه وكنا طول
الليل في خدمته قدس الله روحه في الذ وارغد عيشة والرسل
تتواصل تخبره بان قد نصب من المنجنيق الفلاني كذا ومن المنجنيق
الفلاني كذا حتى اتى الصباح وقد فرغ منها ولم يبق الا تركيب
خنازيرها عليها وكان من اطول الليالي واشدها بردا ومطرا

رحمه الله عليه ولقد رأيته وقد وصله خبر وفاة تقي الدين عمر
ابن أخيه ونحن في مقابلة الفرنج جريدة على الرملة وفي تلك الليلة
نقع الصيحة فقلع الخيام والناس تقف على ظهر إلى الصباح ونحن
بالرملة والعدو بيازور وبينهما شوط فرس لا غير فأحضر
الملك العادل وعلم الدين سليمان بن جندر وسابق الدين بن الداية
وعز الدين بن المقدم وأمر الناس فطردوا من قريب من الخيمة
بحيث لم يبق حولها أحد على غلوة سهم ثم أظهر الكتاب ووقف عليه
وبكى بكاء شديدا حتى أبكانا من غير أن نعلم السبب ثم قال رحمه
الله والعبرة تخنقه توفي تقي الدين فاشتد بكاؤه
وبكى الجماعة ثم عدت إلى نفسي فقلت استغفروا الله من هذه
الحالة وانظروا أين أنتم وفيم أنتم وأعرضوا عما سواه فقال
رحمه الله نعم أستغفر الله وأخذ يكررها ثم قال لا تعلم
بهذا أحد واستدعا بشيء من ماء ورد فغسل عينيه ثم استحضر
الطعام وحضر الناس فلم يعلم بذلك أحد حتى عاد العدو إلى
يافا وعدنا نحن إلى النطرون وهو مقر ثقلنا وكان رحمه الله

شديد الشوق والشغف بأولاده الصغار وهو صابر على
مفارقتهم راض ببعدهم عنه وكان رحمه الله صابرا على
مر العيش وخشونته مع القدرة التامة على غير ذلك
احتسابا لله تعالى اللهم إنه ترك ذلك ابتغاء مرضاتك فارض عنه

ذكر نبذ من حلمه وعفوه رحمة الله عليه

قال الله سبحانه وتعالى والعافين عن الناس والله يحب المحسنين
ولقد كان رحمه الله عليه حليما متجاوزا قدس الله روحه
قليل الغضب ولقد كنت في خدمته بمرج عيون قبل خروج الفرنج
إلى عكا يسر الله فتحها وكان من عادته أنه يركب في وقت
الركوب ثم ينزل ويمد الطعام ويأكل مع الناس ثم ينهض إلى
خيمة خاصة له ينام فيها ثم يستيقظ من منامه ويصلي ويجلس
خلوة وأنا في خدمته يقرأ شيئا من الحديث أو شيئا من الفقه ولقد
قرأ علي كتابا مختصرا لسليم الرازي يشتمل على الأرباع الأربعة
من الفقه فنزل يوما على عادته ومد الطعام بين يديه ثم
عزم على النهوض فقيل له إن وقت الصلاة قد قرب فعاد

الى الجلوس وقال نصلي ونام ثم جلس يتحدث حيث منتحو
وتقاعلني المكان الاعلى لزم فتقدم اليه طول كثير يحترم
عنده وعرض عليه قصة لبعض المجاهدين فقال له انا
الآن فنجوان اخرها ساعة فلم يفعل وقدم القصة الى قرب
من وجهه الكريم بيده وفتحها حتى يقرأها ووقف على الاسم
المكتوب في راسها فعرفه فقال رجل مستحق فقال
يوقع له المولى فقال ليست الدواة حاضرة الآن وكان رحمه الله
جالسا في باب الخركاه بحيث لا يستطيع احد الدخول اليها
والدواة في صدرها والخركاه كبيرة فقال له المخاطب ها هي
الدواة في صدر الخركاه وليس لهذا معنى الا الامر باحضار الدواة
لا غير فالتفت رحمه الله فرأى الدواة فقال والله لقد صدق
ثم امتد على يده اليسرى ومد يده اليمنى فاحضرها ووقع
له فقلت قال الله تعالى في نبيه وانك لعلى خلق عظيم وما
ارى المولى الا قد شاركه في هذا الخلق فقال ما ضرنا شيء
قضينا حاجته وحصل الثواب ولو وقعت هذه الواقعة لآحاد

الناس وافرادهم لقام وقعد ومن الذي يقدر ان يخاطب احدا
هو تحت حكمه بمثل ذلك وهذا غاية الاحسان والحلم
والله لا يضيع اجر المحسنين ولقد كانت طراحته تداس
عند التزاحم عليه لعرض القصص وهو لا يتأثر عنه لذلك
ولقد نفرت يوما بغلتي من الجمال وانا راكب في خدمته وزحمت
وركه حتى المته وهو يتبسم رحمه الله ولقد دخلت بين
يديه في يوم ريح مطيرا الى القدس الشريف عجل الله خلاصه وهو
كثير الوحل فنضحت البغلة عليه من الطين حتى اهلكت جميع
ما كان عليه وهو يتبسم رحمه الله واردت التأخر عنه بسبب
ذلك فما تركني ولقد كان يسمع من المستغيث اليه والمتظلم
اغلظ ما يمكن ان يسمع ويلقى ذلك بالبشر والقبول وهذه حكاية
يتعذر ان يحكى نظير مثلها وذلك انه كان قد التجأ احد ملوك
الفرنج خذلهم الله تعالى بيافا فان العسكر كان رحل عنهم
وبعد وتراجع الى النطرون وهو مكان بينه وبين يافا للعسكر
مرحلة من المجد ولك معتادة وحضر رحمه الله العسكر ومضى

الى قيسارية لينظر في خبرهم عساه يبلغ منها غرضا وعلم الفرنج
الذين كانوا بيافا ذلك وكان بها الانكتار ومعه جماعة فحضر
معظم من كان عنده في المراكب الى قيسارية خشية على البلد
ان يتم عليها امر وبقي الانكتار في نفر يسير لعلمهم ببعده رحمه
الله عنهم وبعد العسكر ولما وصل رحمه الله الى قيسارية ورأى
النجدة قد وصلت الى البلد واحتمت به وعلم انه ما ينال منهم غرضا
فسار من ليلته من اول الليل الى اخره حتى اتى يافا صباحا
والانكتار في سبعة عشر فارسا ونفر من الرجالة
نازلا خارج البلد في خيم له فصبحه العسكر صباحا فركب
الملعون وكان شجاعا باسلا صاحب راي في الحرب وثبت
بين يدي العسكر ولم يدخل البلد فاستدار العسكر الاسلامي بهم الا
من جهة البلد وتعبا العسكر تعبية القتال وامر السلطان رحمه
الله العسكر بالحملة انتهازا الفرصة فاجابه بعض الاكراد الامراء
بكلام فيه خشونة حاصله تعتب لعدم التوفية في اقطاعهم فعطف
رحمه الله عنان فرسه كالمغضب لعلمه انهم لا يحملون في ذلك اليوم

واكرمه واكل معه الطعام ومع ذلك عرض عليه
الاسلام وذكر له طرفا من محاسنه وحثه عليه وكان يكرم
من يرد عليه من المشايخ وارباب العلم والفضل وذوي الاقدار
وكان يوصينا ان لا نغفل عمن يجتاز بالخيم من المشايخ المعروفين
حتى نحضرهم عنده وينالهم من احسانه ولقد جاءنا سنة اربع وثمانين
رجل جمع بين العلم والتصوف وكان من ذوي الاقدار وابوه
صاحب توريز كان فاعرض هو عن منصب ابيه واشتغل هو بالعلم
والعمل وحج ووصل زائرا البيت المقدس ولما قضى اربه منه
ورأى آثار السلطان فيه وقع له زيارته فوصل الينا الى العسكر المنصور
وما احسست به الا وقد دخل علي في الخيمة فلقيته ورحبت
به وسألته عن سبب وصوله فاخبرني بذلك وانه يؤثر
زيارة السلطان لما رأى له من الآثار الحميدة فعرفت السلطان
رحمة الله عليه تلك الليلة وصول هذا الرجل فاستحضره وروى
عنه حديثا وشكره عن الاسلام وحثه على الخير وبصرها وانصرف
معنا وبات عندي في الخيمة فلما صلينا الصبح اخذ يودعني فمضى

له المسير بدون وداع السلطان فلم التفت ولم الو على ذلك
وقال قضيت حاجتي منه ولا غرض لي في اعادة رؤيته
وزيارته وانصرف من ساعته ومضى على ذلك ايام وسال
السلطان رحمه الله عنه فاخبرته بفعله فظهر عليه اثار
الغضب لم لم تخبرني برواحه وقال كيف يطرقنا مثل هذا
الرجل وينصرف عنا من غير احسان منا وشدد
النكير علي فيه فما وجدت بدا من ان كتبت الى محيي الدين قاضي ذلك
دمشق كلفته فيه السؤال عن حال الرجل وايصال رقعة
طيها كتابي واخبرته فيها بانكار السلطان رحمه
الله رواحه من غير اجتماعه به ورغبته في العود وكان
بيني وبينه صداقة تقتضي مثل ذلك فما احسست به الا وقد عاد
الي بحسب رقعتي واعلمته بذلك فجئت الى بقول الحضرة فعلمت
ذلك فرحب به وانبسط معه واستوحش له وامسكه اياما ثم
خلع عليه خلعة حسنة واعطاه مركوبا لائقا واعطاه ثيابا لاهله
حملها الى اهل بيته واتباعه وجيرانه ونفقة يرتفق بها وانصرف

عنده وهو اشكر الناس واخلصهم دعا لابايه رحمه الله عليه
ولقد رايته وقد مثل بين يديه اسيرا فرنجي وقد هابه بحيث
ظهر عليه امارات الخوف والجزع فقال له الترجمان من اي شي
تخاف فاجرى الله على لسانه ان قال كنت اخاف قبل ان ارى هذا
الوجه فبعد رؤيتي له وحضوري بين يديه ايقنت اني ما ارى الا
الخير فرق له ومن عليه واطلقه ولقد كنت راكبا في خدمته
في بعض الايام قبالة الفرنج وقد وصل بعض اليزكية ومعه
امراة شديدة التحزن كثيرة البكا متواترة الدق على صدرها
فقال اليزكي ان هذه خرجت من عند الفرنج وسالت الحضور
بين يديك وقد اتينا بها فامر الترجمان ان يسالها عن قضيتها
فقالت ان اللصوص المسلمين دخلوا البارحة الى خيمتي وسرقوا
ابنتي فبت البارحة استغيث الى بكرة فقيل لي الملك هو رحيم ونحن
نخرجك اليه تطلبين ابنتك فاخرجوني وما اعرف ابنتي الا منك فرق
لها ودمعت عينه وحركته مروته وامر من ذهب الى سوق
العسكر يسال عن الصغيرة من اشتراها ويدفع له ثمنها ويحضرها

وكان قد عرف قصتها من يحضر بين يديه فامضت ساعة حتى وصل الفارس والصغير على كتفه فما كان الا ان وقع نظرها عليها فخرت الى الارض تمرغ وجهها في التراب والناس يبكون على ما نالها وترفع طرفها الى السما ولا نعلم ما تقول فسلمت ابنتها اليها وحملت حتى اعيدت الى عسكرهم وكان رحمه الله عليه لا يرى الاسا الى من صحبه وان افرط في الخيانه ولقد قلب في خزانته كيسان من الذهب المصري وجعل مكانهما كيسان من الفلوس فما عمل بالنواب شيا سوى انه صرفهم من عملهم لا غير ولقد دخل عليه البرنس ارناط صاحب الكرك مع ملك الفرنج بالساحل لما اسرهما في وقعه حطين في شهور سنة ثلث وثمانين والوقعه مشهوره وسيجي شرحه في موضعها ان شا الله تعالى وكان قد امر باحضارهما وكان قد اختار زيارة قاتله من مضرحمها الله تعالى احرى كان تدين المسلمين منهم هدنه فغدر بها واخذها ونكل بهم وعذبهم واسكنهم المطامير والحبوس الحرجه واذكروا حرمة الهدنه فقال قولوا لمحمد يخلصكم فلما بلغه رحمه الله ذلك عنه نذر انه متى اظفره الله به قتله بنفسه فلما مكن الله منه في ذلك اليوم قوي عزمه على قتله وفا بنذره

فاحضره مع الملك فشكا الملك العطش فاحضر له قدح من شراب فشرب منه ثم ناوله ارناط فقال السلطان رحمه الله للترجمان قل للملك انت الذي سقيته واما انا فما سقيته من شرابي ولا اطعمه من طعامي فقصد رحمه الله ان من اكل من طعامي فالمروه تقتضي ان لا اوذيه ثم ضرب عنقه بيده وفا بنذره ولقد فتح عكا واخرج الاسارى كلهم من ضيق الاسر وكانوا زها اربعة الاف اسير واعطا كلا منهم نفقه توصله الى بلده واهله هكذا بلغني على السنة جماعه فانني لم احضر هذه الوقعه وكان رحمه الله عليه حسن العشره لطيف الاخلاق طيب الفاكهه حافظا لانساب العرب ووقايعهم عارفا بسيرهم واحوالهم حافظا لانساب خيلهم عالما بعجايب الدنيا ونوادرها بحيث كان يستفيد المحاضر منه ما لا يسمعه من غيره وكان رحمه الله حسن الخلق يسال الواحد منا عن مرضه ومداواته ومطعمه ومشربه وتقلبات احواله وكان رحمه الله عليه طاهر المجلس لا يذكر بين يديه احد الا بالخير وطاهر السمع فلا يحب ان يسمع

عن الحد الا بخير وطاهر اللسان فما اولع بشتم قط وطاهر
القلم فما كتب بقلمه [ايذاء] مسلم قط وكان حسن العهد والوفا
فما احضر بين يديه يتيم الا وترحم على مخلفيه وجبر قلبه
واعطاه خبز مخلفه وان كان له من اهله كبير يعتمد
عليه سلمه اليه والا ابقى له من الخبز ما يكفي حاجته وسلمه
الى من يكفله ويعتني بتربيته وكان ما يرى شيخا الا ويرق
له ويعطيه ويحسن اليه ولم يزل على هذه الاخلاق
رحمه الله ورضي عنه الى ان توفاه الله الى مقر رحمته ومحل
رضوانه فهذه نبذة من محاسن اخلاقه ومكارم شيمه
اختصرت عليها خوف الاطالة والاسام وما سطرت الا
ما شاهدته او اخبرني الثقة به وحققته وهذا بعض ما
اطلعت عليه في مدة خدمتي له وهو يسير بالنسبة الى ما اطلع عليه غيري
ممن طالت صحبته وتقدمت خدمته واخر هذا القدر يكفي الاريب
في الاستدلال على طهارة تلك الاخلاق والخلال وحيث نجز
هذا القسم نشرع الآن في القسم الثاني وهو في تقلبات الاحوال

بن ووقايعه وفتوحاته قدس الله روحه ن

القسم الثاني من الكتاب في تقلبات

احواله ووقايعه وفتوحاته في تواريخها قدس الله روحه ونور
ضريحه بنور رحمته

ذكر حركته الى مصر رحمه الله

في الدفعة الاولى صحبة عمه اسد الدين رحمه الله وكان
سبب ذلك ان شاور وزير المصريين كان قد خرج عليه
انسان يقال له ضرغام وكان يروم منصبه ومكانه
فجمع له جموعا كثيرة لم يكن له بها قبل وغلب عليه واخرجه
من القاهرة وقتل ولده واستولى على المكان وولي الوزارة
وكانت عادة المصريين انه اذا غلب شخص صاحب المنصب وعجز
صاحب المنصب عن دفعه وعرفوا عجزه وقعوا للقاهر منهم
ورتبوه ومكنوه فان قوتهم انما كانت بجندهم ووزيرهم وهو
ملقب عندهم بالسلطان وما كانوا يرون المكاشفة واغراضهم
مستتبة وقواعدهم مستقرة من اول زمانهم على هذا المثال

فلما قهر شاور واخرج من القاهرة استنجد في طلب الشام
قاصدًا خدمة نور الدين بن زنكي رحمه الله مستصرخًا به
مستنصرًا على اعدائه بحشمه فتقدم نور الدين الى اسد الدين
شيركوه بالخروج الى المحروسه مصر قضاءً لحق الوافد المستصرخ
وحسا للبلاد وتطلعًا على احوالها وذلك في شهور سنة
ثمان وخمسين وخمسمايه وتاهب اسد الدين شيركوه
وسار الى مصر واستصحبه معه رحمه الله على كراهيه
منه لذلك لمكان افتقاره اليه وجعله مقدم عسكره
وصاحب رايه وساروا حتى وصلوا الى المحروسه مصر
وشاور معهم في الثاني من جمادي الآخر سنة ثمان المذكوره
وكان لوصولهم الى مصر موقع عظيم وخافه اهل مصر
ونصروا شاور على خصمه واعاده الى منصبه ومرتبته وقرر
قواعده واستقر امره وشاهد البلاد وعرف احوالها وعاد
منها وقد غرس في قلبه الطمع في البلاد وعلم انها بلاد بغير رجال
تمشي الامور فيها بمجرد الايهام والمحال وكان ابدا رحيله عنها

معرضا

متوجهًا الى الشام في السابع من ذي الحجه سنة ثمان
المذكوره وكان لا ينفصل امرًا ولا يقرر حالًا الا بمشورته
ورايه لما لاح له منه من آثار الاقبال والسعاده والرأي
الصحيح وافتران النصر بحركاته وسكناته فاقام
بالشام مدبرًا الامره مفكرًا في كيفيه رجوعه الى البلاد
المصريه بعد تابد ذلك بنفسه مقررًا القواعد ذلك مع الملك
العادل نور الدين رحمه الله الى سنة اثنتين وستين وخمسمايه

ذكر عودته الى مصر في الدفعه الثانيه

وسبب ذلك وهي المعروفه بوقعه البابين ۞
ولم يزل اسد الدين يتحدث بذلك بين الناس حتى بلغ شاور ذلك
وادخله الخوف على البلاد من الازال وعلم ان اسد الدين قد
طمع في البلاد وانه لابد له من قصدها فكاتب الفرنج وقرر
معهم انهم يجيبون الى البلاد ويمكنونه منها تمكينا كليا
ويعينونه على استيصال اعدايه بحيث يستقر قلبه فيها
وبلغ ذلك اسد الدين والملك العادل نور الدين رحمهما الله تعالى

واشتد خوفهم على مصر ان يملكها الفرنج فيستولوا على البلاد
بها فجهز اسد الدين وانفذ معه الملك العادل نور الدين
العساكر والزم السلطان بالمسير معه على كراهية
منه لذلك وكان توجههم في اثنا ربيع الاول من شهور سنة
اربع وستين وخمسمائة وكان وصولهم الى البلاد المصرية
مقارنا لوصول الفرنج اليها واتفق شاور مع الفرنج على
اسد الدين والمصريون باسرهم وجرى بينهم حروب كثيرة
ووقعات شديدة وانفصل الفرنج عن الديار المصرية
وانفصل اسد الدين وكان سبب عود الفرنج ان نور الدين
قدس الله روحه جهز العساكر الى بلاد الفرنج واخذ
المنيطرة وعلم الفرنج ذلك فخافوا على بلادهم وعادوا
وكان سبب عود اسد الدين ضعف عسكره بسبب مواقعة
الفرنج والمصريين وما عاناه من الشدائد وعاينوه من
الاهوال وما عاد حتى صالح الفرنج على ان ينصرفوا كلهم عن
مصر وعاد الى الشام في بقية السنة وقد انضم الى فرط الطمع

في البلاد شدة الخوف عليها من الفرنج لعلمه بانهم قد
كشفوها كما كشفها وعرفوها من الوجه الذي عرفها فاقام
في الشام على مضض وقلبه متعلق والقضا يجره الى شيء قد قدر
لغيره وهو لا يشعر بذلك وفي اثنا سنة اثنتين وستين ملك نور
الدين قلعة المنيطرة بعد مسير اسد الدين في رجب وخرب
قلعة اكاف بالبرية وفي رمضان منها اجتمع نور الدين واخوه
قطب الدين وزين الدين رحمهم الله تعالى للغزاة وساروا الى
بلاد الفرنج فخربوا هونين في شوال منها وفي ذي القعدة منها
كان عود اسد الدين من مصر وفيها مات قرارسلان بديار بكر

ذكر عودهم الى مصر في الدفعة الثالثة

وهي التي ملكوها بها وجرى ما جرى وذلك في شهور اربع وستين
وخمسماية وكان سبب ذلك ان الفرنج خذلهم الله جمعوا
راجلهم وفارسهم مع المصريين واسد الدين من الصلح والمواعدة
طمعا في البلاد فبلغ ذلك نور الدين واسد الدين رحمهما الله
تعالى لم يسعهما الصبر دون ان سارعا الى قصد البلاد اما

نور الدين فبالمال والرجال ولم يسر بنفسه خوفا على البلاد
من الفرنج ولانه كان قد حدث نظر الى جانب الموصل بسبب
وفاة زين الدين علي بن بكتكين رحمه الله فانه توفي في
ذي الحجة سنة ثلث وستين وخمسمائه وسلم ما كان في
يده من الحصون الى قطب الدين اتابك ما عدا اربلا فانها
كانت له من اتابك زنكي رحمه الله فحدث لنور الدين رحمه الله
الى ذلك الجانب تطلع لهذا السبب فسير العسكر واما اسد
الدين فبنفسه وماله واهله ورجاله ولقد قال لي السلطان
قدس الله روحه كنت اكره الناس للخروج في هذه الدفعة وما خرجت
مع عمي باختياري وهذا معنى قوله سبحانه وتعالى وعسى ان
تكرهوا شيئا وهو خير لكم وكان شاور لما احس بخروج الفرنج
الى مصر على تلك القاعدة انفذ الى اسد الدين يستصرخه
ويستنجده فخرج رحمه الله سريعا وكان وصولهم الى المحروسة مصر
في ثاني ربيع الاول من سنة اربع وستين وخمسمائه وفي هذه
السنة سنة اربع وستين وخمسمائه ملك نور الدين قلعة جعبر

في المحرم ابتاعها من صاحبها ابن مالك بسروج وباب بزاعه
والملوحه تجدد قبضه وفي هذا الشهر مات ياروق الذي
تنسب اليارو قية اليه ولما علم الفرنج وصول اسد الدين الى
مصر على اتفاق بينه وبين اهلها رحلوا راجعين على اعقابهم ناكصين
واقام اسد الدين بها يتردد اليه شاور في الاحيان وكان وعدهم
بمال في مقابلة ما خسروه من النفقة فلم يوصل اليهم شيئا وعلقت
مخاليب اسد الدين في البلاد وعلموا ان الفرنج متى وجدوا فرصه
اخذوا البلاد وان ترددهم اليها في كل وقت لا يفيد وان شاور
يلعب بهم تارة وبالفرنج اخرى وملاكها دهاة كانوا على البدعه
المشهوره عنهم وعلموا انه لا سبيل الى الاستيلا على البلاد
مع بقا شاور فاجمعوا امرهم على قبضه اذا خرج اليهم وكانوا
هم يترددون الى خدمته دون اسد الدين وهو يخرج في الاحيان
الى اسد الدين يجتمع به وكان يركب على قاعده وزرايهم
بالطبل والبوق والعلم فلم يتجاسر على قبضه من الجماعه الا
السلطان بنفسه رحمه الله وقدس روحه وذلك انه لما سار

البهم نلثماه راكبا وسار الى جانبه واخذ بثيابه وامر العسكر
ان اخذوا على اصحابه ففروا ونهبهم العسكر وقبض شاور
وانزل الى خيم مفرده وفي الحال جا التوقيع من القصر على يد
خادم خاص يقول لا بد من راسه جريا على عادتهم في وزرايهم
في تسويرها عده من قوي منهم على صاحبه فحزت رقبته
وانفذ راسه اليهم وانفذ الى اسد الدين خلعه الوزاره
فلبسها وسار ودخل القصر وترتب وزيرا وذلك في سابع
عشر ربيع الاخر سنه اربع وستين وخمسمايه ودام امرا
ناهيا والسلطان رحمه الله عليه مباشر الامور مقرر لها
ولزمام الامر والنهي مفوض اليه لمكان كفايته ودرايته
وحسن نابته وسياسته الى الثاني والعشرين من جمادي الاخر
من السنه المذكوره ٥ ٥

ذكر وفاة اسد الدين رحمه الله

وتصير الامر الى السلطان قدس

الله روحه

وذلك

وذلك ان اسد الدين رحمه الله كان كثير الاكل شديد
المواظبه على اكل اللحوم الغليظه تتواتر عليه التخم والخوانيق
وينجو منها بعد مقاساه شده عظيمه فاخذه مرض شديد
واعتراه خانوق عظيم فقتله رحمه الله في الثاني والعشرين من
جمادي الاخره في السنه المذكوره وفوض الامر بعده الى السلطان
قدس الله روحه واستقرت القواعد واستتب الاحوال على
احسن نظام وبذل المال وملك الرجال وهانت عنده الدنيا
فملكها وشكر نعمه الله عليه فتاب عن الخمر واعرض عن اسباب
اللهو وتقمص بلباس الجد والاجتهاد وما عاد عنه ولا
ازداد الا جدا الى ان توفاه الله تعالى الى رحمته ولقد
سمعت منه رحمه الله عليه يقول لما يسر الله لي الديار المصريه
علمت انه اراد فتح الساحل لانه اوقع ذلك في نفسي ومن حين استتب
له الامر ما زال يشن الغارات على الفرنج الى الكرك والشوبك
وبلادها وغشي الناس من سحايب الافضال والنعم ما لم يورخ
عن غير تلك الايام هذا كله وهو وزير متابع للقوم لكنه

[illegible]

تعول لمذهب السنة مدارس في البلاد لأهل العلم والفقه
والتصوف والدين والناس يهرعون إليه من كل صوب
ويفدون عليه من كل جانب وهو رحمه الله لا يحجب قاصدا
ولا يحجب وافدا الى سنة خمس وستين وخمسمائة

ذكر قصد الفرنج دمياط

حرسها الله تعالى

ولما علم الفرنج ما جرى على المسلمين بمصر من عساكرهم وما تم
للسلطان من استقامة الأمر في الديار المصرية علموا أنه يملك
بلادهم ويخرب ديارهم ويقلع آثارهم لما حدث له من القوة
والملك فاجتمع الفرنج والروم جميعا وحدثوا أنفسهم بقصد
الديار المصرية والاستيلاء عليها وملكها ورأوا قصد دمياط
لتمكن القاصد لها من البحر والبر ولعلمهم أنها إن حصلت لهم حصل
لهم مغرس قدم بالوثوب إلى البلد فاستصحبوا المجانيق والدبابات
والجروخ وآلات الحصار وغير ذلك ولما سمع الفرنج بالشام
ذلك اشتد أمرهم فسرقوا حصن عكار من المسلمين وأسروا صاحبها

وكان مملوكا لنور الدين يسمى خلج الطبرادر وذلك في ربيع الآخر
منها وفي رجب منها توفي العادي صاحب نور الدين وأمير
حاجبه وكان صاحب بعلبك وتدمر ولما رأى نور الدين
ظهور أمر الفرنج وبلغه نزولهم على دمياط قصد شغل قلوبهم فنزل
على الكرك محاصرا لها في شعبان من هذه السنة فقصده فرنج
الساحل فرحل عنها وقصد لقاهم فلم يقفوا له ثم بلغه وفاة مجد
الدين ابن الداية بحلب وكانت وفاته في رمضان رحمه الله
سنة خمس وستين وخمسمائة فاشتغل قلبه لأنه كان صاحب
أمره فعاد يطلب الشام فبلغه خبر الزلزلة بحلب التي أخربت
كثيرا من البلاد وكانت في ثاني عشر شوال من السنة المذكورة
وهو بعشترا فسار يطلب حلب فبلغه خبر موت قطب الدين
أخيه بالموصل وكانت وفاته رحمه الله في ثاني وعشرين من
ذي الحجة من السنة المذكورة وبلغه الخبر وهو بتل باشر فسار من ليلته
طالبا بلاد الموصل ولما علم السلطان قدس الله روحه شدة
قصد العدو دمياط أنفذ إلى البلد ولده عدة من الرجال والأبطال

الفرسان والميره والالات والسلاح ما امن معه عليه
ووعد المقيمين منهم باسلامهم بالحسائر والالات وازعاج العدو
عنهم ان نزل عليهم وبالغ في العطايا والهبات وكان وزيرا
متحكما لا يرد امره في شي ثم نزل الفرنج عليها في التاريخ المتقدم
المذكور واشتد زحفهم عليها وقتالهم لها وهو رحمه الله يشن
الغارات عليهم من خارج والعسكر يقاتلهم من داخل ونصر
الله المسلمين بوديعهم وحسن نصحهم في نصرة دين الله يسعدهم •
ويجدهم حتى بان لهم الخسران وظهر على الكفر الايمان وراوا انهم
ينجون برووسهم ويسلمون بنفوسهم ورحلوا خائبين خاسرين
محرقين مناجيقهم ونهبت الاتهم وقتل منهم خلق عظيم وسلم
البلد بحمد الله تعالى عن قصدهم وظهر تقوى الله تعالى فل حدهم
واستقرت قواعد السلطان وسير الله روحه ثم انفذ في طلب
والده ليكمل السرور ويتم الحبور ويجمع القصه مشاكله ما جرى
للنبي يوسف صلوات الله عليه وعلى سائر الانبيا اجمعين فوصل
والده نجم الدين رحمه الله عليه في اثنين جمادى الاخر من سنة خمس

وستين وخمسمايه وسلك معه من الادب ما كان عادته
والبسه الامر كله فابى ان يلبسه وقال يا ولدي ما اختارك
الله لهذا الامر الا وانت كفو له فلا ينبغي ان تغير موقع السعاده
فحكمه في الخزاين باسرها وكان رحمه الله كريما يطلق
ولا يرد وكان لم يزل السلطان رحمه الله وزيرا متحكما حتى مات
العاضد ابو محمد عبد الله وبه ختم امر المصريين واما نور الدين
رحمه الله فانه اخذ الرقة في المحرم سنة ست وستين وسار
منها الى نصيبين فاخذها في [illegible] الشهر واخذ سنجار في
ربيع الاخر منها ثم قصد الموصل وقصد ان لا يقاتلها فعبر بعسكره
من مخاضة بلد وسار حتى خيم قبالة الموصل على تل يقال له الحصن
وراسل ابن اخيه سيف الدين غازي صاحب الموصل وعرفه
صحة قصده فصالحه ودخل الموصل في ثالث عشر جمادى الاولى
وقرر صاحبها فيها وزوجه ابنته واعطى عماد الدين اخاه
سنجار في جمادى الاخرة وخرج من الموصل قاصدا نحو الشام
فدخل حلب في شعبان من هذه السنة

ذكر موت العاضد

وكان موته في يوم الاثنين العاشر من المحرم من شهور سنه
سبع وستين وخمسمايه واستقر الملك للسلطان رحمه الله عليه
وكان يخطب لبني العباس في اواخر امر العاضد وهو حي
وكانت الخطبه في ابتدايها للمستضي بامر الله قدس الله روحه
واستمرت القواعد على الاستقامه وهو رحمه الله كلما استولى
على خزانه مال وهبها وكلما فتح له خزاين مال انهبها ولا
يبقي لنفسه شيا وشرع في التاهب للغزاه وقصد بلاد
العدو وتعبيه الامر لذلك وتقرير قواعده واما
نور الدين فانه عزم على الغزاه واستدعا صاحب الموصل
ابن اخيه فوصل بالعساكر الى خدمته وكانت غزوه عرقا
واخذها نور الدين ومعه ابن اخيه في المحرم سنه سبع وستين
وخمسمايه

ذكر اول غزاه غزاها من الديار المصريه

رحمه الله عليه

ولم يزل على بسط العدل ونشر الاحسان وافاضه الانعام
على الناس الى السنه ثمان وستين وخمسمايه فعند ذلك
خرج بالعسكر يريد بلاد الكرك وانما بداء بها لانها كانت اقرب (والشوبك)
اليه وكانت في الطريق تمنع من يقصد الديار المصريه وكان
لا يمكن ان تصل قافله حتى يخرج هو بنفسه يعبرها بلاد العدو فاراد
توسيع الطريق وتسهيله لتتصل البلاد بعضها ببعض وتسهل
على السابله فخرج قاصدًا لها في اثنا سنه ثمان وستين وخمسمايه
فحاصرها وجرى بينه وبين الفرنج وقعات وعاد عنها ولم يظفر
منها بشي في تلك الدفعه وحصل ثواب القصد واما نور
الدين فانه فتح مرعش في ذي القعده من هذه السنه واخذ
بهسنا في ذي الحجه منها

ذكر وفاه نجم الدين والده رحمه الله

ولما عاد السلطان قدس الله روحه من غزاته بلغه قبل
وصوله الى (بمصر) وفاه ابيه نجم الدين وشق ذلك عليه حيث لم
يحضر وفاته وكان سبب وفاته وقوعه عن الفرس وكان
رحمه الله شديد الركض ولعابا بلعب الكره بحيث من
راه يلعب بها يقول ما يموت الا من وقوعه عن ظهر الفرس

وكانت وفاته رحمه الله بمصر في شهور سنة ثمان وستين
وخمسمايه

ذكر فتح اليمن

ولما كانت سنة تسع وستين راى قوة عسكره وكثرة
عدد اخوته وقوة باسهم وكان بلغه ان باليمن انسانا استولى
عليها وملك حصونها وهو يخطب لنفسه يسمى عبد النبي
بن مهدي ويزعم انه ينتشر ملكه الى الارض كلها واستتب
امره فراى ان يسير اليها اخاه الاكبر شمس الدوله الملك
المعظم توران شاه وكان كريما اريحيا حسن الاخلاق
سمعت منه رحمه الله عليه الثنا على كرمه ومحاسن اخلاقه
وترجيحه اياه على نفسه وكان توجهه اليها في اثنا رجب سنه
تسع وستين فمضى اليها وفتح الله على يديه وقتل الخارجي الذي
كان بها واستولى على معظمها واعطى واغنى خلقا كثيرا

ذكر وفاة نور الدين رحمه الله محمود بن زنكي

وكانت وفاته رحمه الله بسبب خوانيق اعترته عجز الاطبا
عن علاجها وتوفي رحمه الله يوم الاربعا حادي عشر
من شوال من سنه تسع وستين وخمسمايه وذلك في

قلعه

قلعه دمشق وقام بعده ولده الملك الصالح اسمعيل ولقد
حكى لي السلطان رحمه الله قال كان بلغنا عن نور الدين
رحمه الله انه ربما قصدنا بالديار المصريه وكانت جماعه من
اصحابنا يشيرون بان نكاشف ونخالف ونشق عصاه ونلقى
عسكره بمصاف نرده اذا تحقق قصده وكنت وحدي اخالفهم
واقول لا يجوز ان يقال شي من ذلك ولم يزل النزاع بيننا
حتى وصل الخبر بوفاته رحمه الله عليه

ذكر ما اتفق للكنز باسوان

وذلك في شهور سنة سبعين وخمسمايه والكنز انسان مقدم
من المصريين كان قد التجا الى اسوان فاقام بها ولم يزل يدبر امره
يجمع السودان عليه ويخيل لهم انه يملك البلاد ويعيد
الدوله المصريه وكان في قلوب القوم من هواه المصريين
ما يستصغر هذه الافعال عنده فاجتمع حوله جمع كثير
من السودان وقصد قوص واعمالها فانتهى خبره الى السلطان
من الحلقه وجرد له عسكرا عظيما شاكين في السلاح

من الدين ذلقوا حلاوة ملك الديار المصرية وخافوا على
فوت ذلك منهم وتقدم اليهم اتابكه الملك العادل سيف
الدين وسار بهم حتى حملوا القوم فلقيهم بمصاف فكسرهم
وقتل منهم خلقا عظيما واستاصل شافتهم واخمد نائرتهم
وذلك في السابع من صفر سنة سبعين واستقرت قواعد
الملك واستقامت اموره ولله الحمد والمنة ○

ذكر قصد الفرنج لثغر الاسكندرية

حرسها الله تعالى

وذلك ان الفرنج خذلهم الله تعالى لما علموا تغيرات الاحوال
بالديار المصرية وتقلبات الدول بها داخلهم الطمع في البلاد
وجردوا عساكرهم في البحر وكانوا في ستمائة قطعة ما بين
شيني وطرادة وبطسة وغير ذلك وكانوا في نحو الف
على ما ذكر ونازلوا الثغر المحروس وذلك في اثنا شهر صفر
في السابع منه من هذه السنة وهي سنة سبعين فامده
السلطان بالعساكر المصرية وتحرك وداخل الله في قلوبهم

من الخوف والرعب ما لم يلهمهم الصبر معه وعادوا خائبين خاسرين
بعد ان ضايقوا الثغر ووحصروا عليه ثلثة ايام وقاتلوه
قتالا شديدا وعصمه الله منهم ولما احسوا بحركة
السلطان نحوهم ما لبثوا ان خلفوا مجانيقهم وراءهم واتتهم
خرج اهل البلد الى نهبها ولحيرانها وكان من اعظم النعم
من الله تعالى على المسلمين والمكرمة كل سعادة ونجاح ولله الحمد والمنة
وأما نور الدين رحمه الله فانه خلف ولده الملك الصالح اسمعيل
وكان بدمشق وكان نائبه بحلب ابن الداية شمس الدين علي وشاد
بخت وكان علي قد حدث نفسه بامور فسار الملك الصالح من
دمشق الى حلب فوصل ظاهرها في المحرم ومعه سابق الدين
فخرج بدر الدين حسن للقائه فقبض على سابق الدين ولما دخل
الملك الصالح القلعة قبض على شمس الدين ولحسن وعلى واودع
الثلثة السجن وفي ذلك اليوم قتل ابن الخشاب ابو الفضل لفتنة
جرت بحلب ○

ذكر خروج السلطان رحمه الله عليه الى الشام

واخذه لدمشق المحروسه

ولما تحقق السلطان رحمه الله وفاه نور الدين وكون ولده طفلاً
لا ينهض باعبا الملك ولا يستقل بدفع عدو الله عن البلاد
تجهز للخروج الى الشام اذ هو اصل بلاد الاسلام فتجهز بجمع
كثير من العساكر وخلف في الديار المصريه من يستقل بحفظها
وحراستها ونظم امورها وسياستها وخرج هو سايرا مع
جمع من اهله واقاربه وهو يكاتب اهل البلاد وامراها
واختلفت كلمه اصحاب الملك الصالح واختلت تدابيرهم وخاف
بعضهم من بعض وقبض البعض على جماعه منهم وكان ذلك سبب
خوف الباقين ممن فعل ذلك وسببا لتنفير قلوب الناس عن الصبي
فاقتضى ان كاتب شمس الدين بن المقدم السلطان رحمه الله عليه الكمال
ووصل البلاد مطالبا بالملك الصالح ليكون هو الذي يتولى امره
وتدبير حاله ويقوم له بما اعوج من امره فوصل محروسه دمشق
ولم يشق عليه عصا ودخلها بالتسليم في يوم الثلاثا سلخ ربيع الاخر
سنه سبعين وخمسمايه وتسلم قلعتها وكان اول دخوله الى دار ابيه

واجتمع

واجتمع الناس اليه وفرحوا به وانفق في ذلك اليوم في الناس
مالا طايلا واظهر الفرح والسرور بالدمشقيين واظهروا الفرح
به وصعد القلعه واستقر قدمه في ملكها فلم يلبث ان سار
يطلب حلب فنازل حمصا واخذ مدينتها في جمادى الاولى سنه
سبعين ولم يشتغل بقلعتها وسار حتى اتى حلب ونازلها في يوم
الجمعه سلخ جمادى الاولى من السنه المذكوره وهي الوقعه الاولى

ذكر تسيير سيف الدين اخاه عز الدين

الى الكسره رحمه الله عليه

ولما احس سيف الدين صاحب الموصل بما جرى وعلم ان الرجل قد
استفحل امره وعظم شانه وعلت كلمته وخاف انه ان غفل
عنه استحوذ على البلاد واستقر قدمه في الملك وتعدى الامر
اليه جهز عسكرا وافرا وجيشا عظيما وقدم عليه اخاه عز الدين
مسعود وساروا يريدون لقا السلطان وضرب المصاف معه
ورده عن البلاد ولما بلغ السلطان رحمه الله عليه ذلك رحل
عن حلب مستهل رجب من السنه المذكوره عايدا الى حماه وسار الى

حمص واشتغل باخذ قلعتها فاخذها ثم وصل عز الدين الى
محروسة حلب وانضم اليهم من كان بها من العسكر وخرجوا
في جمع عظيم فلما عرف هو رحمه الله بمسيرهم سار حتى اقام
في قرون حماه وراسلهم وراسلوه واجتهد ان يصالحهم فما صالحوه
وراوا ان المصاف ربما نالوا به الغرض الاكبر والمقصود
الاوفر والقضا يجر الى امور هم لا يشعرون وقام المصاف
بين العسكرين فقضى الله ان انكسروا بين يديه واسر جماعة منهم
ومنّ عليهم واطلقهم وذلك عند قرون حماه في تاسع عشر شهر رمضان
سنة سبعين ايضا وخمسمايه ثم سار عقيب انكسارهم ونزل
على حلب وهي الدفعة الثانية فصالحوه على ان اخذ المعرة وكفرطاب
وبارين وذلك في اواخر سنة سبعين وخمسمايه

ذكر مسير سيف الدين ثانيه رحمه الله

ولما وقعت هذه الوقعة كان سيف الدين على سنجار محاصرها
لاخاه عماد الدين وقصد اخذها منه ودخوله في طاعته وكان
قد اظهر الانتما الى السلطان واعتصم بذلك واشتد سيف

الدين في حصار المكان وضربه بالمنجنيق حتى استهدم من سوره
ثلم كثيرة واشرف على الاخذ فبلغه وقوع هذه الوقعة فخاف
ان يبلغ ذلك لاخاه فيشتد امره ويقوى جاشه فراسله الى
الصلح فصالحه ثم سار من وقته الى نصيبين واهتم بجمع العساكر
والانفاق فيها وسار حتى اتى الفرات وعبر بالبيرة وخيم على
جانب الفرات الشامي وراسل كمشتكين والملك الصالح حتى
تستقر قاعدة يميل عليها اليهم ووصل كمشتكين اليه وجرت
مراجعات كثيرة عزم فيها على العود مرارا حتى استقر اجتماعه
بالملك الصالح وسيعوا به وسار ووصل محروسة حلب وخرج الملك
الصالح الى لقايه بنفسه فالتقاه قريب القلعة واعتنقه وضمه
اليه وبكا ثم امره بالعود الى القلعة فعاد اليها وسار
هو حتى نزل بعين المباركة واقام بها مدة وعسكر حلب يخرج اليه
خدمته في كل يوم وصعد القلعة جريدة واكل فيها خبزا
ونزل وسار راحلا الى تل السلطان ومعه الديار بكريه وجمع كثير
والسلطان قد انفذ في طلب العساكر من مصر وهو ينتظر قدومها

وهو ايضا خارجون في اثرهم ويدابيرهم وهم لا يشعرون
ان في الناحية تدبيرا حتى وصل عسكر مصر فسار رحمه
الله حتى اتى قرون حماه فبلغهم انه قد قارب عسكره فاخرجوا
الاثقال وجهزوا من كشف الاخبار فوجدوه قد وصل جريدة
الى جباب التركمان وتفرق عسكره يسقي فلو اراد الله نصرتهم
لقصدوه في تلك الساعة ولكن ليقضي الله امرا كان مفعولا
فصبر لقلته حتى سقى خيله هو وعسكره واجتمعوا وتعبوا
تعبيه القتال واصبح القوم على مصاف وذلك في يوم الخميس
العاشر من شوال سنة احدى وسبعين وخمسمائه فالتقا
العسكران وتصادما وجرى قتال عظيم وانكسرت ميسرة السلطان
بابن زين الدين مظفر الدين فانه كان في ميمنة سيف الدين
وحمل السلطان بنفسه فانكسر القوم واسر منهم جمعا عظيما من
كبار الامرا منهم فخر الدين عبد المسيح فمن عليهم واطلقهم
وعاد سيف الدين الى حلب فاخذ منها خزانته
وسار حتى عبر الفرات وعاد الى بلاده وامسك هو رحمه الله

عل

عليهم عن تتبع العسكر ونزل في بقية ذلك اليوم في خيم
القوم فانهم كانوا قد ابقوا الثقل على ما كان عليه والمطابخ
قد عملت ففرق الاصطبلات ووهب الخزاين واعطى خيمة
سيف الدين عز الدين فرخشاه وسار الى منبج
فتسلمها في بقية الشهر المذكور وسار حتى نزل على قلعة
عزاز فحاصرها وذلك رابع ذي القعدة سنة احدى
وسبعين وخمسمايه وعليها وثب الاسماعيلية عليه رحمه
الله فنجاه الله من كيدهم وظفر بهم ولم يفل ذلك عزمه
واقام عليها حتى اخذها وذلك في رابع عشر ذي الحجة من السنة
المذكورة وسار حتى نزل على حلب المحروسة في سادس عشر
منه فاقام مدة ثم سار عنها فاخرجوا اليه ابنة نور الدين
صغيرة سالت منه عزاز فوهبها اياها رحمة الله عليه
وفي بقية الشهر ايضا وصل شمس الدولة اخوه الى [illegible] المحروسة
دمشق واقام بها مدة ثم عاد الى الديار المصرية وتوفي بالاسكندرية
يوم الخميس مستهل صفر سنة ست وسبعين وخمسمايه ثم

ان السلطان قدس الله روحه عاد الى الديار المصريه لتفقد
احوالها وتقرير قواعدها وكان مسيره اليها في سح الاول من
شهور سنه اثنين وسبعين وخمسمايه واستخلف اخاه شمس
الدوله بدمشق فاقام رحمه الله بها نقرر قواعدها ويشيد
خللها واراح العسكر ثم تاهب للغزاه وخرج رحمه الله يطلب
الساحل حتى وافا الفرنج على الرمله وذلك في اوايل جمادي
الاولى سنه ثلث وسبعين وخمسمايه ١

ذكر كسره الرمله

وكان مقدم الفرنج البرنس ارناط وكان قد سبع على حلب فانه كان
اسيرا بها في زمن نور الدين رحمه الله وجرى حال في ذلك
اليوم على المسلمين ولقد حكى السلطان قدس الله روحه
صوره الهزم في ذلك اليوم وذلك ان المسلمين كان قد تعبوا التعبيه
للحرب فلما قارب العدو راى بعض الجماعه ان تحير الميمنه الى
جهه الميسره والميسره الى جهه القلب ليكونوا حال اللقا ورا
ظهورهم تل معروف بارض الرمله فبينا اشتغلوا بهذه التعبيه

فجهم

فجهم الفرنج وقدر الله كسرهم فانكسروا كسره عظيمه ولم
يكن لهم حصن قريب ياوون اليه وطلبوا جهه الديار المصريه وظلوا
في الطرق وتبددوا واسر منهم جماعه منهم الفقيه عيسى
وكان هنا عظيما جبره الله تعالى بوقعه حطين المشهوره
ولله الحمد ولما الملك الصالح فانه تخبط امره وقبض
كمشتكين صاحب دولته وطلب منه ان يسلم حارم اليه فلم
يفعل فقتله فلما سمع الفرنج بقتله نزلوا على حارم طمعا
فيها وذلك في جمادى الاخره سنه ثلث وسبعين وقابل عسكر
الملك الصالح العسكر الفرنجيه ولما راى اهل القلعه خطرها
من جانب الفرنج سلموها الى الملك الصالح في العشر الاخير من شهر
رمضان من السنه المذكوره ولما عرف الفرنج ذلك رحلوا
عن حارم طالبين بلادهم وذلك في تاسع عشر شهر رمضان من
السنه المذكوره ولما عرف الفرنج ذلك رحلوا عنها ثم عاد
الملك الصالح الى محروسه حلب ولم يزل اصحابه على اختلاف يميل
بعضهم الى جانب السلطان حتى بلغه غضبان قلج غرس ابن نيل

حايله فخرج اليه العسكر وذلك في عاشر المحرم سنة
ست وسبعين وخمسمائة ثم بلغه وفاة ابن عمه سيف الدين
صاحب الموصل غازي وكانت وفاته رحمه الله في ثالث صفر
سنة ست وسبعين وولي مكانه اخوه عز الدين مسعود
وسمع تاريخ وفاة شمس الدولة رحمه الله (ن)

ذكر عود السلطان رحمه الله الى الشام

ولما عاد السلطان رحمه الله بعد الكرم الى الديار المصرية واقام
بها ريثما لم الناس شعثهم وعلم تخبط الشام عزم على العود
اليه وكان عوده للغزاه فوصله رسل قليج ارسلان يلتمسون
من السلطان الموافقه ويستغيث اليه من الارمن فاشتمل نحو
بلاد ابن لاون لنصرة قليج ارسلان عليه ونزل نهر الحار واخذ
عسكر حلب بخدمته لانه كان قد اشترط في الصلح واجتمعوا على نهر
الازرق بين بهسني وحصن منصور وعبر منه الى النهر الاسود
طرف بلاد ابن لاون فاخذ منهم حصنا واخربه وبذلوا له الاسارى
والتمسوا منه الصلح وعاد عنهم ثم راسله قليج ارسلان في صلح الشرقيين

باسرهم

باسرهم واستقر الصلح وحلف السلطان قدس الله روحه في
عاشر جمادى الاولى سنة ست وسبعين ودخل في الصلح
قليج ارسلان والمواصلة والديار بكرية وكان ذلك على نهر
سنجه وهو نهر يرمي الى الفرات وسار السلطان نحو دمشق المحروسة

ذكر وفاة الملك الصالح رحمه الله

ولما دخل جمادى الاخرة سنة سبع وسبعين مرض الملك
الصالح بالقولنج وكان اول مرضه في تاسع رجب سنة سبع
وسبعين وفي ثالث وعشرين منه غلق باب القلعة لشدة
مرضه واستدعى الامرا واحدا واحدا واحدا واستحلفهم لعز
الدين صاحب الموصل وفي خامس وعشرين منه توفي رحمه الله وكان
لموته وقع عظيم في قلوب الناس (ن)

ذكر وصول عز الدين الى حلب

ولما توفي سارعوا الى اعلام عز الدين مسعود بن قطب الدين بذلك
وبالعلامة بالحوي لدى الوصيه اليه وتحليف الناس له فسارع
سائرا الى حلب مبادرا خوفا من السلطان قدس الله روحه فكان

اول قادم من اسرائه الى حلب من زين الدين مظفر الدين
وصاحب سروج ووصل معهما من خلف جميع الامراء وكان
وصولهم في ثالث شعبان من السنة المذكورة وفي العشرين منه
وصل عز الدين الى حلب وصعد القلعة واستولى على خزائنها
وذخائرها وتزوج ام الملك الصالح في خامس شوال من السنة
المذكوره ن

ذكر مقايضة عز الدين اخاه
عماد الدين زنكي بالبلاد ن

ثم اقام عز الدين بقلعه حلب الى سادس عشر شوال من السنه
المذكوره وعلم انه لا يمكنه حفظ الشام مع الموصل لحاجته الى
ملازمه الشام لاجل السلطان قدس الله روحه والح عليه
الامراء في طلب الزيادات وراوا انفسهم انهم قد اختاروه وضاق
عطنه وكان صاحب امره مجاهد الدين قايماز وكان ضيق
العطن لم يتعود مقاساه امرا الشام فرحل من قلعه حلب
في سادس عشر شوال طالبا الرقه وخلفه ولده ومظفر الدين
بن زين الدين بها وسار حتى اتى الرقه ولقيه اخوه عماد الدين عن

قرار بينهما واستقر مقايضه حلب بسنجار وحلف عز الدين
لاخيه عماد الدين على ذلك في حادي عشر شوال وسار من جانب
عماد الدين من تسلم حلب ومن جانب عز الدين من تسلم سنجار وفي
ثالث عشر المحرم سنه ثمان وسبعين صعد عماد الدين قلعه حلب

ذكر عود السلطان قدس الله روحه
من مصر

واما السلطان رحمه الله فانه لما وقع الصلح على يد قليج ارسلان
سار الى الديار المصريه حرسها الله تعالى واستخلف بن
اخيه عز الدين فرخشاه واليا ولما بلغ السلطان قدس الله
روحه وفاه الملك الصالح عزم على العود الى الشام خوفا
على البلاد من التشويش وبلغه ايضا وفاه فرخشاه في يوم الجمعه
مستهل رجب سنه سبع وسبعين وخمسمايه فاشتد
عزمه وكان وصوله الى محروسه دمشق في سابع عشر
صفر سنه ثمان وسبعين ثم انشا الناهب لغزاه بيروت
فانه عبر على الفرنج في غوره من مصر ... بن ... غير صلح فقصد

ببيروت ونازلها فلم ينل منها غرضًا ولم تخنع الفرنج فرحلوه
عنها ودخل الى دمشق وبلغه ان رسل الموصل وصلوا الى الفرنج
يحثونهم على قتال المسلمين فعلم انهم نكثوا اليمين وانشا العزم
على قصدهم ليجمع كلمة العساكر الاسلاميه على عدو الله تعالى
فاخذ في التاهب لذلك فلما بلغ ذلك عماد الدين سير الى الموصل
يشعرهم بالخبر ويستحث العساكر وسار السلطان قدس الله
روحه حتى نزل على حلب في ثامن عشر جمادى الاولى سنه
ثمان وسبعين واقام ثلثه ايام ورحل في الحادي والعشرين
منه يطلب الفراة واستقر الحال بينه وبين مظفر الدين وكان
صاحب حران وكان قد استوحش من جانب الموصل وخاف من
مجاهد الدين فالتجا الى السلطان رحمه الله وعبر اليه الى ماطع
الفراة ونوى عزمه على البلاد وسهل امرها عنده وعبر
الفراة واخذ الرها والرقه ونصيبين وسروج ثم بحق على الخابور
واقطعه

ذكر نزوله رحمه الله عليه على الموصل

وكا

وكان نزوله رحمه الله عليها في هذه الدفعه يوم الخميس
حادي عشر رجب سنه ثمان وسبعين ولما نزل بالموصل
قد سيرت رسولا الى بغداد قبل نزوله عليها بايام ولابل
سيرته مسرعا في دجله واتيت بغداد في يومين وساعتين من
اليوم الثالث مستنجدا بهم فلم يحصل منهم سوى الانفاذ الى شيخ
الشيوخ رحمه الله وكان في صحبته رسولا من جانبهم يامرونه
بالحديث معه ويتلطف الحال معه وسير الى بهلوان رسولا
من الموصل يستنجد فلم يحصل منه سوى شرط كان الدخول تحته
اخطر من حرب السلطان رحمه الله ثم اقام السلطان على
الموصل اياما وعلم انه بلد عظيم لا يحصل منه شي بالمحاصره على هذا
الوجه وراى ان طريق اخذه اخذ قلاعه وما حوله من
البلاد واضعافه بطول الزمان فرحل عنها ونزل على سنجار
في سنجار في سادس عشر شعبان سنه ثمان وسبعين وحصرها

ذكر اخذه سنجار

واقام رحمه الله يحاصر سنجار وكان فيها شرف الدين بن قطب
الدين في جماعه واشتد عليه الامر حتى كان ثاني شهر رمضان
سنه ثمان وسبعين فاخذها عنوه وخرج شرف الدين وجماعته

بحر بين محفوظين الى محروسه الموصل واعطاها ابن اخيه
تقي الدين ورحل عنها الى نصيبين ٥

ذكر قضية شاه ارمن صاحب خلاط

وذلك ان اصحاب الموصل انفذوا اليه واستنجدوا به وطرحوا
انفسهم عليه فخرج من خلاط لنصرتهم ونزل الحرزم وسير
الى صاحب الموصل عز الدين يعلمه بخروجه اليه وذلك في خامس
عشرين شوال سنة ثمان وسبعين وخمسمائة فسار حتى اجتمع
به صاحب ماردين ووصل جاءهم عسكر حلب كل ذلك اللقا
السلطان خاطبه في الصلح بتوسط شيخ الشيوخ فلم ينتظم بينهم
حال ورحل السلطان الى عسكر شاه ارمن فلما سمع شاه
ارمن بوصول السلطان قدس الله روحه ولى راجعا الى
بلاده وعاد عز الدين الى بلاده وتفرقوا وسار السلطان
قدس الله روحه يطلب آمد فنزل عليها ونازلها واخذها
في ستة ايام وذلك في اوائل المحرم سنة تسع وسبعين واعطاها
نور الدين بن قرا ارسلان وسلمها الى ابن نيسان بجميع ما كان فيها
من الاموال وغيرها ثم سار رحمه الله عليه يطلب الشام
لقصد حلب وفي هذه المدة خرج عماد الدين وخرب تلعه

عزاز في تاسع جمادى الآخرة من سنة ثمان وسبعين وخرب
حصن كفرلاثا واخذها من بكمش فانه كان قد صار
مع السلطان وفي ثاني عشر جمادى الاولى من السنة المذكورة
ونازل تل باشر وكان صاحبها قد صار مع السلطان فلم
يقدر عليها وجرى غارات من الفريقين والبلاد داخلة الخلاف
العساكر ودفعهم الله تعالى وتسلم الكرخين من عماد الدين

ذكر عود السلطان قدس الله روحه الى الشام

ولما عاد الى الشام بدا بتل خالد فنزل عليها ونازلها واخذها
في ثاني عشر المحرم سنة تسع وسبعين وخمسمائة ثم سار
طالبا حلب فنزل عليها في سادس عشر محرم سنة تسع وسبعين
وخمسمائة وكان اول نزوله بالميدان الاخضر وسير المقاتلة الى
بقتال ... وبباسطون عسكر حلب ببانقوسا وباب الجنان غدوة
وعشية وفي يوم نزوله جرح اخوه تاج الملوك رحمه الله ٥

ذكر اخذ حلب قدس الله روحه

ولما نزل على حلب استدعى العساكر من الجوانب واجتمع خلق

عظيم وما لهما فيه الا شديدا وتحقق عماد الدين انه ليس له به قبل
وكان قد ضرس من انتزاح الامرا عليه وجبههم فانفذ
الى حسام الدين طمان رحمه الله ان يسفر له مع السلطان
قدس الله روحه في اعادة بلاده وتسليم حلب اليه واستقرت
القاعدة ولم يشعر احد من الرعية وراء السور حتى تم الامر
وتحكمت القاعدة واستفاض ذلك واستعلم العسكر منه ذلك
فاعلمهم واذن لهم في تدبير انفسهم فانفذوا عنهم وعز الرعيه
عز الدين جرديك وزين الدين بلك البارومي فقعدوا
عنده الى الليل واستحلفوه على العسكر وعلى اهل البلد
وذلك في سابع عشر صفر سنة تسع وسبعين وخرجت
العساكر الى خدمته الى الميدان الاخضر ومقدموا حلب
وخلع عليهم وطيب قلوبهم واقام عماد الدين بالقلعة يقضي
اشغاله وينقل اقمشته وخزانته والسلطان مقيم
بالميدان الاخضر الى يوم الخميس الثالث والعشرين من صفر وفيه توفي
اخوه تاج الملوك من الجرح الذي كان اصابه رحمه الله ودفن

عليه امر موته وجلس للعزا وفي ذلك اليوم نزل عماد الدين
الى خدمته وعزاه وسيّره معه بالميدان الاخضر وتفرس [illegible]
فواعده وانزله عنده في الخيمة وقدم له تقدمة سنية
وخيلا جميلة وخلع على جماعة من اصحابه وسار عماد الدين من يومه
الى قراحصار سايرا الى سنجار واقام السلطان بالمخيم بعد
مسير عماد الدين غير مكترث بامرها ولا مستعظم لشانها الى
يوم الاثنين سابع عشرين صفر ثم في ذلك اليوم صعد
قدس الله روحه قلعة حلب مسرورا منصورا وعمل له حسام
الدين طمان دعوة سنية وكان قد تحال لاخذ ما تخلف
لعماد الدين من قماش وغيره ۞

ذكر اخذ حارم

وكان قد انفذ الى حارم من يتسلمها ودافعهم الوالي وانفذ
الاجناد الذين بها يستحلفونه فوصل خبرهم يوم الثلثا
ثامن عشرين صفر فحلف لهم وسار من وقته الى حارم فوصلها
في تاسع عشرين صفر وتسلمها رحمه الله وكان بها ليلتين وقرر

فواعدها وولى منها ابرهيم بن شروه وعاد الى حلب
ودخلها في ثالث ربيع الاول سنه تسع وسبعين ثم اعطا
العساكر دستورًا وسار كل منهم الى بلاده واقام بقرد
قواعد حلب وبدبر امورها

ذكر غزاه عين الجالوت

فلم يقم في حلب رحمه الله الا الى يوم السبت ثاني وعشرين
ربيع الاخر سنه تسع وسبعين وانشا عزمًا على الغزاه
فخرج في ذلك اليوم الى الوطيحي مبرزًا نحو دمشق المحروسه
واستنهض العساكر فخرجوا يتبعونه ثم رحل في رابع وعشرين
منه الى حاه ووصلها ثم رحل في بقيه يومه ولم يزل يواصل
بين المنازل حتى دخل دمشق في ثالث جمادي الاول سنه تسع وسبعين
فاقام بها متاهبًا الى سابع وعشرين منه ثم برز في ذلك اليوم ونزل
على جسر الخشب وتبعته العساكر مبرزه واقام بها تسعة ايام
ثم رحل في تاسع جمادي الاخره من السنه المذكوره وسار حتى
انى القوار ونعبا فيه للحرب وسار حتى نزل العصير فانبه واصبح

على

على المخاض وعبر وسار حتى اتى بيسان فوجد اهلها قد
نزحوا عنها وتركوا ما كان من ثقيل الامتعه والغلال
والامتعه فنهبها العسكر وغنموا والحر فوا ما لم يكن اخذه
وسار حتى اتى الجالوت وهي قريه عامره وعندها عين جاريه
فخيم بها وكان قد قدم عز الدين جرديك وجماعه من المماليك
النوريه وجاولي ملول اسد الدين حتى يكشفوا خبر الفرنج
فاتفق انهم صادفوا عسكر الكرك والشوبك سايرين
نجده للفرنج فوقع اصحابنا عليهم وقتلوا منهم مقتله عظيمه
واسروا منهم زها ماية نفر وعادوا ولم يفقد من المسلمين
سوي شخص واحد يدعا بهرام الشاووش ووصل الجند في بقيه
يوم الكسره وهو الخميس العاشر من جمادي الاخره من سنه تسع
وسبعين فاستبشر المسلمون بالنصر والظفر ولما كان السبت ثاني
عشره وصل الخبر الى السلطان قدس الله روحه ان الفرنج قد اجتمعوا
في صفوريه ورحلوا الى الفوله وهي قريه معروفه وكان غرضه
المصاف فطمع بذلك تعبا للقتال ورتب الاطلاب ميمنه وميسره

وقلبا وسار للقاء العدو وسار الفرنج طالبين المسلمين ووقعت
العين في العين واخرج السلطان الجاليش جماعة خيل معروفة
وواقعوا الافرنج وجرى قتال عظيم وقتل من العدو جماعة
وجرح جماعة وهم ينضم بعضهم الى بعض يحمي راجلهم فارسهم
ولم يخرجوا الى المصاف ولم يزالوا سائرين حتى اتوا العين ونزلوا
عليها ونزل السلطان رحمه الله عليه حولهم والقتل والجرح
يعمل فيهم ليخرجوا الى المصاف وهم لا يخرجون لخوفهم من المسلمين
فانهم كانوا في كثرة عظيمة ولما راى انهم لا يخرجون راى
الانتزاح عنهم لعلهم يرحلون فيضرب معهم مصافا فرحل
نحو الطور وذلك في سابع عشر جمادى الاخرة سنة تسع وسبعين
ونزل تحت الجبل مترقبا رحيلهم لياخذ منهم فرصة واصبح الفرنج
في ثامن عشر راحلين راجعين على اعقابهم ناكصين فرحل رحمه
الله يجوبهم وجرى من رمي النشاب واستنهاضهم للمصاف امور
عظيمة فلم يخرجوا ولم يزل المسلمون حولهم حتى نزلوا الفولة المقدم
ذكرها راجعين الى بلادهم فلما راى المسلمون ذلك اجتمعوا على

الس

السلطان قدس الله روحه واشاروا بالعود لفراغ ازوادهم
وكان قد نال منهم بالقتل والاسر وتخريب عفربلا وقلعة بيسان
وزرعين وغيرها من حصونهم المذكورة وخرب عليهم قرايا
عدة فعاد منصورا مظفرا مسرورا فسار حتى نزل الفوار واعطى
الناس دستورا من اثر المسير ثم سار هو رحمه الله حتى اتى دمشق
ودخلها فرحا مسرورا في يوم الخميس رابع وعشرين من جمادى
الاخرة سنة تسع وسبعين وخمسمائة فانظر الى هذه الهمة التي
لم يشغلها عن الغزاة اخذ حلب ولا الظفر بها بل كان غرضه
رحمه الله الاستعانة بالبلاد على الجهاد فالله يحسن جزاءه في
الاخرة كما وفقه للاعمال المرضية في الدنيا

ذكر غزاة انشاها رحمه الله الى الكرك

ثم انه اقام بدمشق الى ثالث رجب سنة تسع وسبعين
وخرج مبرزا نحو الكرك وكان قد سير الى الملك العادل
وهو بمصر يتقدم اليه بالاجتماع به على الكرك فبلغه
خبر حركته من مصر فخرج للقائه وسار حتى اتى الكرك

ووافاه الملك العادل عليها وقد خرج معه خلق عظيم من
تاجر وغير تاجر وذلك في رابع شعبان من السنة المذكورة
فلما اجتمعا على الكرك وكان قد بلغ الفرنج خذلهم الله
خبر خروجه فساروا براجلهم وفارسهم نحو الكرك للدفع
عنه ولما انتهى ذلك اليه سير الملك المظفر تقي الدين الى
مصر وذلك في خامس عشر شعبان من السنة المذكورة وفي صبيحة
السادس عشر منه نزلت الفرنج على الكرك وثم خرج
السلطان عنه بعد ان كان قاتله قتالا عظيما وعليه قتل
شرف الدين برغش النوري شهيدا رحمه الله في تاسع عشر رجب

ذكر اعطائه اخاه الملك العادل حلبا

ثم رحل السلطان قدس الله روحه مستصحبا اخاه الملك العادل
معه الى دمشق لما تبعد عن الكرك بعد نزول الفرنج عليها
فدخل دمشق في رابع عشري شعبان من سنة تسع وسبعين
واعطى اخاه الملك العادل رحمه الله حلبا بعد مفارقته بدمشق
الى ثاني شهر رمضان فسار في ذلك اليوم نحو حلب فوصلها وصعد

القلعة

القلعة في يوم الجمعة ثاني عشرين من شهر رمضان وكان بها ولد
السلطان الملك الظاهر ومعه سيف الدين يازكج يدبر امره
والي القلعة في البلد وكان السلطان الملك الظاهر من احب
اولاده الى قلبه لما قد خصه الله به من اشتمالها من الفطنة والعقل
وحسن السمت والشغف بالملك وظهور ذلك عليه وكان ابر
الناس بوالده والطوعهم له ولما اخذ منه حلب لمصلحة رآها
فخرج من حلب لما دخلها الملك العادل هو ويازكج سابق الى
خدمة السلطان فدخل دمشق يوم الاثنين ثامن عشر من شوال
سنة تسع وسبعين فاقام في خدمة والده لا يظهر له الا
الطاعة والانقياد مع انكسار في باطنه لا يخفى عن نظر
والده وفي ذلك الشهر وردنا على السلطان قدس الله روحه
رسلا من جانب الموصل وكان قد توسلت الى الخليفة الناصر
لدين الله في انفاذ شيخ الشيوخ صدر الدين رسولا وشفيعا
الى السلطان فسيره معنا من بغداد وكان عظيم الحرمة
عظيم الحرمة في دولة الخليفة وفي سائر البلاد وكانت مكانته

عند السلطان بحيث يتردد اليه اذا كان عنده في معظم
الايام

ذكر وصولنا الى خدمته ثانيا رحمه الله

وكان الشيخ قد وصل الى المحروسة الموصل متوكلا وسار
منها بعد ان سار في صحبة القاضي محيي الدين بن كمال الدين
وكان بها صحبه من الصبي ولشمع القوم وسرنا حتى انتهينا
دمشق وخرج السلطان الى لقا الشيخ ونحن نحضر منه فلقيه
عن بعد ونحن نحضر منه وكان دخولنا الى دمشق يوم السبت
حادي عشر ذي القعدة سنة تسع وسبعين ولقينا من السلطان
رحمه الله من جميل ما يرجع الى الاكرام والاحترام واقمنا
اياما نراجع في فصل حال فلم يتفق صلح في تلك الدفعة وخرجنا
راجعين الى الموصل وخرج السلطان الى وداع الشيخ الى القصير
ولحقته واي ذلك اليوم ان يقضي شغل فلم يتم وكان الوقوف
من جانب محيي الدين فان السلطان رحمه الله اشترط ان يكون
صاحب اربل والجزيرة على خيرتهما في الانتما اليه او الى الموصل

فقال محيي الدين لا بد من ذكرهما في النسخة فوقف الحال
وكان مسيرنا يوم الخميس ثالث ذي الحجة سنة تسع وسبعين
وفي تلك الدفعة عرض علي السلطان بواضح البها الدمشقي على بمصر
لسان الشيخ فاعتذرت ولم افعل خوفا من ان يحال توقف الحال
علي وفي تلك الدفعة ثبت في نفسه الشريفة مني امر لم اعرفه الا
بعد خدمتي له واقام السلطان رحمه الله بدمشق ترد عليه الرسل
من الجوانب فوصل رسول سنجر شاه صاحب الجزيرة فاستحلفه
لنفسه وانتمى اليه ورسول اربل وحلف لهم وسار ووصل اليه
اخوه الملك العادل يوم الاثنين رابع ذي الحجة فاقام عنده
وعيد وتوجه الى حلب المحروسة

ذكر عوده اخرى الى الكرك

وسار السلطان قدس الله روحه الى الكرك ليحاصرها فوصل
اليه ابن قرا ارسلان نور الدين طالبا في يوم الخميس ثالث عشر
صفر من سنة ثمانين وصحبنا به فاكرمه الملك العادل اكراما عظيما
واصعده الى القلعة ورحل معه طالبا دمشق وذلك في سادس

ربيع

وعشرين سنه وكان السلطان قدس الله روحه قد مرض
اياما ثم شفاه الله تعالى ولما بلغه وصول بن قزل ارسلان
خرج الى لقايه وكان رحمه الله بمكارم الناس مكارمه
عظيمه فالتقاه على عبر الجسر بالبقاع وذلك في تاسع ربيع
الاول سنه ثمانين ثم عاد رحمه الله الى دمشق وخلف نور
الدين واصلا مع اخيه الملك العادل رحمه الله فتاهب للغزاه
وخرج مبرزا الى جسر الخشب وذلك في منتصف ربيع الاول
وفي رابع وعشرين منه وصل الملك العادل ومعه بن قرا ارسلان
الى دمشق واقاموا بها اياما ثم رحلوا ملتحقين بالسلطان ولما
كان ثاني ربيع الاخر من السنه المذكوره رحل الملك الناصر
قدس الله روحه من راس الما طالبا للكرك فاقام فيها منها
اياما ينتظر وصول الملك المظفر من مصر الى تاسع عشر
ربيع الاخر وصل بعد السن الى تقي الدين الى خدمته واجتمع
به ومعه بيت الملك العادل قدس الله روحه وحواشه
وسيرهم الى الملك العادل وتقدم البدو الى يعقبه العساكر الى

البد

٤٦

البد الى الكرك فلحقت العساكر الى حرمه حتى احدقوا
بالكرك وذلك في رابع عشر جمادى الاول سنه ثمانين وركب
المناجيق على المكان وقد التقت العساكر المصري والشامي
والجزري انضاف مع ابن قزل ارسلان ولما بلغ الفرنج ذلك
خرجوا ابراجهم وفارسهم الى الذب عن الكرك وكان على المسلمين
منه ضرر عظيم فانه كان يقطع عن قصد مصر بحيث كانت القوافل
لا يمكنها الخروج الا مع العساكر الجمع الغفير فاهتم السلطان
رحمه الله عليه بامره ليكون الطريق سابله الى مصر ويسر الله ذلك
والمنه ولما بلغ السلطان قدس الله روحه خبر خروج
الفرنج تعبى للقايهم وامر العساكر ان خرجت الى ظاهر
الكرك وسير الثقل بحو البلد وبقي العسكر جريده
ثم سار السلطان بقصد العدو وكان الفرنج قد نزلوا
بموضع يقال له الواله وسار حتى نزل بالبلقا على قريه
يقال لها حسبان قباله الفرنج في طريقهم ورحل منها
الا موضع يقال له ماعين والفرنج مقيمون بالواله الى

سادس وعشرين من جمادى الاول ثم رحلوا قاصدين الكرك
فسار بعض العسكر وراهم فقاتلوهم الى اخر النهار ولما
راى قدس الله روحه تصميم الفرنج على الكرك امر العسكر
ان دخل الساحل لخلوه عن العساكر فهجموا نابلس ونهبوها
وغنموا اموالها ولم يبق فيها الا حصنها واخذوا جاسين والتحقوا
بالسلطان قدس الله روحه براس الما وقد نهبوا واسروا
واخربوا واحرقوا واتفق دخول السلطان الى دمشق
يوم السبت سابع جمادى الاخرة سنة ثمانين ومعه الملك العادل
ونور الدين بن قرا ارسلان فرحا مسرورا واكرمه واحترمه
واحسن اليه وفي هذا الشهر وصل رسل الخليفة ومعهم
الخلع فلبسها السلطان قدس الله روحه والبس اخاه الملك
العادل وابن اسد الدين خلعا جاءت لهم وفي رابع عشر الشهر
خلع السلطان خلعة الخليفة على نور الدين بن قرا ارسلان واعطاه
دستورا واعطى العساكر دستورا وسار بن قرا ارسلان
في تاسع عشر جمادى الاخرة طالبا بلاده وفي ذلك التاريخ وصل

رسل

رسل ابن زين الدين مستصرخا الى السلطان يخبر ان عسكر
الموصل وعسكر قزل نزلوا على اربل مع مجاهد الدين قايماز
وانهم نهبوا واحرقوا وانه نصر عليهم وكسرهم

ذكر خروج السلطان رحمه الله عليه
الى جهة الموصل الدفعة الثانية

ولما سمع ذلك رحل من دمشق يطلب البلاد ويتقدم الى العساكر
فتبعته وسار حتى الى حران على طريق البيرة والتقاه مظفر
الدين بالبيرة في ثاني عشر المحرم سنة احدى وثمانين وخمس
مائة وكان قد وصل الى السلطان عز الدين ابن عبد السلام
رسولا فلقيه بجاه يعني بما جرى واعطاه دستورا بعد
ان اكرمه وسار من غير عوض وتقدم السلطان رحمه
الله عليه الى سيف الدين المشطوب ان يسير في تقدمة العسكر
الى راس العين ووصل السلطان حران ثاني وعشرين من صفر

ذكر قبض مظفر الدين واطلاقه

وفي سادس وعشرين من صفر سنة احدى وثمانين قبض

السلطان على مظفر الدين بن زين الدين الذي كان حراني
سنه وحديث كان بلغه عنه رسوله فلم يقف عليه واخذ
واخذ منه قلعة حرّان والرها ثم اقام في الاعتقال
تأديبا الى مستهل ربيع الاول ثم خلع عليه وطيب قلبه
واعاد عليه قلعة حران وبلاده التي كانت بيده ولكاده
الى قانونه في الاحترام والاكرام ولم يتخلف له سوى قلعة
الرها ووعده بها ثم رحل السلطان رحمه الله عليه
من حرّان في ثاني ربيع الاول الى راس العين ووصله في
ذلك اليوم رسول قليج ارسلان يخبره ان ملوك الشرق باسرهم قد
اتفقت همتهم على قصد السلطان ان لم يعد عن الموصل وماردين
وانهم على عزم ضرب المصاف معه ان اصر على ذلك
فرحل السلطان رحمه الله يطلب دنيسر فوصلها يوم السبت
ثامن ربيع الاول عماد الدين قرا ارسلان ومعه عسكر
نور الدين صاحب ماردين فالتقاهم السلطان واحترمهم
ثم رحل السلطان رحمه الله عليه من دنيسر يوم

يوم

الثلاثاء حادي عشر نحو الموصل وسار حتى نزل بموضع
يعرف بالاسماعيليات قريب الموصل بحيث يصل العسكر
كل يوم نوبة حربية لحاصر الموصل فبلغ عماد
الدين ابن قرا ارسلان موت اخيه نور الدين فطلب من
السلطان دستورا طمعا في ملك اخيه فاعطاه دستورا

ذكر موت شاه ارمن صاحب خلاط

ولما كان ربيع الآخر سنة احدى وثمانين وخمسمائة
توفي شاه ارمن صاحب خلاط وولي بعده غلام له
يقال له بكتمر وهو الذي كان وصل رسولا الى
خدمة السلطان قدس الله روحه بسنجار فعدل
واحسن الى اهل خلاط وكان متصوفا في طريقته
فاطاعه الناس ومالوا اليه ولما ملك خلاط
اشتد نحوه الاطماع لموت شاه ارمن فسار نحوه
بهلوان ابن الدكز فلما بلغه ذلك سير الى خدمة السلطان
رحمه الله من يقرر معه تسليم خلاط اليه وابراجه

ثم حمله واقطعه ما يرضيه وقطع السلطان خلاط
وارتحل عن الموصل متوجها نحوها وسير اليها الفقيه عيسى
رحمه الله وعز الدين قليج ليتقدموا القاعدة ويجربوها
فوصلت الرسل وبهلوان قد قارب البلاد وجد الخوف
بهلوان من السلطان واستشعر انه ان قصده سلم البلاد
الى السلطان فطلب بهلوان اصلاحهم وزوجه بنت
لهم وولاه واعاد البلاد اليه واعتذر الى رسل السلطان
وعادوا من غير زبده وكان السلطان قدس الله
روحه قد نزل على ميافارقين محاصرها ۞

ذكر اخذه ميافارقين

ثم نزل على ميافارقين بعد عوده من الموصل وقاتلها قتالا
عظيما ونصب عليها مناجيق وكان بها انسان يقال
له الاسد وما قصر في حفظها الا ان الاقدار لا تغالب
فملكها السلطان قدس الله روحه عن صلح في تاسع
وعشرين من جمادى الاولى سنة احدى وثمانين

دكر

ذكر عود السلطان الى الموصل

فلما ايس رحمه الله من امر خلاط عاد الى الموصل ونزل بعيدا
عنها وهي الدفعة الثالثة بموضع يقال له كفر زمار
وكان الحر شديدا فاقام مده وفي هذه المنزله
اتاه سنجر شاه من الجزيره واجتمع به واعاده الى بلده
ومرض رحمه الله بكفر زمار مرضا شديدا خاف
من غائلته فرحل طالبا حران وهو مريض وكان
يتجلد ولم يزل في محفه فوصل حران شديد المرض وبلغ
الى غاية الضعف وايس منه وارجف بموته رحمه الله عليه
وكان رحيله من كفر زمار في مستهل شوال سنه
احدى وثمانين وخمسمايه ووصل اليه اخوه الملك العادل من حلب
ومعه اطباوها

ذكر صلح المواصله

وكان سبب ذلك ان عز الدين اتابك صاحب الموصل سير
الى الخليفه يستنجد به فلم يحصل منهم زبده وسير الى العجم

فلم يحصل منهم زبده فلما وصلت من بغداد واديت جواب
الرساله ابيت ان اخرج فلما بلغهم مرض السلطان
راوا ذلك فرصه وعلموا انه قلبه وسرعه انقياده في
ذلك الوقت فندبوني لهذا الامر وبها الدين الربيب ونفذ
الى امير التحه الذي يخلف بها وقالوا اسعى ما يصل جهدكم
وطاقتكم فسرنا حتى اتينا العسكر والناس كلهم ايسون
من السلطان وكان وصولنا في اوايل ذي الحجه من السنه
المذكوره فاحترمنا احتراما عظيما وجلس لنا وكان
اول جلوسه من مرضه وحلف في يوم عرفه واخذنا
منه في النهرين اخذها من سنجرشاه واعطاها المواصله
وحلفنا عنه يمينا تامه وحلفت اخاه الملك العادل ومات قدس
الله روحه وهو على ذلك الصلح لم يتغير عنه وسرنا عنه
وهو بحران وقد تماثل وقد وصله خبر موت ابن اسد الدين
صاحب حمص وكانت وفاته يوم عرفه من السنه المذكوره
ونحن في العسكر وجلس الملك العادل في العزا في ذلك

الايام كانت وقعه التركمان والاكراد وقتل بينهم خلق
عظيم وفي هذا الشهر وصل خبر وفاه بهلوان بن الذكر
وكانت وفاته في سلخ ذي الحجه

ذكر عوده رحمه الله عليه الى الشام

ولما وجد السلطان قدس الله روحه نشاطا من مرضه
رحل يطلب جهه حلب وكان وصوله اليها يوم الاحد رابع
عشر المحرم سنه اثنين وثمانين وخمسمايه وكان يوما مشهودا
لشده فرح الناس بعافيته ولقايه فاقام بها اربعه ايام ثم
رحل في ثامن عشره يحو دمشق فلقيه اسد الدين شيركوه بن
محمد بن شيركوه بتل السلطان ومعه اخته وقد صحبه خدمه
عظيمه وقرب زايده ومن عليه بحمص واقام بخدمته بركه
ابيه ثم سار يطلب جهه دمشق وكان دخوله اليها
في ثاني ربيع الاول وكان يوما سالما من مثله فرحا وسرورا
ووقع في هذا الشهر وقعات كثيره بين التركمان
والاكراد بارض نصيبين وغيرها وقتل من الفريقين خلق

عظيم وبلغ السلطان قدس الله روحه ان معين الدين ابن معين
الدين قد عصى بالراوندان وكتب الى عسكر حلب ان حاصروه
وكان نزولهم عليه في العشر الاول من سنة اثنتين وثمانين
واعطاه برج الرصاص لينزل فيه بقية الشهر وفي تاسع جمادى ذلك
الاولى من سنة اثنتين وثمانين وصل معين الدين من الراوندان
وقد سلمها الى علم الدين سليمان ثم مضى الى خدمة السلطان
وفي سابع عشر جمادى الاولى سنة اثنتين وثمانين وصل الملك الافضل
الى دمشق ولم [illegible] الى ان [illegible] ذلك الشام

ذكر مسير الملك العادل الى مصر وعود الملك الظاهر الى محروسة حلب

وذلك ان السلطان قدس الله روحه راى رواح الملك
العادل الى مصر فانه كان انس باحوالها من الملك المظفر
فاذن في المفاوضة في ذلك وهو على حران مريض وحصل ذلك
في نفس الملك العادل فانه يحب الديار المصرية فلما عاد السلطان
الى دمشق ومن الله بعافيته وسير يطلب الملك العادل

الى دمشق فخرج من حلب جريدة في السبت رابع عشر
ربيع الاول سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة وسار حتى وصل الى
دمشق فاقام بها في خدمة السلطان رحمه الله وجرى بينهما
احاديث ومراجعات في قواعد تقررت الى جمادى الاخرة من
السنة المذكورة واستقرت القاعدة على عود الملك العادل
الى محروسة مصر وتسلم حلب منه فسير الشحنة لاحضار
اهله من محروسة حلب

ذكر عود الملك الظاهر الى محروسة حلب

وكان الملك الظاهر والملك العزيز رحمهما الله بدمشق في
خدمة والدهم فلما استقرت القاعدة على عود الملك العادل
الى مصر استقرت على ان يكون اتابك الملك العزيز وتسلمه
[illegible] اليه يربي [illegible] ويسلم الملك العادل الى الملك الظاهر
حلب ولقد قال لي الملك العادل رحمه الله انه لما استقرت
هذه القاعدة اجتمعت بخدمة الملك العزيز والملك الظاهر وجلست
بينهما وقلت للملك العزيز اعلم يا مولاي ان السلطان قد امرني ان

اسير في خدمتك الى مصر وانا اعلم ان المفسدين كثيرا وغرا
فلما يخلوا من يقول عني ما لا يجوز ويحرك منى فان كان
لك عزم فاسمع فقال لا حتى لا اجي فقال الا اسمع وبعد حين
ذلك ثم التفت وقلت للملك الظاهر انا اعرف ان احال بها
سمع في اعمال المفسدين وانا فالى الان وقد فتحت سنك
فصح مني هما وصدى رجائه فقال مبارك وذكر هل
خير ثم ان السلطان الملك الظاهر رحمه الله سيره والده
قدس الله روحه الى محروسة حلب واتكادها علته
وكان قدس الله روحه يعلم ان حلب هي اصل الملك وحوزته
وقاعدته ولهذا كان في طلبها ذلك الداب ولما حصلت
اعرض عما سواها من بلاد الشرق وقنع منهم بالطاعة
والمعونة على الجهاد مسلما اليه على امنه لحذاقته
وحزمه وحفظه ونباهته وعلو همته فسار القاضي
ابن العين المباركة وسيرني خدمته صحبة حسام الدين
بشاره ووالينا عيسى بن بلاشو فنزل في يوم الجمعة بعين

يوم

بعين المباركة وخرج الناس الى لقائه في بكرة السبت
تاسع جمادى الاخرة من سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة وصعد
القلعة المحروسة ضاحي نهاره وفرح الناس به فرحا شديدا
ومد على الناس رواق عدله وافاض عليهم كامل فضله واما
الملك العزيز والملك العادل فان السلطان قدس الله روحه
قرر حالهما وكتب الى الملك المظفر يخبره بمسير الملك العزيز
ولده وهو صحبة عمه الملك العادل وياس من الوصول الى الشام
وشق ذلك على الملك المظفر واظهر للناس عزمه على المسير الى حتى
ديار المغرب الى برقة فنمى ذلك اليه جماعة من اكابر الدولة وعرفوه
ان عمه السلطان يخرج من يده في الحال والله يعلم ما يكون منه
بعد ذلك فاراه الله الحق بعين البصيرة واجاب بالسمع والطاعة
وسلم البلاد ورحل واصلا الى خدمة السلطان قدس الله
روحه فسار السلطان الى لقائه فلقيه بمرج الصفر وفرح
بوصوله فرحا شديدا وذلك في ثالث عشر شعبان سنة اثنتين وثمانين
وخمسمائة واعطاه حماه وسار اليها وكان قد عوض الملك

الظاهر وبعض بنات الملك العادل عقد نكاح منهم ذلك ودخل
بها يوم الاربعا سادس عشر شهر رمضان ودخل الملك الافضل
على زوجته بنت ناصر الدين بن اسد الدين في شوال من السنة المذكورة

ذكر غزاه انشاها رحمه الله عليها الى الكرك

ولما كان المحرم سنة ثمانين وخمسمائة عزم على قصد
الكرك فسير الى محروسة حلب من يستحضر العسكر وبرز من محروسة
دمشق في منتصف المحرم فسار حتى نزل بارض ينتظر الاجتماع
العساكر المصرية والشامية وامر العساكر المتواصلة اليه
بشن الغارات على بلاد في طريقهم من البلاد الساحلية ففعلوا
ذلك واقام رحمه الله عليه بارض الكرك حتى وصل الحاج الشامي
الى الشام واستوفا بلد العدو ووصل ثقل محروسة مصر الشوكي
ووصل بعدهم الملك المظفر وما كان له بالديار المصرية وتاخرت
عند العساكر الحلبية بسبب اشتغالها بالفرنج بارض انطاكية
وبلاد بن لاون وذلك انه كان قد بان ووصى لابن اخيه المعلوم لاون
بالملك وكان الملك المظفر بحماه وبلغ الخبر السلطان قصد العدو حده

فامرهم بالدخول الى بلاد العدو واخذ دابر منه وكان وصول
تقي الدين الى محروسة حلب في سابع عشر المحرم سنة ثلث وثمانين
فنزل في دار عفيف الدين ابن زريق واقام بها الى ثالث صفر
وانتقل الى دار كمال وفي دار السلطان تاسع صفر وسار الملك المظفر
بعسكر حلب الى محروسة حماه واقام بها ليعلم العدو ان هذا
الجانب ليس بمهمل وعاد السلطان الى الشام وكان وصول
السلطان رحمه الله الى السواد في خامس عشر ربيع الاول
سنة ثمانين وفي يوم الخميس سابع عشره نزل عشترا ولقيه
ولده الملك الافضل ومظفر الدين وجميع العساكر وكان تقدم
المظفر الى الملك الافضل مصالحة الجانب الحلبي مع الفرنج لينفرغ
البال من العدو في جانب واحد فصالحهم الملك المظفر في العشر
الاخير من ربيع الاول سنة ثمن وخمس مائة وتوجه الى
حماه يطلب خدمة السلطان للغزاة التي عزم عليها رحمه
الله عليه فسار ومن اجتمع من العساكر الشرقية في خدمته
وهم عسكر الموصل يقدمهم مسعود بن الزعفراني وعسكر

كمار دين الى ان انو عشترا في العشر الاوسط من ربيع الاخر
من السنة المذكورة فلقيهم السلطان قدس الله روحه واحترمهم
واكرمهم وفي منتصف ربيع الاخر من سنة ثلث وثمانين عرض
السلطان العساكر وقد عزم عليه على ان يعرف بنفسه
تسبل وتقدم الى ارباب الميمنة بحفظ مواضعهم والى اصحاب
الميسرة بذلك والى اصحاب القلب بمثله قدس الله روحه فما كان
احرصه على نصر الاسلام

ذكر وقعة حطين المباركة على المؤمنين

وكانت في يوم السبت رابع عشرين ربيع الاخر من شهور سنة
ثلث وثمانين وخمسمايه وذلك ان السلطان قدس الله روحه
ونور ضريحه راى ان نعمه الله عليه باستقرار قدمه في الملك
وتمكين الله اياه في البلاد وانقياد الناس لطاعته ولزومهم
قانون خدمته ليس لها شكر سوى الاشتغال ببذل الجهد
والاجتهاد في اقامة قوانين الجهاد فسير الى سائر العساكر
واستحضرها واجتمعوا اليه بعشترا في التاريخ المذكور عرضهم

وراتبهم واندفع قاصدا نحو بلاد العدو الى نزول في وسط نهار
الجمعة سابع عشر ربيع الاخر من السنة المذكورة وكان
ابدا يقصد بوقعاته الجمع سيما اوقات صلوة الجمعة تبركا
بدعا الخطبا على المنابر فربما كانت اقرب الى الاجابة فسار
في ذلك الوقت على تعبية الحرب وكان بلغه ان العدو المخذول
لما بلغهم ان السلطان قد جمع العساكر اجتمعوا باسرهم في مرج
صفورية بارض عكا فقصد نحو المصاف معهم فسار ونزل
من بوسة على بحيرة طبرية عند قرية تسمى الصنبرة ورحل من
منال ونزل غربي طبرية على سطح الجبل لتعبية الحرب
منتظرا ان الفرنج اذا بلغهم ذلك قصدوه فلم يتحركوا من
منزلتهم وكان نزوله في هذه المنزلة يوم الاربعا الحادي
والعشرين من ربيع الاخر المذكور فلما رايهم لا يتحركون نزل جريدة
على طبرية ونزل الاطلاب على حالها قبالة وجه العدو
ونازل طبرية وزحف عليها فهجمها واخذها في ساعة من نهار
وامتدت الايدي اليها بالنهب والاسر والتحريق والقتل

واجتنب القلعه وتجندها ولما بلغ العدو ما جرى على طبريه
لم يتخذهم الصبر دون اجابه الحميه فرحلوا من وقتهم وساعتهم
وقصدوا طبريه للدفع عنها فاخبرت الطلايع الاسلاميه
الامير بحركه الفرنج فسيروا الى السلطان من عرّفه
ذلك فترك على طبريه من يحفظ قلعتها ولحق العسكر هو ومن
معه فالتقى العسكران على سطح جبل طبريه الغربي منها وذلك
في اواخر الخميس الثاني والعشرين من ربيع الاخر المذكور وحال الليل
بين الفئتين فباتا على مصاف شاكين في السلاح الى صبحه الجمعه
الثالث والعشرين منه فركب العسكران وتصادما وعملت الجاليشيه
وتحركت الاطلاب والتحم القتال واشتد الامر وذلك بارض قريه
تسمى اللوبيا وضاق الخناق بالقوم وهم سايرون كانما
يساقون الى الموت وهم ينظرون وقد ايقنوا بالويل والثبور
واحست انفسهم انهم في غدٍ زوار القبور ولم تزل الحرب تضطرم
والفارس مع قرنه يصطدم حتى لم يبق الا الظفر ووقوع
الوبال على من كفر فحال بينهما الليل وظلامه وجرى في ذلك

اليوم

٥٥

اليوم من الوقايع العظيمه والوقايع الجسيمه ما لم يحك عمن تقدم
وبات كل فريق في سلاحه ينتظر خصمه في كل ساعه وقد
اقعده التعب عن النهوض وشغله النصب عن الحبو فضلا
عن الركوض حتى كان صباح السبت الذي بورك فيه فطلب
كل من الفريقين مقامه وعلمت كل طايفه ان المكسور منها مدحور
الجنس معدوم النفس وتحقق المسلمون ان من ورايهم الاردن
ومن بين ايديهم بلاد القوم وان لا ينجيهم الا الله تعالى وكان
الله قد قدر نصر المسلمين فيسره واجراه على وفق ما قدره فحملت
الاطلاب الاسلاميه من الجوانب وحمل القلب وصاحوا
صيحه الرجل الواحد فالقى الله الرعب في قلوب الكافرين وكان
حقا علينا نصر المومنين وكان القومص ذكي القوم والمعيهم
فراى امارات الخذلان قد نزلت باهل دينه ولم يشغله ظن
محاسنه جنسه عن نفسه فهرب في اوايل الامر قبل اشتداده
واخذ طريقه نحو صور وتبعه جماعه من المسلمين فنجى وحده
وامن الاسلام كيده واحتاط اهل الاسلام باهل الكفر

والطغيان من كل جانب واطلقوا عليهم السهام وعلاوهم
بالصفاح فانهزمت منهم طايفة فتبعها ابطال المسلمين فلم
ينج منهم واحد واعتصمت الطايفة الاخرى بتل يقال له
تل حطين وهي قرية عندها وعندها قبر شعيب عليه وعلى
ساير الانبيا الصلاة والسلام فضايقهم المسلمون على التل واشعلوا
حولهم النيران وقتلهم العطش وضاق بهم الامر حتى كانوا
يستسلمون للاسر خوفا من القتل فاسر مقدمهم وقتل الباقون
واسروا وكان ممن سلم واسر من مقدميهم الملك جفري والبرنس
ارناط واخو الملك والبرنس هو صاحب الشوبك وابن الهنفري
وابن صاحبة طبرية ومقدم الداوية وصاحب جبيل ومقدم
الاسبتار واما الباقون من المقدمين فانهم قتلوا واما
الادوان فانهم انقسموا الى قتيل واسير ولم يسلم منهم الا من
اسر وكان الواحد منهم العظيم يخلد الى الاسر خوفا على
نفسه ولقد حكى لي من اثق به انه لقي بحوران شخصا واحدا
ومعه طنب خيمة فيه نيف وثلثون اسيرا يجرهم وحده

لحد الان

لحد الان وقع عليهم فاما الذين نفوا من مقدميهم فنذكر
حديثهم واما القومص الذي هرب فانه وصل الى طرابلس
فاصابه ذات الجنب فاهلكه الله بها واما مقدموا الاسبتار
والداوية فان السلطان قدس الله روحه اختار قتلهم فقتلوا
عن بكرة ابيهم واما البرنس ارناط فكان السلطان قدس
الله روحه قد نذر انه ان ظفر به قتله وذلك انه كان
عبر به بالشوبك قفل من الديار المصرية في حالة الصلح
فنزلوا عنده بالامان فغدر بهم وقتلهم فناشدوه الله
والصلح الذي بينه وبين المسلمين فقال ما يتضمن الاستخفاف
بالنبي صلى الله عليه وسلم وبلغ ذلك السلطان قدس الله روحه
فحملته الدين والحمية على انه نذر ان ظفر به قتله ولما فتح الله
تعالى عليه بالنصر والظفر جلس السلطان في دهليز
الخيمة فانها لم تكن نصبت والناس يتقربون اليه بالاسرى
وبمن وجدوه من المقدمين ونصبت الخيمة وجلس فرحا مسرورا
شاكرا لما انعم الله به عليه ثم استحضر الملك جفري واخاه

والبرنس ارناط وناول الملك جفري شربة من جلاب بثلج فشرب
منها وكان على اشد حال من العطش ثم ناول بعضها البرنس
ارناط فقال السلطان قدس الله روحه للترجمان قل للملك
انت الذي سقيته والا انا ما سقيته وكان على جميل عادة العرب
وكريم اخلاقهم ان الاسير اذا اكل او شرب من مال من اسره
امن فقصد بذلك الجري على مكارم الاخلاق ثم امرهم بمسيرهم
الى موضع عين لنزولهم فمضوا واكلوا شيئا ثم عاد استحضرهم
ولم يبق عنده احد سوى بعض الخدم واستحضرهم واقعد
الملك في الدهليز واستحضر البرنس ارناط وواقفه على ما
قال وقال له ها انا انتصر لمحمد ثم عرض عليه الاسلام
فلم يفعل ثم سل النيمجاه وضربه بها فحل كتفه وتمم عليه من حضر
وعجل الله بروحه الى النار فاخذ ورمي على باب الخيمة فلما
رآه الملك قد خرج على تلك الصورة لم يشك في انه يثنى به فاستحضره
وطيب قلبه وقال لم تجر عادة الملوك ان يقتلوا الملوك واما هذا
فانه تجاوز حده فجرى ما جرى وبات الناس في تلك الليلة على

اتم سرور واكمل حبور ترتفع اصواتهم بالحمد لله والشكر
له والتكبير والتهليل حتى طلع الصبح يوم الاحد

ذكر اخذ قلعة طبرية

ولما كان يوم الاحد الخامس والعشرين من ربيع الآخر نزل
قدس الله روحه على طبرية وتسلم بقيته ذلك اليوم قلعتها
واقام بها الى يوم الثلثا

ذكر اخذ عكا

ثم رحل قدس الله روحه طالبا عكا وكان نزوله عليها
يوم الاربعا سلخ ربيع الآخر وقاتلها بكرة الخميس مستهل
جمدى الاولى سنة ثلث وثمانين فاخذها واستنقذ من كان
فيها من الاسارى وكانوا زها اربعة الاف نفر واستولى
على ما فيها من الاموال والذخاير والبضايع والتجاير فانها كانت
مظنة التجار وتفرقت العساكر في بلاد الساحل ياخذون الحصون
والقلاع والاماكن المنيعة فاخذوا نابلس وحيفا وقيسارية
وصفورية والناصرة وكان ذلك لخلو الرجال بالقتل والاسر ولما

استعرت مواعدعكا واقتسم الغالون اموالها واسراها
سار يطلب حمص ں ں

ذكر اخذ تبنين

فنزل عليها يوم الاحد حادي عشر جمادي الاولى وهي قلعة
منيعة فنصب عليها المناجنيق وضيق عليهم وبالزحف كان
وكان بها رجال ابطال شديدون في دينهم فاحتاجوا
الى قتال شديد ونصر الله عليهم وتسلمها يوم الاحد ثامن
عشر الشهر المذكور عنوة واسر من بقي بها بعد القتل ثم رحل
منها الى مدينة صيدا فنزل عليها ومن الغد تسلمها وهو يوم
الاربعا العشرين من جمادي المذكور ٥

ذكر اخذ بيروت

ثم اقام عليها حتى قرر قاعدتها وسار الى اخذ بيروت
فنازلها يوم الخميس الثاني والعشرين من جمادي الاول من سنة
ثلث وثمانين فركب عليها القتال والزحف وضيق عليهم الامر
حتى اخذها يوم الخميس التاسع والعشرين من جمادي الاولى وتسلم

اصحابه جبيلا وهو على بيروت ولما فرغ بالله من هذا الجانب
راى قصد عسقلان ولم ير الاشتغال بصور بعد ان نزل
عليها ومارسها في هذا الوقت لان العسكر كان قد تفرق في
الساحل وذهب كل انسان ياخذ لنفسه شيا وكان قد ضرسوا
من القتال وملازمة الحرب وكان قد اجتمع في صور من ابقاه الله فتحها
كل فرنجي بقي في الساحل فراى قصد عسقلان لان امرها كان
ايسر ں

ذكر اخذ عسقلان

ونازلها يوم الاحد السادس عشر من جمادي الاخرة سنة
ثلث وثمانين وتسلم في طريقه مواضع كثيرة كالرملة والداروم
فاقام عليها المنجنيقات وقاتلها قتالا شديدا وتسلمها رحمه الله
عليه يوم السبت سلخ جمادي الاخرة من هذه السنة واقام عليها
الى ان تسلم اصحابه غزة وبيت جبرين والنطرون بغير قتال وكان
بين فتوح عسقلان واخذ الفرنج لها من المسلمين خمسة وثلثون سنة
فان العدو ملكها في السابع والعشرين من جمادي الاخرة سنة ثمان
واربعين وخمسمايه ں ں

ذكر فتوح القدس المبارك الشريف

ولما تسلم عسقلان والاماكن المحيطه بالقدس شمر عن ساق
الجد والاجتهاد في قصده واجتمعت اليه العساكر التي كانت
متفرقه في الساحل بعد قضا لبانتها من النهب والغاره فسار
نحوه معتمداً على الله مفوضاً امره الى الله منتهزاً فرصه فتح
باب الخير الذي حث على انتهازه اذا فتح بقوله عليه السلم من
فتح له باب خير فلينتهزه فانه لا يعلم متى يغلق دونه وكان نزوله
عليه قدس الله روحه يوم الاحد الخامس عشر من رجب سنه
ثلث وثمانين وخمسمائة المباركه فنزل بالجانب الغربي وكان مشحونا
بالمقاتله من الخياله والرجاله ولقد حزر اهل الخبره عدة من كان
فيه من المقاتله فكان يزيد على ستين الفا ما عدا النسا والصبيان
ثم انتقل رحمه الله لمصلحه راها الى الجانب الشمالي وكان انتقاله يوم
الجمعه العشرين من رجب ونصب عليه المنجنيقات في السور ما
يلي وادي جهنم في قرنه شماليه ولما راى اعدا الله ما نزل بهم من الامر
الذي لا يندفع عنهم وظهرت لهم امارات نصره الحق على الباطل

وكان

وكان قد القى في قلوبهم مما جرى على اخوانهم ورجالهم من السبي
والقتل والاسر وما جرى على حصونهم من الاستيلا والاخذ علموا
انهم الى ما صار اليه صايرون وبالسيف الذي قتل به اخوانهم مقتولون
فاستكانوا واخلدوا الى طلب الامان واستقرت القاعده
بالمراسله بين الطايفتين وكان تسلمه قدس الله روحه له في يوم
الجمعه السابع والعشرين من رجب وليلته كانت ليله المعراج
المنصوص عليها في القران المجيد فانظر الى هذا الاتفاق
العجيب كيف يسر الله عوده الى ايدي المسلمين في مثل زمان الاسرا
بنبيهم صلى الله عليه اليه وهذه علامه قبول هذه الطاعه
من الله تعالى وكان فتوحاً عظيماً شهده من اهل العلم خلق
عظيم ومن ارباب الحرف والخرق وذلك ان الناس لما بلغهم
ان الناس لما بلغهم ما يسر الله على يده من فتوح الساحل
شاع قصده القدس فقصده العلما من مصر ومن الشام بحيث
لم يتخلف معروف عن الحضور وارتفعت الاصوات بالضجيج والدعا
والتهليل والتكبير وخطب فيه وصليت فيه الجمعه يوم فتحه

وحط الصليب الذي كان على قبة الصخرة وكان شكلاً عظيماً
ونصر الله الاسلام نصر عزيز مقتدر وكانت قاعدة الصلح
انهم قطعوا على انفسهم عن كل رجل عشرة دنانير وعن كل امراة خمسة
دنانير صورية وعن كل صغير ذكر او انثى ديناراً واحداً فمن احضر
القطيعة سلم بنفسه والا اخذ اسيراً وفرج الله على من كان
اسيراً من المسلمين وكانوا خلقاً عظيماً زهاء ثلاثة آلاف اسير واقام
عليها رحمه الله عليه يجمع الاموال ويفرقها على الامرا والعلما
وايصال من دفع قطيعته منهم الى مامنه وهو صور ولقد بلغني
رحمه الله عليه رحل عنها ولم يبق معه من ذلك المال شيء وكان
مائتي الف دينار وعشرين الف وكان رحيله عنها رحمه الله عليه
يوم الجمعة الخامس والعشرين من شعبان سنة ثلث وثمانين خمسمائه

ذكر قصده صور يسر الله فتحها

ولما تيسر قدم السلطان رحمه الله عليه الى القدس الشريف حدثته
نفسه على قصد صور وعلم انه ان اخر امرها ربما اشتد فرحل
سائراً الى ان اتى عكا فنزل عليها ونظر في احوالها ثم رحل منها
الى صور يوم الجمعة خامس شهر رمضان وسار حتى اشرف
عليها ونزل قريباً منها ينتظر وصول الآت القتال

ذكر وصول ولده الظاهر اليه

وكان لما تجرد عزمه على قصد صور سير اليه يستحضره
فانه كان قد تركه بمحروسة حلب ليسد ذلك الجانب
لاشتغاله هو بامر الساحل فقدم عليه في ثامن عشر شهر
رمضان على تلك المنزلة وسر بوصوله سروراً عظيماً

ذكر نزوله على صور

ولما تكاملت عنده الآت القتال من المنجنيق والدبابات والستائر
وغير ذلك نزل عليها في ثاني عشرين شهر رمضان وضايقها وقاتلها قتالاً
عظيماً واستدعى اسطول مصر وكان يحاصرها من البحر والعسكر
من البر وكان قد خلف اخاه الملك العادل في القدس يقرر قواعده
فاستدعاه فوصل اليه في خامس شوال وسير من حاصر هونين
فسلمت بالامان في ثالث وعشرين من شوال سنه ثلث وثمانين

ذكر كسرة الاسطول

وذلك انه قدس الله روحه كان قدم على الاسطول انسانا
يقال له الفارس بدران وكان فارسا جلدا في البحر وكان
رئيس البحريين يقال له عبد المحسن وكان قد اوصى اليهم الوصية
في اخذ حذرهم وتيقظهم لئلا ينتهز منهم فرصة فناموا وغفلوا
عن انفسهم في الليل فخرج اسطول الكفار من صور وكبسهم
واخذوا المقدمين واخذوا منهم خمس قطع وقتلوا خلقا عظيما
من الاسطول الاسلامي وذلك في سابع وعشرين شوال فلما علم
السلطان رحمة الله عليه ساءه على المسلمين ضاق عطنه وكان
هجم الشتاء وتراكمت الامطار وامتنع الناس من القتال لكثرة
المطر فجمع الامرا واستشارهم فيما يفعل فاشاروا بالرحيل
لياخذ العسكر حظا من الراحة وليستعدوا لهذا الامر استعدادا
جديدا فراى ذلك رايا ورحل عنها بعد ان رمى المنجنيقات وبراها
واحرق ما لا يمكن نقله وكان رحيله يوم الاحد ثاني ذي القعدة
سنة ثلث وثمانين وخمسمائة ففرق العساكر واعطاها
دستورا وسار كل قوم الى بلادهم واقام هو مع جماعة من خواصه

بعكا حتى دخلت سنة اربع وثمانين وخمسمائة ان

ذكر نزوله على كوكب

ولما دخلت عليه هذه السنة المباركة راى الاشتغال
بهذه الحصون الباقية التي لهم مما يضعف قلوب من في صور
ويهون امرها به فاشتغل بذلك ونزل رحمه الله على كوكب في
اوائل المحرم سنة اربع وثمانين وخمسمائة وكان سبب بداية
ذلك انه كان قد جعل حولها جماعة يحفظونها من ان يدخل اليهم
قوت او جماعة فخرج الفرنج ليلا واخذوا غرتهم وكبسوهم
بعفربلا وقتلوا مقدمهم وكان من الامرا يعرف بسيف الدين
اخي الجاولي واخذوا اسلحتهم فسار رحمه الله من عكا ونزل
عليها بمن كان قد بقي معه من خواصه بعكا فانه كان قد
اعطى العساكر دستورا وعاد اخوه الملك العادل الى مصر
وعاد ولده الملك الظاهر الى محروسة حلب ولقي في طريقه
شدة من الثلج والبرد فحملت السلطان مع ذلك رحمة الله عليه
الحمية على النزول عليها واقام يقاتلها مدة وفي تلك المنزلة وصلت

الى خدمته فانى كنت تحت ملك وثمانين وخمسمائة وكانت
وقعة ابن المقدم وجرحه يوم عرفة على عرفة لخلاف جرى
بينه وبين امير الحاج لمستندين على ضرب الكوس والدبدبة فان
امير الحاج نهاه عن ذلك فلم ينته ابن المقدم وكان من اكبر
امرا الشام وكان كثير الخير كثير الغزاة فقدر الله انه جرح
يوم عرفة بعرفة ثم حمل الى منا مجروحا ومات بها يوم الخميس
يوم عيد الله الاكبر وصلى عليه في مسجد الخيف في بقية ذلك
اليوم ودفن بالمعلا وهذا من اتم السعادات وبلغ ذلك السلطان
قدس الله روحه فشق عليه ثم اتفق لي العود راجعا على الشام
لفضل القدس وزيارته والجمع بين زيارة النبي صلى الله عليه وسلم
وزيارة ابيه ابرهيم عليهما السلم فوصلت الى دمشق ثم خرجت الى
القدس فبلغه خبر وصولي فظن انى وصلت من جانب الموصل
بحديث فاستحضرني عنده وبالغ في الاكرام والاحترام رحمة
الله عليه ولما ودعته ذاهبا الى القدس خرج الى بعض خواصه
وابلغني تقدمه الي بان اعود امثل في خدمته عند العود من القدس

وظننت انه يوصيني بهم الى الموصل المحروسة وانصرفت الى القدس
الشريف حرسه الله تعالى يوم رحيله عن كوكب ورحل رحمه
الله لانه علم ان هذا الحصن لا يؤخذ الا بجمع العساكر عليه
وكان حصنا قويا وفيه رجال شداد من بنا بالسيف ومنعه
عظيمه فرحل رحمه الله الى المحروسة دمشق وكان دخوله اليها
في سادس ربيع الاول سنة اربع وثمانين وفي ذلك اليوم اتفق
دخولي المحروسة دمشق عايدا من القدس الشريف فاقام
رحمه الله عليه في دمشق خمسة ايام وكان له عنها ستة
عشر شهرا وفي اليوم الخامس بلغه خبر الفرنج انهم قصدوا
جبيلا واغتالوها فخرج رحمه الله عليه منزعجا ساعة بلوغ الخبر
وكان قد سير الى العساكر يستدعيها من سائر الجوانب وسار
يطلب جبيلا فلما عرف الفرنج بخروجه قعدوا عن ذلك وكان
بلغه وصول عماد الدين زنكي صاحب الموصل ومظفر الدين بن زين
الدين الى حلب قاصدين الخدمة للغزاة فسار نحو حصن
الاكراد في طلب الساحل الشرقاني ن

ذكر دخوله الساحل الاعلى واخذه اللاذقية وجبلة وغيرهما

ولما كان مستهل ربيع الآخر نزل على تل قبالة حصن الاكراد
ثم سير الى الملك الظاهر ولده والملك المظفر ان يجتمعا ويرابطا
بتيزين في هذا التاريخ وسارت عساكر الشرق حتى لحقت
بخدمة السلطان قدس الله روحه في هذه المنزلة ووصلت
اليه رحمة الله عليه في هذه المنزلة فانه كان قد سيرني
الى دمشق يقول لحقنا بحمص فخرجت على عزم المسير
الى الموصل متجهزا لذلك فوصلت اليه امتثالا لامره فلما
حضرت عنده رحمة الله عليه فرح بي واكرمني وكان
قد جمعت له كتابا في الجهاد بدمشق ست مقامي بها جمع
احكامه وآدابه فقدمته بين يديه فاعجبه وكان يلازم
مطالعته رحمة الله عليه وما زلت اطلب دستورا في كل وقت
وهو رحمة الله عليه يدافعني عن ذلك ويستدعيني للحضور
في خدمته في كل وقت ويبلغني على السنة الحاضرين انه

وذكره اياي بالجميل فاقام رحمة الله عليه في منزلته تلك
ربيع الآخر جميعه وسعد في اثنائه الى حصن الاكراد وجاء
يوما بجملته ما كان يلي لوقت لحمل حصاره واجتمع العساكر من
الجوانب واغار على بلد طرابلس في هذا الشهر دفعتين ودخل
البلاد مغيرا ومختبرا لمن بها من العساكر وتقوية العساكر
بالغنائم ثم نادى في الناس في اواخر الشهر انا داخلون الى
الساحل وهو قليل الازواد والعدو محيط بالبلاد من سائر
الجوانب فاحملوا زاد شهر ثم سيرني الى الفقيه عيسى رحمه
الله وكشف لي انه ليس في عزمه ان يمكنني من العود الى
بلادي وكان الله تعالى قد اوقع في قلبي محبته منذ رأيته وحب
الجهاد فاجبته الى ذلك وخدمته من تاريخ مستهل جمادى
الاولى سنة اربع وثمانين وهو يوم دخوله الساحل وجميع ما
حكيته من قبل انما هو رواية عمن اثق به ومن شاهده ومن
هذا التاريخ ما اسطره انما شاهدته او اخبرني به من اثق
به خبرا يقارب العيان والله الموفق

ذكر دخوله رحمه الله عليه الى الساحل

ولما كان يوم الجمعه رابع عشر جمادي الاولى رحل رحمه الله عليه على تعبيه لقا العدو ورتب الاطلاب وسارت الميمنه اولا ومقدمها عماد الدين زنكي والقلب في الوسط والميسره في الاخر ومقدمها مظفر الدين بن زين الدين وسار الثقل في وسط العسكر حتى اتى المنزل فبات تلك الليله في بلد العدو ثم رحل في صبيحه السبت ونزل على العمق به فلم يقاتلها ولم يتعرض لها واقام عليها بقيه النهار يوم السبت ورحل عنها يوم الاحد

ذكر فتح انطرسوس

وكان وصوله رحمه الله عليه الى انطرسوس ضاحي نهار الاحد سادس جمادي الاولى سنه اربع وثمانين فوقف قبالتها ينظر اليها وكان في عزمه الاجتياز فانه كان له عمل جبله فاستهان بامرها فعزم على قتالها فسير من رد الميمنه وامرها بالنزول على جانب البحر وامر الميسره بالنزول على البحر من الجانب الاخر ونزل هو في موضعه رحمه الله عليه

وصار

وصارت العساكر محدقه بها من البحر الى البحر وهي مدينه راكبه على البحر ولها برجان كالقلعتين حصينان وكان راس الميمنه عماد الدين صاحب سنجار وراس الميسره مظفر الدين بن زين الدين وركب رحمه الله عليه وقارب البلد وامر الناس بالزحف والقتال فلبسوا لامه الحرب واشتد عليها الحرب والقتال والزحف وصايحهم وباغتهم فما استتب نصب الخيم حتى صعد الناس السور واخذها سيفا وغنم العسكر جميع من بها وما بها وخرج الناس والاسرى بايديهم واموالهم ونزل الغلمان نصب الخيم واستحلوا النهب والكسب ووفى بقوله رحمه الله فانه كان قد عزم على الغدا فقال ان نتغدى بانطرسوس ان شا الله تعالى وعاد الى خيمته فرحا مسرورا وحضرنا عنده للهنا بما جرى ومد الطعام وحضر الناس واكلوا على عادتهم ورتب على البرجين اللذين بقيا للحصار مسلم احدهما الى مظفر الدين فما زال يحاصره حتى اخربه واخذه وكان فيه وامر السلطان رحمه الله باخراب سور البلد وقسمه على الامرا وشرعوا في

حصار به واخذ في محاصرة البرج الآخر وكان حصينا
منيعا مبنيا بالحجر النجيت وقد اجتمع من كان فيها من
الخيالة والمقاتلة فيه وخندقه يدور فيه الماء وفيه
جروح كثيرة تجرح الناس عن بعد وليس له قدر الجروح
عليه مسلم فرأى السلطان ناصره ان التوجه والاشتغال بما هو
أهم منه فاشتغل في خراب السور حتى أتى عليه وخرب
البيعة وهي بيعة عظيمة عندهم يحجون اليها من اقطار
بلادهم وامر بوضع النار في البلد فاحرق جميعه
حتى كانت تتأجج النار في ادره وبيوته والاصوات مرتفعة
بالتهليل والتكبير فاقام عليها رحمه الله عليه بتخريبها
الى رابع عشر جمادي الاولى وسار يريد جبله وكان عرض
له ولده الملك الظاهر في اثنا طريق جبله فانه طلبه ولم
ان يحضر معه جميع العساكر التي كانت بتيزين مخيمة وهم في خدمته

ذكر فتوح جبله

وكان وصوله قدس الله روحه اليها ثامن عشرة في

يوم الجمعة وما استتم نزول العسكر حتى اخذ البلد وكان
فيه مسلمون مقيمون فيه وقاضٍ يحكم بينهم وكان قد عمل على
البلد فلم يمتنع وبقيت القلعة ممتنعة ونزل العسكر محدقا
بالبلد وقد دخله المسلمون واشتغل بقتال القلعة فقوتلوا قتالا
نقبتم عدة المن كان فيها وسلمت بالامان يوم السبت تاسع عشر
جمادي الاولى واقام عليها رحمه الله عليه الى ثالث عشري الشهر
المذكور وسار عنها يطلب اللاذقية

ذكر فتوح اللاذقية

وكان نزوله عليها يوم الخميس رابع عشري جمادي الاول سنة
اربع وثمانين وهي بلد مليح خفيف على القلب غير مسور وله ميناء
مشهور وله قلعتان متصلتان على تل يشرف على البلد فنزل
رحمه الله عليه محدقا بالبلد واخذ العسكر منازلهم مستديرين
على القلعتين من جميع نواحيها الا من جانب البلد واشتد
القتال وعظم الزحف وارتفعت الاصوات وقوي الضجيج
الى آخر النهار واخذ البلد دون القلعتين وغنم الناس منه

غنيمة عظيمة فانه كان بلد التجار وفرق من الناس الكثير وجوده
وأصبح يوم الجمعة ثالثه مجتهدا في اخذ النقوب واخذت
النقوب يوم الجمعة من شمال القلاع وتمكن منها النقب
حتى بلغ طوله على ما حكى لي من ذرعه ستين ذراعا
وعرضه اربعة اذرع واشتد الخوف المرجف عليهم حتى
صعد الناس الجبل وقاربوا السور وتواصل القتال حتى
صار وانيجا دون حجارة اليد فلما راى عدو الله ما حل به
من الصغار والبوار استغاثوا بطلب الامان عشية الجمعة
خامس عشر الشهر وطلبوا ان يخرج جبلة فدخل اليهم ليقرر
لهم قاعدة الامان فاجيبوا الى ذلك وكان رحمه الله عليه
متى طلب منه الامان لا يبخل به فعاد الناس عنهم الى خيامهم
وقد اخذ منهم النقب فباتوا الى صبيحة السبت ودخل قاضي
جبلة اليهم واستقر الحال معهم على انهم يطلقون نفوسهم وذراريهم
ونساءهم ولم يأخذوا من اموالهم شيئا خلا الغلال والذخائر والات السلاح
والدواب واطلق لهم دواب يركبونها الى مأمنهم واجيبوا الى

ذلك ودق عليها العلم الاسلامي المنصور في عقيب السبت
المذكور المبارك واقمنا عليها الى يوم الاحد سابع عشرين
جمادى الاولى

ذكر فتح صهيون

ورحل عن اللاذقية يوم الاحد المذكور طالب
صهيون المحروسة وكان النزول عليها يوم الثلثا ثالث عشرين
جمادى المذكور واستدار العسكر بها من سائر نواحيها
بكرة الاربعا ونصب عليها ستة مناجيق وهي قلعة حصينة
منيعة وهي في طرف جبل خنادقها اودية هائلة واسعة
عميقة وليس لها خندق محفور الا من جانب واحد مقدار
طوله ستون ذراعا ولا يبلغ وهو نقر في صخر ولها ثلثة اسوار
سوران دون ربضها وسور دون القلة وسور القلعة
وكان على قلتها علم طويل منصوب فحين اقبل العسكر الاسلامي
شاهدته وقد وقع فاستبشر المسلمون بذلك وعلم انه النصر
والفتح واشتد القتال عليها من سائر الجوانب فضربها

ولده الملك الظاهر صاحب حلب وكان قد تخلف قبيل جبله
بجحفله وعسكره وحضر فتوجها وكان نصب على صهيون
منجنيقات قبالة قرنه من سورها قاطع الوادي وكان صاحب
المجنيق لم يزل يضربها حتى هدم من السور قطعة عظيمة يمكن
الصاعد في السور من الشرقي اليه منها ولما كان يوم الجمعة
ثاني جمادى الآخرة عزم على السلطان رحمه الله عليه على
الزحف وركب رحمه الله عليه وتقدم وامر المنجنيقات ان
تتوالى بالضرب وارتفعت الاصوات وعظم الضجيج بالتكبير
والتهليل وما كان الا ساعة حتى رقي المسلمون على اسوار
الربض واشتد الزحف وعظم الامر وهجم المسلمون الربض
ولقد كنت اشاهد الناس وهم ياخذون القدور وقد
استوى فيها الطعام فياكلونها وهم يقاتلون القلعة
وانضم من كان في الربض الى القلعة وما امكنهم ان يحملوا من اموالهم
ونهب الباقي واستدار المقاتلة حول اسوار القلعة فلما
عاينوا الهلاك استغاثوا بطلب الامان واتفق عليهم ان يسلموا

وصل طلبهم الى السلطان
فبذل لهم الامان

بانفسهم واموالهم ويوخذ من الرجل منهم عشرة دنانير ومن
المراة خمسة دنانير ومن الصغير ديناران وسلمت القلعة
ولله الحمد واقام السلطان رحمه الله عليه حتى تسلم عدة
قلاع كالعيذو وبلاطنس وغيرهما من القلاع والحصون
وتسلمها النواب فانها كانت تتعلق بصهيون

ذكر فتح بكاس

ثم رحل رحمه الله عليه وسرنا حتى اتينا بكاس وهي قلعة
حصينة على جانب العاصي ولها نهر يخرج من تحتها وكان
النزول بذلك المنزل على شاطئ العاصي وصعد السلطان
رحمه الله جريدة الى القلعة وهي على جبل يطل على العاصي
فاحدق بها من كل جانب وقاتلها قتالا شديدا
بالمنجنيقات والزحف المتضايق الى يوم الجمعة ايضا تاسع
جمادى الآخرة ويسر الله فتحها عنوة واسر من فيها بعد
قتل من قتل منهم وغنم جميع ما كان فيها وكان لها قليعة
تسمى الشغر قريبا منها يعبر اليها منها بجسر وهي في

غايه المنعه ليس اليها طريق فسلطت عليها المنجنيقات
من الجوانب وراوا انهم لا ناصر لهم فطلبوا الامان وذلك
يوم الثلثا ثالث عشره وسالوا ان يوخروا ثلثه ايام
لاستيذان من بانطاكيه يسر الله فتحها فاذن في ذلك وكان
تمام فتحها وصعود العلم السلطاني على قلتها يوم الجمعه
سادس عشره ثم عاد السلطان رحمه الله عليه الى
الثقل وسير ولده الملك الظاهر الى قلعه تسمى سرمانيه
يوم السبت سابع عشره فقاتلها قتالا شديدا وضايقها
مضايقه عظيمه وتسلمها ايضا يوم الجمعه ثالث عشرين
الشهر المذكور فاتفق فتوحات الساحل من جبله
الى سرمانيه في ايام الجمع وهي علامه قبول دعا خطبا
المسلمين وسعاده السلطان رحمه الله حيث يسر له الفتوح
في اليوم الذي تضاعف فيه ثواب الحسنات وهذا من نوادر
الفتوحات في الجمع المتواليه ولم يتفق مثلها في تاريخ

ذكر فتح برزيه

ثم سار السلطان رحمه الله حتى نزل على قلعه برزيه وهي
حصينه في غايه القوه والمنعه على سن جبل شاهق تضرب
بها المثل في جميع بلاد الفرنج والمسلمين تحيط بها اوديه من
سائر جوانبها وذرع علو قلتها فكان خمسمايه ذراع
ونيفا وسبعين ذراعا ثم حزر عزمه على حصارها تجردت بها
واستدعى الثقل وكان وصول الثقل ونصب العسكر
يوم السبت رابع عشرين جمادى الاخره ونزل الثقل تحت
جبلها وفي بكره الاحد خامس عشرين منه صعد السلطان
جريده مع المقاتله والمنجنيقات والات الحصار الى الجبل
فاحدق بالقلعه من سائر نواحيها وركب القتال عليها
من كل جانب وضرب اسوارها بالمنجنيقات المتواتره
الضرب ليلا ونهارا فاتفق انها حتى كان يوم الثلثا سابع
عشرين منه فقسم العسكر ثلثه اقسام ورتب كل قسم
يقاتل شطرا من النهار ثم يستريح ويتسلم القتال القسم
الاخر بحيث لا يفتر القتال عنها اصلا وكان صاحب النوبه

لامير علاء الدين صاحب سنجار فقاتلها قتالا شديدا
حتى استنفق نوبته وضجر الناس من القتال فتراجعوا
عنه وتسلم النوبة الثانية السلطان رحمه الله عليه
بنفسه وركب وتحرك حطوا عليه وصاح في الناس
فحملوا عليها حملة الرجل الواحد وصاحوا صيحة الرجل
الواحد وقصدوا السور من كل جانب فلم يكن الا بعض ساعة
وقد رقي الناس على الاسوار وهجموا القلعه واخذت عنوه
واستغاثوا الامان وقد نالت الايدي منهم فلم يك ينفعهم
ايمانهم لما راوا باسنا ونهب جميع ما فيها واسر جميع من
كان فيها وكان عدادهم في الهالكين عظيم وكانت من
قلاعهم المذكوره وكان يوما عظيما وعاد الناس الى
خيامهم غانمين بحمد الله تعالى وعاد السلطان قدس الله
روحه الى الثقل فرحا مسرورا واحضر بين يديه صاحب
القلعه وكان رجلا كبيرا منهم وكان هو ومن اخذ
من اهله سبعة عشر نفسا فمن عليهم السلطان وفرقهم

وانفذهم الى صاحب انطاكيه استمالة له فانهم كانوا
يتعلقون به ومن اهله

ذكر فتح درب ساك

ثم سار قدس الله روحه حتى اتى جسر الحديد واقام عليه
اياما وسار حتى نزل على درب ساك يوم الجمعة ثامن شهر
رجب سنة اربع وثمانين وهي قلعه منيعه قريبه من انطاكيه
يسر الله فتحها فنزل عليها وقاتلها قتالا شديدا
بالمجانيق وضايقها مضايقة عظيمه ولاخذ النقب حتى
برج منها وهدم النقب منها حتى وقع وحموه بالرجال
والقتاله ووقف في الثغر رجال يحمونها عوض بعد هدمها
ولقد شاهدتهم وكلما قتل منهم رجل قام عوضه مقامه
وهم قيام عوض الجدار مكشوفين واشتد بهم الامر حتى
طلبوا الامان واشترطوا مراجعة انطاكيه وكانت القاعده
ان ينزلوا بانفسهم وثياب ابدانهم لا غير ورقي عليها العلم الاسلامي
يوم الجمعه ايضا ثاني عشري رجب واعطاها علم الدين سليمان

من جبلة وسار عنها يوم السبت ثالث عشرين منه

ذكر فتح بغراس

وهي قلعة منيعة اقرب الى انطاكية من دربساك وكانت
كثيرة العدة والرجال فنزل العسكر بمرج لها واحدق
العسكر بها جريدة مع انا اخفينا في ذلك المنزل اليزك
لحفظه من جانب انطاكية لئلا يخرج منها من يهاجم العسكر
فضرب يزك الاسلام على باب انطاكية بحيث لا يشذ عنه
من يخرج منها وانا ممن كان في اليزك في بعض الايام لرؤية البلد
وزيارة حبيب النجار المدفون فيه ولم يزل يقاتل بغراس
مقاتلة شديدة حتى طلبوا الامان على استئذان
انطاكية ورقي العلم السلطاني عليها في ثاني شعبان من
شهور سنة اربع وثمانين وفي عقيب ذلك اليوم عاد رحمه الله
الى المخيم الاكبر وراسله اهل انطاكية في طلب الصلح فصالحهم
لشدة ضجر العسكر ووقوع قلق عماد الدين صاحب سنجار
في طلب الدستور وعقد الصلح بيننا وبين انطاكية من بلاد الفرنج

لا غير على ان يطلقوا جميع اسارى المسلمين الذين عندهم وكان
الى سبعة اشهر فان جاءهم من ينصرهم والا سلموا البلد
الى السلطان رحمه الله ورحل رحمة الله عليه يطلب محروسة
دمشق وسأله ولده الملك الظاهر صاحب حلب ان يجتاز به
فاجابه وسار حتى اتى محروسة حلب حادي عشر شعبان واقام
بقلعتها ثلاثة ايام وولده يقوم بالضيافة حق القيام ولم يبق
من العسكر الا من نال من نعمته منالا واكثر حتى اشفق عليه
والده وسار من محروسة حلب رابع عشر شعبان يريد محروسة
دمشق فاعترضه ابن اخيه الملك المظفر تقي الدين واصعده
الى قلعة حماه واصطنع له طعاما حسنا واحضر له سماع
الصوفية وبات فيها ليلة واحدة واعطاه جبلة واللاذقية
وسار رحمة الله عليه على طريق بعلبك حتى اتى بعلبك
واقام بمرجها يوما ودخل الى حمامها وسار منها حتى اتى
محروسة دمشق قبل دخول رمضان بايام يسيرة فاقام بها
حتى دخل رمضان وما كان يرى ان يبطل وقتا عن الجهاد

فيهما المكنة وكان قد بقي له من القلاع القريبة من حوران التي
خاف عليها من جانبها صفد وكوكب فرأى أن يشغل الزمان
بفتح المكانين في الصوم

ذكر فتح صفد

ثم سار في أوائل رمضان من دمشق يريد صفد
ولم يلتفت إلى مفارقة الأهل والأولاد والوطن في هذا
الشهر الذي يسافر الإنسان فيه من كان يجتمع في هذا الشهر
بأهله اللهم إنه احتمل ذلك ابتغاء مرضاتك فآته أجراً عظيماً
فسار حتى أتى صفد في أثناء شهر رمضان المبارك وهي قلعة منيعة
قد تقاطعت حولها أودية من سائر جوانبها فأحدق العسكر
بها ونصب عليها المناجيق وفي أثناء شهر رمضان سلمت
الكرك من جانب نواب صاحبها وخلصوا بها من الأسر وكان
في أثناء ذلك حطين المبارك وكانت الأمطار شديدة
والوحول عظيمة ولم يمنعه ذلك عن جده ولقد كنت عنده في
خدمته ليلة وقد عين مواضع خمسة مناجيق حتى تنصب

تلك الليلة مكانها حتى تنصب بخمسة وسلم كل
منجنيق إلى قوم ورسله تتواتر إليهم يخبرونه ويعرفونهم كيف
يصنعون حتى أطل الصبح ونحن في خدمته رحمة الله عليه
وقد فرغت المنجنيقات ولم يبق إلا تركيب خنازيرها فيها
ورويت له الحديث المشهور في الصحاح وبشرته بمقتضاه
وهو قوله صلى الله عليه وسلم عينان لا تمسهما النار عين
باتت تحرس في سبيل الله وعين بكت من خشية الله ولم
يزل القتال على صفد متواصلاً بالنوب مع الصوم حتى
سلمت بالأمان في رابع عشر شوال من السنة المذكورة

ذكر فتح كوكب

ثم سار رحمة الله عليه يريد كوكب فنزل رحمه الله على سطح
الجبل وجرد العسكر وأحدق بالقلعة وضايقها بالكلية
بحيث اتخذ له موضعاً يتجاوزه نشاب العدو وبنى له حائطاً
من حجر وطين يستتر وراءه والنشاب يتجاوزه ولا يقدر أحد
يقف على باب خيمته إلا أن يكون ملبساً وكانت الأمطار متواترة

والوحول بحيث منع الماشي والراكب الا بمشقة عظيمة
وعانا شدايدا واهوالا من شدة الرياح وتراكم الامطار
وكون العدو متسلطا عليهم بعلو مكانه وجرح وقتل
جماعة ولم يزل راكبا راكب الجد رحمه الله عليه حتى تمكن
النقب من سورها ولما احس العدو المخذول بالنقب
وقد تمكن من السور علم انه ماخوذ فطلب الامان فاجابهم
الى ذلك وامنهم وتسلمها رحمه الله في منتصف ذي القعدة
ونزل الى الغور الى الثقل وكان قد نزل الثقل من شدة الوحل
والريح في سطح الجبل فاقام بقية الشهر بها حتى هم الملك
العادل رحمه الله في اشغال تخصه حتى هل هلال ذي الحجة
واعطى الجماعة دستورا وسار مع اخيه الملك العادل يريد
القدس الشريف يريد زيارته ووداع اخيه فانه كان
عابرا الى مصر فوصلا اليه يوم الجمعة ثامن ذي الحجة
وصليا الجمعة في قبة الصخرة الشريفة وصليا صلاة العيد
الاعظم بها ايضا يوم الاحد وعاد الى خيمته وعاد بقية

يومه وسار يوم الاثنين حادي عشر ذي الحجة طالبا
عسقلان لينظر في احوالها ويودع اخاه فاقام بها اياما
يلم شعثها ويصلح احوالها وودع اخاه الملك العادل واعطاه
الكرك واخذ منه عسقلان وعاد يطلب عكا بعون
الله فجعلها على طريق الساحل يمر على البلاد ويتفقد احوالها
ويودعها الرجال والعدد حتى اتى عكا فاقام بها معظم
المحرم سنة خمس وثمانين وخمسمائة يصلح احوالها ورتب بها
بهاء الدين قراقوش واليا وامر بعمارة السور والاهتمام
فيه ومعه حسام الدين بشارة وسار يريد دمشق
تجدد وصول طائفة من عسكر مصر اودعهم في عكا بصدد
حفظها وسار حتى دخل محروسة دمشق مستهل صفر
سنة خمس وثمانين وخمسمائة

ذكر توجهه رحمه الله عليه الى شقيف ارنون

وهي السقيفة النبيلة بواقعة عكا

وأقام رحمه الله عليه بمحروسة دمشق حتى دخل في ربيع الاول

اثر ذلك سنة خمس وثمنين بسته ايام ووصله في اثنا ربيع الاول
رسول الخليفة الناصر لدين الله بامره بالخطبة لولده ولي
العهد فخطب له وجرد عزمه على قصد شقيف ارنون
وهو موضع حصين قريب من بانياس وكان تبريزه بعد صلوة
الجمعة في الثالث من ربيع فسار حتى نزل في مرج فلوس
واصبح يوم السبت راحلا حتى اتى مرج برغوث فنزل به
ينتظر العساكر واقام به والعساكر تتابع الى الحادي عشر
ورحل حتى اتى بانياس ثم رحل منها حتى اتى مرج عيون فخيم
به وهو قريب من شقيف ارنون بحيث يركب كل يوم يشارفه
وتعود والعساكر تجتمع وتتلاحق من كل صوب داوب وكان
وصوله مرج عيون في سابع عشر ربيع الاول المذكور فاقام
اياما يشارف كل يوم على الشقيف والعساكر الاسلامية في
كل يوم تتواتر العدد والعدد وصاحب الشقيف يرى تصح
ما يتيقن معه عدم السلامة فراى ان اصلاح حاله معه قد
تعين طريقا الى السلامة فنزل بنفسه وما احسسنا به الا

وهو

وهو قايم على باب خيمة السلطان رحمه الله عليه فاذن له
فدخل واحترمه واكرمه وكان من كبار الفرنجية
وعقلايها وكان يعرف بالعربية وعنده اطلاع على شي من
التواريخ والاحاديث وبلغني انه كان عنده مسلم يقرا له
ويفهمه وكان عنده تاني محضر بين يدي السلطان رحمه
الله عليه واكل معه الطعام ثم خلا به وذكر انه
مملوكه وانه تحت طاعته وانه يسلم المكان اليه
من غير تعب واشترط ان يعطا موضعا يسكنه بدمشق
فانه بعد ذلك لا يقدر على مساكنة الفرنج واقطاعا بدمشق
يقوم به وباهله وانه يمكن من الاقامة بموضعه وهو يتردد الى
الحضرة ثلثة اشهر من تاريخ اليوم الذي كان فيه حتى يتمكن من
تخليص اهله وجماعته من صور ويأخذ مغل هذه السنة
فاجيب الى ذلك كله واقام يتردد الى خدمة السلطان
في كل وقت ويناظرنا في دينه ونناظره في بطلانه وكان
حسن المحاورة متادبا في كلامه وفي اثنا ربيع الاول وصل

الخبر بتسليم الشوبك وكان قد اقام السلطان عليه
جمعاً عظيما لحاصرته مدة سنة حتى فرغت ازوادهم
وسلموه بالامان

ذكر اجتماع الفرنج لقصد عكا

وكان السلطان قدس الله روحه اشترط على نفسه حين
تسلم عسقلان ان اطلق اسر الملك من بها بتسليمها اطلقه
فامرهم بتسليمها وسلموها فطالبه الملك باطلاقه فاطلقه
وفا بالشرط وهو على حصن الاكراد اطلقه من انطرسوس
واشترط عليه ان لا يشهر في وجهه سيفا ابدا وانه يكون
مملوكه وطليقه فخالفه ابدا فلعنه الله وجمع الجموع
واتا صور يطلب الدخول اليها فخيم على بابها يراجع المركيس الذي
كان بها في ذلك المركيس اللعين كان بصور وكان رجلا عظيما
ذا راي وباس شديد في دينه وصرامة عظيم فقال انني نايب
الملوك الذين وراء البحر وما اذنوا لي في تسليمها اليك وطالت
المراجعة واستقرت القاعدة بينهما على ان يتفقوا جميعا

على

على المسلمين وتجتمع العساكر التي بصور وغيرها من الفرنج
على المسلمين وعسكروا على باب صور **ذكر الوقعة التي استشهد فيها**
وذلك انه لما كان يوم الاثنين سابع عشر جمادي الاولى
من السنة المذكورة بلغ السلطان رحمه الله عليه من جانب
اليزك ان الفرنج قد قطعوا الجسر الفاصل بين ارض صور
وارض صيدا وهي الارض التي يجري عليها فركب السلطان رحمه
الله عليه وصاح الجاويش بالناس فركب العسكر يريدون
لحوق اليزك فوصل العسكر وقد انفصلت الوقعة وذلك ان
الفرنج عبر منهم جماعة الجسر فنهض لهم اليزك الاسلامي
وكانوا في عدة وقوة فقاتلوهم قتالا شديدا وقتلوا منهم
خلقا عظيما كثيرا وجرحوا اضعاف ما قتلوا وردموا في النهر
جماعة فغرقوا ونصر الله الاسلام واهله ولم يقتل من
المسلمين الا مملوك السلطان قدس الله روحه يعرف بايبك
الاخرش فانه استشهد في ذلك اليوم وكان رحمه الله
شجاعا بطلا باسلا مجربا للحرب مارسا تقنطر به فرسه

نالجي الى صخره وتقاتل بالنشاب حتى فنى ثم بالسيف حتى قتل جماعة
تكاثروا عليه فقتلوه رحمة الله عليه ووجد السلطان
عليه لمكان شجاعته وعاد السلطان رحمه الله من
الوقعة الى خيم كان ضربت قرب المكان جريدة

ذكر وقعة ثانية استشهد فيها جمع من رجاله المسلمين رحمهم الله

واقام رحمه الله في تلك الخيم الى يوم الاربعا تاسع عشر
جمادي الاولى المذكور فركب يتشوف على القوم على عادته
فتبع العسكر خلق عظيم من الرجالة والغزاة والسوقة وحرص
رحمه الله عليه في ردهم فلم يفعلوا ولقد امر من ضربهم فلم
يفعلوا وخاف عليهم فان المكان كان حرجا لا يليق للراجل فيه
ملجا ثم هجم الرجالة الى الجسر وناوشوا العدو وعبر منهم
جماعة اليهم وجرى بينهم قتال شديد واجتمع لهم من الفرنج
خلق عظيم وهم لا يشعرون ولحقوهم بحيث علموا انه ليس
وراهم كمين حملوا عليهم حملة واحدة على غرة من السلطان

رحمه الله فانه كان بعيدا منهم ولم يكن معه عسكر فانه لم
يخرج بتعبية القتال وانما ركب متشرفا عليهم على العادة
في كل يوم ولما بان له الوقعة وظهر له غبارها نجت اليهم
من كان معه ليردوهم فوجدوا الامر قد فرط والفرنج
قد تكاثروا واجتمع جانب منهم السرية التي بعثهم السلطان
وبين وظفروا بالرجالة ظفرا عظيما وجرى بينهم السرية قتال
شديد واسروا جماعة من الرجالة وقتلوا جماعة وعدة من كان
عدد الشهدا قتل من الرجالة في ذلك اليوم فكان مايه وثمانين نفرا وقتل
من الفرنج ايضا عدة عظيمة وغرق ايضا منهم عدة وكان
ممن قتل منهم مقدم الالمانية فانه قتل في ذلك اليوم وكان
عندهم عظيما بخطره واستشهد في ذلك اليوم من المعروفين
من المسلمين ابن البيسار وكان شابا حسنا شجاعا رحمه الله
واحتسبه والده في سبيل الله ولم يقطر من عينيه عليه دمعة
على ما ذكره جماعة لازموه وهذه الوقعة لم يتفق للفرنج مثلها في
هذه الوقائع التي حضرتها وشاهدتها ولم ينالوا من المسلمين

شل هذه الوقعه العين في هذه المده ن

ذكر مسيره الى عكا جريده وسبب ذلك

ولما راى السلطان رحمه الله ما حل بالمسلمين من ذلك الوقعه النادره
جمع اصحابه وشاورهم وقرر معهم انه يهجم على الفرنج ويعبر
الجسر ويقاتلهم ويستاصل شافتهم وكان الفرنج قد رحلوا عن صور
ونزلوا قريب الجسر وبين الجسر وصور مقدار فرسخ وزايد على فرسخ
فلما صمم العزم على ذلك اصبح في يوم الخميس سابع عشرين جمادى
الاولى على ذلك من كان بعد سار وتبعه الناس والمقاتله والعساكر
ولما وصل اواخر الناس الى اوايلهم وجدوا اليزك عايدا وخيامهم
قد قلعت فسالوا عن ذلك فذكروا ان الفرنج رحلوا راجعين
الى صور لما يحسن سورها مقتصمين نصوبها وذلك انهم لما بلغهم
ذلك عادوا طالبين فوقع الغاغه البركل وعادوا ولما راى
السلطان رحمه الله عليه ذلك منهم راى ان يسير الى عكا جريده لينظر ما
بني من سورها ويحث على الباقي ويعود فراح على تبنين ولم يرجع
على مرج عيون فمضى الى عكا فرتب احوالها وامر بتتمة

بعمارة سورها واتقانه واحكامه وامرهم بالاحتياط
والاحتراز وعاد الى العسكر المنصور الى مرج عيون
واقام بمرج عيون منتظرا انهاء مهلة صاحب الشقيف رحمه الله

ذكر وقعه اخرى

ولما كان يوم السبت سادس جمادى الاخره بلغه رحمه الله
عليه ان جماعه من رجاله العدو ينبسطون ويصلون الى الجبل الذي
يحتطبون وقتلوا من رجاله المسلمين من تاخر عنهم فراى ان (عليهم)
يفرد فارسا كمينا يرتب لهم وياخذهم فيه وبلغه انهم يخرج وراءهم
ايضا خيل لحفظهم فعمل كمينا يصلح اللقا للجميع ثم انفذ رحمه الله
الى عسكر تبنين وتقدم اليهم ان يخرجوا في نفر يسير غائرين
على تلك الرجاله وان خيل العدو اذا تبعتهم ينهزمون الى جهه
عينها لهم وان يكون ذلك صبيحه الاثنين ثامن جمادى الاخره وارسل
الى عسكر عكا ان يسير حتى يكون ورا عسكر العدو حتى ان
تحركوا في نصره اصحابهم قصدوا خيمهم وركب هو وجحفله رحمه الله عليه
سحر الاثنين غائبين في السلاح متجردين ليس معهم خيمة الى الجهة التي

عينها للهزيمة عشرين وسار حتى قطع تلين ورتب الكمين
تحت التلال واستخرج من الحلقة عشرين فارسا من الشجعان
الجياد الخيل وامرهم ان يتراءوا للعدو حتى يطمعوا فيهم ويناوشوهم
وينهزموا بين ايديهم حتى يصلوا الى الكمين ففعلوا ذلك وظهر
لهم من الفرنج معظم عسكرهم يقدمهم الملك لعنه الله وكانوا قد
بلغهم الخبر فتعبوا تعبية القتال وجرى بينهم وبين هذه السرية
اليسيرة قتال شديد وانهزمت السرية القتال وأبقوا على الانهزام
بين ايديهم وحملتهم الحمية على مخالفة السلطان رحمة الله عليه ولقائهم
العدو الكثير بالجمع اليسير واتصل الحرب بينهم الى اواخر نهار
الاثنين ولم يرجع منهم احد الى العسكر ليخبرهم بما جرى واتصل الخبر
بالسلطان رحمه الله في اواخر الامر وقد هجم الليل فبعث اليهم نجدة
كبيرة جرت على ضيق الوقت على المصاف وفوات الامر ولما ابصر الفرنج
باوايل المدد وقد لحق السرية عادوا منهزمين ناكصين على اعقابهم
بعد ان جرت مقتلة عظيمة من الجانبين وكان القتلى من الفرنج على ما
اخبر فاني لم اكن حاضرها زهاء عشرة انفس ومن المسلمين ستة نفر

اثنان

١٧٧

اثنان من الترك واديج من الحروب منهم الامير زامل وكان شابا
تاما حسن الشباب مقدم عشيرته رحمة الله عليهم اجمعين وكان
سبب قتله انه تقنطر به فرسه ففداه ابن عمه بفرسه فتقنطر
به ايضا فرسه واسر هو والمتقدم اهله فلما اتصل الفرنج بمدد العسكر
قتلوهم حتى نالوا الاستشهاد وجرح خلق كثير من الطايفتين
وخيل كثير ومن نوادر هذه الوقعة ان مملوكا كان من مماليك السلطان
رحمة الله عليه يقال له ايبك الاخرس اثخن الجراح حتى وقع بين القتلى وجراحاته
تشخب دما وبات ليلة اجمع على تلك الحالة الى صبيحة يوم الثلثا فتفقده
اصحابه فلم يجدوه فعرفوا السلطان رحمه الله فقده فانفذ من يكشف
خبره فوجدوه بين القتلى على مثل هذه الحالة فحملوه ونقلوه الى المخيم على
تلك الحال وعافاه الله تعالى وعاد السلطان الى المخيم يوم الاربعا ثاني عشر
الشهر منصورا فرحا مسرورا

ذكر اخذ صاحب الشقيف وسبب ذلك

ثم استفاض من الناس ان صاحب الشقيف فعل ما فعله من المداهنة
عليه لا لانه صادق في ذلك وانما قصد به تدفيع الزمان وظهر له

تخايل كثير من الجيش في تحصيل المبرم وانفاق الابواب وغير
ذلك فراى السلطان رحمه الله عليه ان تصعد الى سطح الجبل المغرب
من المكان ويكون براسه بحيث من حول بحرن ومبرم اليه
واظهر ان سبب ذلك شدة حر الزمان والقرار من وخم المرج
وكان انتقاله الى سطح الجبل ليلة الجمعة ثاني عشر جمادى الاخر
وقد مضى من الليل نحوه فاصبح صاحب الشقيف الا وللخيمه
مضروبه وبقي بعض العسكر في المرج على حاله فلما راى صاحب
الشقيف قرب العسكر منه وعلم انه قد بقي من المده بقيه جمادى
الاخره حدثته نفسه انه ينزل الى خدمه السلطان رحمه الله عليه
ويستعطفه ويسترضيه في المده وتخايل له بان اى من الطاف السلطان
ولطائفها ان ذلك يتم فنزل الى الخدمه وعرض المكان وقال اي
المده لم يبق منها الا اليسير واي فرق بين التسليم اليوم او غد
ومن المصلحه ان يمكث السلطان من تسلم المكان واظهر انه بقي
من اهله جماعه يصورون انهم على الخروج منها في هذه الايام واقام
في الخدمه ذلك اليوم الى الليل وعاد صعد الى القلعه ولم يظهر له

السلطان شيئا واجراه على قاعدته ونقضي مدته ثم عاد نزل
بعد ايام وقد قرب انتهاء المده والفراغ منها وطلب الخلوه
بالسلطان وسال منه ان يمهله تمام السنه تسعه اشهر فاحس
السلطان منه بالغدر وباطله دما البيته وقال نتكلم في ذلك ونجمع
الجماعه وناخذ رايهم وما ينفصل الحال عليه نعرفك وضرب له خيمه
قريبا من خيمته واقام عليه حرسا لا يشعر بهم وهو على غايه من
الاكرام والاحترام له والمراجعه والمراسله بينهم في ذلك الفن
مستمره حتى انقضت الايام وطولب بتسليم المكان ولسقه له
لكنا ضمن الغدر وجرت في المكان عماير وحملت اليه ذخاير
تاذي ذلك واستقر الفاعده على ان ينفذ من عنده ثقته وينفذ
السلطان ثقته بتسليم المكان وينظر هل تجدد فيه شي من البنيان ام
لا فمضوا اليه فلم يمتنع اصحابه المقيمون فيه اليهم ووجدوه قد جدد
بابا للسور ولم يجري فانهم الحرص الشديد عليه واظهر ذلك منع
من الدخول الى الخدمه وقيل له قد انقضت المده ولا بد من التسليم
وهو يغالط عن ذلك ويدافع عن الجواب عنه ثم عادوا نفذ اليهم صاحب

بامرهم بالتسليم فاظهروا له العصيان عليه وقالوا نحن نواب الملك فاحتيط على الحصن ونيم عليه رجال يحفظ
الداخل اليه والخارج منه ولما كان الاحد ثامن عشر جمادى الاخرة سنة
خمس وثمانين وفيه اعترف هو بان ذلك المرة فانه كان عندهم مجاهدة
فلما مضى قال انا اقضي واسلم المكان فارتاب بقلبه وسار وسار
معه جميع لشرار الامرا والاجناد حتى اتى الشقيف وامرهم
بالتسليم فابوا وطلب منهم قسيسا فخرج اليه وحدثه بلسانه
ثم عاد واشتد امتناعهم بعد عود القسيس اليهم فظن انه اكد
الوصية على القسيس في الامتناع واقام ذلك اليوم والحرب تتردد
فلم يلتفتوا فاعيد الى المخيم المنصور وسير الى دمشق بابانياس واحيط
عليه في قلعتها واحدق العسكر بالشقيف مقاتلين ومحاصرين واقام من ايامه
صاحب الشقيف ببانياس الى سادس رجب واشتد حنق السلطان
عليه بسبب تضييع المدة التي اشتغل عليه وعلى عسكره ولم يحصلوا فيها
شيئا فاحضر الى المخيم وهدد ليلة وصوله بامر عظيم فلم يفعل
فاصبح السلطان رحمه الله عليه صبيحة الاربعا ثامن رجب ورقى

١١

الى سنام الجبل بجنبه وهو موضع اشرف على الشقيف عن الجبل
الذي كان فيه اولا وابعد عن الوخم وكان قد تعب مزاجه ثم بعد ذلك
بلغنا ان الفرنج بصور ومن كان مع الملك قد ساروا نحو النواقير
يريدون جهة عكا وان بعضهم نزل باسكندرونه وجرى
بينهم وبين رجالة المسلمين مناوشة وقتل منهم المسلمون نفرا
يسيرا اوانا ما هنالك

ذكر وقعة عكا يسر الله فتحها وسبب ذلك

ولما بلغ السلطان رحمه الله عليه حركة الفرنج الى تلك الجهة
عظم عليه ولم ير المسارعة خوفا من ان يكون قصدهم ترحيله عن
الشقيف لا قصد المكان فاقام مستكشفا للحال الى يوم
الاحد ثاني عشر رجب فوصل قاصد واخبر ان الفرنج في غد ذلك
اليوم رحلوا ونزلوا عين بصه ووصل اوايلهم الى الزيب فعظم
ذلك عنده وكتب الى ساير ارباب الاطراف بالتقدم الى العساكر
الاسلامية بالمسير الى المخيم المحروس وعاد جريدة الجند والجيش وتقدم
الى الثقل ان سار بالليل واصبح هو رحمه الله صبيحة الاثنين ثالث

عشر وسير صاحب السقيف الى محروسة دمشق تحت الاهانة الشديدة
على سوء نيته وسار هو جريدة رحمه الله من البيرة حتى اجتمع ببقية
العسكر الذي كان انفذه الى طريق تبنين لمرج عكا صفورية فانه
كان اعجم اليه وتقدم الى الثقل ان يلحقه الى مرج صفورية ولم
يزل حتى فارق العدو من الخروبة وبعث بعض العسكر فدخل
عكا على غرة من العدو تقوية لمن فيها ولم يزل يبعث اليها
بعثا بعد بعث حتى حصل فيه خلق كثير وعدد والقوة ورتب العسكر
ميمنة وميسرة وقلبا وسار من الخروبة وكان قد نزل عليها يوم الاربعا
خامس عشر الشهر ما رسمها حتى اتى تل كيسان في اوايل
مرج عكا فنزل عليه وامر الناس ان ينزلوا على حسن التعبية فكان اخر
الميسرة على طرف النهر الحلو واخر الميمنة مقارب تل العياضية واحاط
العسكر الاسلامي المنصور بالعدو المخذول واحاطوا عليهم الطرق من الجوانب
وتلاحقت العساكر الاسلامية واجتمعت ورتب اليزك الدايم والجاليش
في كل يوم مع العدو وحصر العدو في خيامهم من كل جانب بحيث لا يقدر
ان يخرج منها واحد الا ويجرح او يقتل وكان معسكر العدو المخذول على

سطر

[illegible]

شطر من عكا وخيمة ملكهم على تل المصلين قريبا من باب البلد
وكان عدد راجلهم الفي فارس وعدد راجلهم ثلثين الفا وما رايت
من نقصهم عن ذلك فرايت من حرزهم بزيادة على ذلك ومددهم من
البحر لا ينقطع وجرى بينهم وبين اليزك مقاتلات عظيمة متواترة
والمسلمون يتهافتون على قتالهم والسلطان رحمه الله يمنعهم من ذلك
الى وقته والبعوث من عساكر المسلمين تتواصل والملوك والامرا من
الاقطار تتتابع فاول من وصل من الامرا الاجل الكبير مظفر الدين بن زين الدين ثم
قدم بعده الملك المظفر تقي الدين صاحب حماه في جحفله وتتابعت العساكر
الاسلامية في اثنا هذه الحال توفي حسام الدين سنقر الخلاطي باسهال
شديد واسف المسلمون عليه اسفا شديدا فانه كان شجاعا ودينا رحمه
الله يوم الاثنين سابع عشرين رجب على تل مرج عكا مشرف على العياضية
رحمه الله ثم ان الفرنج لما تكاثروا واستفحل امرهم واستداروا بعكا
بحيث منعوا من الدخول والخروج منها وذلك في يوم الخميس سلخ رجب
ولما راى السلطان قدس الله روحه ذلك عظم لديه وضاق صدره
وثارت همته العالية في فتح الطريق الى عكا لتستمر السابلة اليها

بالميره والنجده وغير ذلك فاحضر امراءه واصحابه الراي وردد لهم
وشاورهم في مضايقة القوم وانفصل الحال على انه يضايقهم مضايقة
شديدة بحيث يتصل امرهم بالكلية وانفتح الباب والطريق الى عكا
فاذا هم صبيحة الجمعة مستهل شعبان سنة ست وثمانين وسار نحو
العسكر وقد رتبه للقتال ميمنة وميسرة وقلبا وضايقهم مضايقة
شديدة وكانت الحملة بعد صلاة الجمعة اغتناما لدعا خطبا المسلمين
على منابرهم وجرت جلادات عظيمة وقتليات كثيرة وانتشر عسكر العدو
الى ان ملا التلول وكانت ميسرة عسكرهم الى النهر وحواشيه الى البحر
وميمنتهم الى التل الوسطاني الى عكا واتصل الحرب الى ان حال بين العسكرين نباله
هجوم الليل وبات الناس على حالهم من الجانبين شاكين السلاح يحرس
كل طايفة نفسها من الطايفة الاخرى الى ان اصبح صباح السبت ثاني شعبان

ذكر فتح الطريق الى عكا

ولما كانت صبيحة السبت اصبح الناس على القتال وانفذ السلطان رحمه
الله عليه طايفة من شجعان المسلمين الى البحر من شمالي عكا ولم يكن
هناك للعدو خيم لكن عسكرهم كان قد امتد حربه شمالي عكا الى

البحر فحمل شجعان المسلمين على عسكر الفرنج الواقف على شمالي
عكا فاكثروا في ايديهم كسرة عظيمة وقتلوا منهم جماعة
كثيرة وانهزم الباقون منهم الى خيامهم وهجم المسلمون خلفهم الى اوايل
خيامهم ووقف البزك الاسلامي قايما من ان يخرج من عسكرهم خارج
او يدخل اليه داخل وانفتح الطريق الى عكا من باب القلعة المسماة بقلعة
الملك الى باب قراقوش الذي جدده وصار الطريق مهيعا يمر فيه الموكب
ومعه الحوايج ويمشي فيه الرجل الواحد والمراة والطفل بين الطريقين بين العدو
ودخل السلطان رحمه الله في ذلك اليوم الى عكا ورقي على السور ونظر
الى عسكر العدو من تحت السور وفرح المسلمون بنصر الله وخرج
العسكر الذي كان بها في خدمة السلطان واستداروا العسكر الاسلامي
حول العسكر الفرنجي واحدقوا بهم من كل جانب ولما استقر ذلك رجع
الناس عن القتال وذلك بعد صلاة الظهر لسقي الدواب واخذ الراحة
وكان نزولهم على انهم اذا اخذوا حظهم من الراحة عادوا الى القتال لمناجزة
العدو بالكلية فلما اخذهم منهم من الطمع وضاق الوقت في ذلك
اليوم واخذ الضجر والتعب من الناس فلم يرجعوا الى القتال في

ذلك اليوم وبات الناس على انهم يصبحونهم بكرة الاحد الى القتال حتى
المناجزة ويطلبوه ولحتوى العدو في خيامهم حتى لم يظهر منهم احد فلما
كان يوم الاحد ثالث شعبان تعبا الناس للقتال واحدقوا بالعدو
وعزموا على مهاجمة القوم وعلى ان يترجل الامرا ومعظم العسكر
ويقاتلوا العدو في خيامهم فلما تهيأوا لذلك راى بعض الامرا تاخير
ذلك الى بكرة الاثنين رابع شعبان وان يدخل الراجل كله الى داخل
عكا ويخرجوا مع العسكر المقيم بالبلد من ابواب البلد على العدو
من ورايه وتركب العساكر الاسلامية من خارج من سائر الجوانب
ويحملوا حملة الرجل الواحد والسلطان رحمه الله عليه تعالى يحث الامور
بنفسه ويباشرها بذاته لا يتخلف عن مقام من هذه المقامات وهو مع
ذلك جسده ووفور همته كالوالدة الثكلى ولقد اخبرني بعض اطبايه
انه بقي من يوم الجمعة الى يوم الاحد المذكور لم يتناول من الغذا الا شيا
يسيرا لفرط اهتمامه وفعلوا ما كانوا عزموا عليه واشتغلت منعة العدو
وحمى نفسه في خيامهم ولم تزل سوق الحرب قايمة تباع فيها النفوس بالنفايس
ولم يطو ساحرها الرؤس من الجانبين حتى كان يوم الجمعة ثامن شعبان

ذكر

ذكر تاخر الناس الى تل العياضية

ولما كان يوم الجمعة ثامن شعبان عزم العدو على الخروج بجموعهم فخرج
راجلهم وفارسهم واستدوا على التلول وساروا الهوينا غير مفرطين
في نفوسهم ولا خارجين من راجلهم والرجالة حولهم كالسور المبني يتلو
بعضهم بعضا حتى قاربوا خيام اليزك فلما راى المسلمون ذلك واقدام العدو
عليهم تداعت الشجعان وتنازلت الكماة الى الاقران وصاح السلطان
قدس الله روحه بالعساكر الاسلامية يال الاسلام فركب الناس
باجمعهم ووافق راجلهم فارسهم وشابهم شيخهم وحملوا حملة الرجل
الواحد على العدو المخذول فعاد ناكصا على عقبيه والسيف يعمل
فيهم فالسالم منهم جريح والعاطف طريح متشددون هزيمة بعضهم جرحهم
يقتلهم وراسلوا جماعة منهم على قتلهم حتى لحق بخيامهم من سلم منهم وانكفوا
عن القتال اياما وكان قصاراهم ان يحفظوا نفوسهم ويحرسوا رؤوسهم
واستمر فتح طريق عكا والمسلمون يترددون اليها ولست ممن دخل
ورقى على السور ورمى العدو بما يسر الله تعالى من فوق السور ودام القتال
بين الفريقين متصلا الليل مع النهار حتى كان الحادي عشر من شعبان وراى

السلطان رحمه الله عليه توسيع الدائرة عليهم لعلهم يخرجون الى
مصارعهم فنقل الثقل الى تل العياضية وهو تل قبالة تل المصلبين
مشرف على عكا وخيام العدو وفي هذه المنزلة توفي حسام الدين
طمان وكان من شجعان المسلمين رحمه الله ودفن في سطح هذا التل
وصليت عليه مع جماعة من الفقهاء ليلة نصف شعبان وقد مضى من
الليل هزيع رحمه الله عليه ○

ذكر وقعة جرت للعرب مع العدو

وكان سبب ذلك انه بلغنا ان جماعة من العدو يخرجون للاحتشاش
من طرف النهر ما يلي عليه فتقدم السلطان قدس الله روحه
جماعة من العرب بقصد العرب لخفتهم على خيلهم وامنه عليهم فخرجوا
ولم يشعروا وهجموا عليهم وقتلوا منهم خلقا عظيما واسروا جماعة
واحضروا رؤوسا عدة بين يديه رحمه الله عليه فخلع عليهم واحسن اليهم
وكان ذلك في يوم السبت سادس عشر شعبان وفي عشية
ذلك اليوم وقع بين العدو وبين اهل البلد حرب عظيم قتل فيه جمع عظيم
من الطايفتين وطال القتال بين الفريقين وما خلوا يوم عن جرح وقتل

وسبي

وسبي ونهب والتقى البعض بالبعض حيث كانت الطايفتين يتحدثان
وبينهم كان القتال وربما غنى البعض ورقص البعض لطول المعاشرة
ثم يرجعون الى القتال بعد ساعة ○ نادرة في هذه الواقعة
وذلك انه كان الرجال يرمي بالطايفتين قد سئموا من القتال فقالوا الى
كم يقاتل الكبار وليس للصغار حظ نريد ان يصطرع صبيان صبي منا
وصبي منكم فاخرج صبيان من البلد الى صبيين من الفرنج واشتد الحرب
بين الصبيان فوثب احد الصبيين المسلمين الى احد الصبيين الكافرين فاحتضنه
وضرب به الارض وقبضه اسيرا واشترى به الباضع فاشتراه منه
بعض الفرنج بدينارين وقالوا هو اسيرك حقا فاخذ الدينارين واطلقه
وهذه من نوادر القتال ووصل للفرنج مركب فيه خيل وصوب منها مركب
ووقع في البحر وذلك الشط وهم حوله يردونه حتى دخل مينا عكا واخذه المسلمون

ذكر المصاف الاعظم على عكا يسر الله فتحها

وذلك انه لما كان يوم الاربعا الحادي عشرين من شعبان تحركت عساكر
الفرنج حركة لم تكن لهم مثلها تمادت فارسهم وراجلهم وكبيرهم
وصغيرهم واصطفوا خارج خيمهم قلبا وميمنة وميسرة وفي القلب

القلب الملك ومن بديه الاعلام محمول منشور ثوب اطلس مخطي
بعسل ارتجم الفرس ارجو اطوائه يسيرون بين يدي الملك والعدو
الميمنة في مقابلة الميسرة التي لعسكر الاسلام ووليها الى اخرها
واستقف ميسرة العدو في مقابلة ميمنتنا الى الحرير وملكوا ابرودس
التلال وكان طرف ميمنتهم الى النهر وطرف ميسرتهم الى البحر
واما العسكر الاسلامي المنصور فان السلطان قدس الله روحه
لما نظر القوم امر الجاويش ان ينادي في الناس يا آل الاسلام وعسكر الموحدين
وركب الناس وقد باعوا انفسهم بالجنة وامتدت الميمنة الى البحر الى
يوم يركبون ويقفون بين يدي خيامهم والميسرة الى النهر كذلك ايضا
وكان رحمه الله عليه قد انزل الناس في الخيم ميمنة وميسرة وقلبا تعبية
للحرب حتى اذا وقعت صيحة لا يحتاجون الى تجديد ترتيب وكان هو في القلب
رحمه الله عليه وفي ميمنة القلب ولده الملك الافضل ثم ولده الملك الظافر ثم
ثم عسكر المواصلة يقدمهم ظهير الدين بن البلنكري ثم عسكر ديار بكر في خدمة
قطب الدين ابن نور الدين صاحب الحصن ثم حسام الدين بن لاجين صاحب
نابلس ثم الطواشي قايماز النجمي وجموع عظيمة متصلين بطرف الميمنة وكان في

طرفها

طرفها الملك المظفر تقي الدين بجحفله وعسكره وهو يطل على البحر
واما اول الميسرة فكان على طرف القلب سيف الدين علي المشطوب كان
احد كبار ملوك الاكراد ومقدميهم والامير مجلي وجماعة المهرانية
و[illegible] مجاهد الدين يرنقش مقدم عسكر سنجار وجماعة
من المماليك ثم مظفر الدين بن زين الدين بجحفله وعسكره واواخر
الميسرة جماعة من المماليك الاسدية سيف الدين يازكج ورسلان بغا وجماعة
من الاسدية والذين يضرب بهم المثل وفي مقدم القلب الفقيه عيسى وجمعه
يرل هذا والسلطان قدس الله روحه يطوف على الاطلاب بنفسه يحثهم
على القتال ويدعوهم الى النزال ويرغبهم في نصرة دين الله ولم يزل القوم
يتقدمون والمسلمون يتقدمون حتى علا النهار ومضى منه مقدار ساعتين
وعند ذلك تحركت ميسرة العدو على ميمنة المسلمين وانخرج لهم الملك
المظفر بالحالتين وجرى بينهم قلبات الحرب وتكاثروا على الملك المظفر
على حطام وكان في طرف الميمنة على البحر فتراجع عنهم شيئا الى ما عليهم لعلهم
يتقدمون فينال منهم غرضا فلما راه السلطان رحمه الله قد انخرق طرف
بدت شعثا فامده بالاطلاب من مقدم القلب حتى قوي جانبه وتراجعت ميسرتهم

العدو واجتمعت على تل مشرف على الجو ولما راى الذين في ميامنة القلب
ضعف القلب ومن خرج منه من الاطلاب داخلهم الطمع وتحركوا
نحو ميمنة القلب وحملوا حملة الرجل الواحد راجلهم وفارسهم ولقد
رايت الرجاله تسير بسير الخياله ولا يسبقونها وكم من فارس وجنان
الحمله على الادبار جريه كانت الله تعالى وكان لهم عن عن الخيل فتحركوا
بين يدي العدو وانكسروا انكسارا عظيما وسار الامر حتى انكسر معظم الميمنه
واتبع العدو المنهزمين الى العياضيه فانهم استداروا بجول التل وصعد
طايفه من العدو الى خيم السلطان رحمه الله عليه فقتلوا الطشت دار كان
هناك وفي ذلك اليوم استشهد اسمعيل الكتبي والرواحي رحمهما الله
واما الميسره فانها ثبتت فان صاحبها كان صادقها واما السلطان
رحمه الله فاخذ يطوف الاطلاب فينهضهم ويعدهم الوعود الجميله ويحثهم
على الجهاد ومنادي فيهم يا للاسلام ولم يبق معه الا خمسة انفس وهو يطوف
على الاطلاب ويجاور الصفوف رحمه الله واوى الى تحت التل الذي كان عليه
الخيام واما المنهزمون من العسكر فانه بلغت هزيمتهم الى الفحوانه فعبر
جسر طبريه وتم منهم قوم الى المحروسه دمشق واما المتبعون لهم فانهم ابتغوهم

العاصر

العياضيه فلما راوهم قد صعدوا الجبل رجعوا عنهم وجاؤوا
عايدين الى عسكرهم فلقيهم جماعه من الغلمان والخربنديه والساسه
فقتلوا جماعه وقتل منهم جماعه فان السوق كان قد لحق عليهم
ولهم سلاح ... الذين صعدوا الخيم السلطانيه فانهم لم يلتفتوا
فيها شيئا اصلا سوى انهم قتلوا من ذكرناه وهم يلتفتون نحوهم راو
ميسره الاسلام ثابته فعلموا ان الكسره لم تتم فعادوا يشتدون من
التل يطلبون عسكرهم واما السلطان رحمه الله عليه فانه كان
وافق تحت التل ومعه نفر يسير وهو يجمع الناس ليعودوا الى
الحمله على العدو فلما راى الفرنج نازلين من التل ارادوا لقاهم فامرهم
بالصبر الى ان ولوهم ظهورهم واشتدوا يطلبون اصحابهم فصاح
في الناس وحملوا عليهم وطرحوا منهم جماعه واشتد الطمع فيهم وكاثر
الناس ورآهم حتى لحقوا اصحابهم والطرد وراهم فلما راوهم منهزمين
والمسلمون وراهم في عدد كثير ظنوا ان من حمل منهم قد قتل وانهم انا نجي
منهم هذا النفر فقط وان الهزيمه قد عادت عليهم فاشتدوا
في الهرب والهزيمه وتحركت الميسره عليهم وعاد الملك المظفر تقي

من الميمنة وتجاذبت الرجال وتداعت وتراجعت الناس
من كل جانب وخذل الله الشيطان ونصر الايمان وظل الناس
في قتل وطرح وضرب وجرح الى ان انفصل المنهزمون السالمون
الى عسكر العدو فهجم المسلمون عليهم في الخيام فخرج منهم الذين
كانوا في العدو ها خشية من هذا الامر منزعجة فردوا المسلمون وكان
التعب قد اخذ من الناس والخوف والعرق قد الجمهم فرجع الناس
عنهم بعد صلاة العصر يحوزون القتلى ودمائهم الى خيامهم
فرحين مسرورين وعاد السلطان قدس الله روحه في ذلك اليوم
الى خيمته فرحا مسرورا وجلسوا في خدمته يذاكرون من فقد منهم
فكان مقدار ما فقد من الغلمان والمجهولين مائة وخمسين نفرا ومن
المعروفين استشهد في ذلك اليوم ظهير الدين اخو الفقيه عيسى رحمه الله
وافتخر انه وهو جالس يتحدث والناس يعزونه وهو يقول هذا
يوم الفتح لا يوم العزا وكان قد وقع هو من فرسه رحمه الله
وارتكبه وقتل عليه جماعة من اقاربه وقتل في ذلك اليوم الامير مجلي هذا
الذي قتل من المسلمين واما العدو المخذول فكان قتلاهم سبعة آلاف

نفسا او ما ينيف وقد حملوا الى شاطئ النهر ليلقوا فيه فحزروهم بدون
سبعة الاف ولما تم على المسلمين من الهزيمة ما تم وراوا الغلمان خلو
الخيام عمن يحترص عليها فان العسكر الا ثقالهم قد مضى منهزما ومقاتلين
فليس في الخيم احد وراوا الكسرة وقد وقع ظنوا انها تمت وان العدو
ينهب جميع ما في الخيم فوضعوا ايديهم في الخيام ونهبوا جميع ما كان
فيها وذهب من الناس اموال عظيمة وكان ذلك من الكسرة اعظم
ونعاس ولما عاد السلطان الى الخيم وراى ما قد تم على الناس من نهب
الاموال والهزيمة شارع في الكتب والرسل في رد المنهزمين وتتبع من
شذ من العسكر والرسل تتابع في هذا المعنى حتى لحقت عقبة فيق
فردوهم واخبروهم بالنصرة للمسلمين فعادوا وامر بجمع الاقمشة
من ايدي الغلمان وجمع الاقمشة في خيمته حتى طال الحبل والمخالي
بين يديه في خيمته وهو جالس ونحن حوله وهو يتقدم الى ان كل
من عرف شيئا وحلف عليه يسلم اليه وهو يتلقى هذه الاحوال
بقلب قلب وصدر رحب ووجه منبسط وراى مستقيم غير
منقبض واحتساب الله تعالى ووقع عزمه في نصره دين الله رحمه الله عليه

واما العدو المخذول فانه عاد الى خيمه وقد قتلت شجعانهم وطرحت
مقدموهم وفقدت ملوكهم فامر السلطان قدس الله روحه ان
خرج من عسكر عجل يحصون القتلى منهم الى طرف النهر للمواقفه
ولقد حكى لى بعض من تولى امر القتل انه اخر خطا وكان كلما
اخر قتيلا عقد عقده فبلغ عدد قتلى الميسره الى اربعه الاف ومايه
ولم يبق قتلى الميمنه وقتلى الميسره الى اربعه الف وماية ونحو القلب
لم يعد لهم فانه قل اسيرهم غيرهم وبقى من العدو بعد ذلك من حما
نفسه واقاموا فى خيمهم لم يحتفلوا الحافل المسلمين عساكرهم وتشرب
من عساكر المسلمين خلق كثير بسبب الهزيمه فانه ما رجع منها الا
رجل معروف لخاف على نفسه والباقون هربوا فى حال سبيلهم واخذ
السلطان رحمه الله فى جمع الاحوال المنهوبه واعادتها الى اصحابها واقام
المنادية فى العساكر وترك النداء بالوعيد والتهديد وهو يتولى
تفرقتها بنفسه بين يديه واجتمع من الاقمشه عدد كثير فى خيمة حتى
ان الجالس فى احد الطرفين لا يرى الجالس فى الطرف الاخر واقام
من ينادى على من ضاع منه شى فحضر الخلق وصار من عرف شيا واخذه

علا اسم

علا اسم حاله عظيمه واحضر من الحلل والخلاه الى الهيان والخوم
ولقى من ذلك مشقة عظيمه ولا يرى ذلك الا نعم من الله تعالى
يبتدر عليها ويتابع سر القبول اليها ولقد حضرت يوم تفرقه
الاقمشه على اربابها فرايت سوقا للعدل قايمه لم ير فى الدنيا اعظم
منها وكان ذلك فى يوم الجمعه الثالث والعشرين من شعبان وعند انقضا
هذه الواقعه وسكون ثايرتها امر السلطان بالنقل حتى راجع الى
موضع تقال له الخروبه خشيه على العسكر من رايحه القتلى وانتار
الوقعه من الوخم وهو موضع قريب من مكان الوقعه الا انه ابعد
عنها من المكان الذى كان نازلا فيه بقليل وضربت له خيمه
عند الثقل وامر الابطال ان يكون مقيما فى المكان الذى كان نازلا
فيه وذلك فى يوم الخميس تاسع عشرين شعبان واستحضر الامرا
وارباب المشوره فى خلال التشهد ثم امرهم بالاصغا الى الكلام وكنت
من جملة الحاضرين ثم قال بسم الله والحمد لله والصلاة والسلم على رسول
الله اعلموا ان هذا عدو الله وعدونا قد نزل فى بلادنا وقد وطى
ارض الاسلام وقد راح لوايح النصر علينا ان شا الله تعالى وقد

بقي في هذا الجمع اليسير والذي إلى الاهتمام بتقليعه والله قد أوجب
علينا ذلك وأنتم تعلمون أن هذه عساكرنا ليس ورانا نجدة ننتظرها
سوى الملك العادل وهو واصل وهذا العدو إن بقي وطال مقامه إلى
أن ينفتح البحر جاءه مدد عظيم والرأي كل الرأي عندي مناجزتهم
فليخبرنا كل منكم ما عنده في ذلك وكان ذلك في ثالث عشر شهر من الشهور
الشمسية فانخضت الآراء وجرت مجاذبات في أطراف الكلام وانفصلت
آراؤهم على أن المصلحة تأخير العسكر إلى الخروبة وأن يبقى العسكر أياما
يستجم من حمل السلاح وترجع نفوسهم إليهم فقد أخذ منهم التعب واستولى
على نفوسهم الضجر وتطفئهم العرا على حال لا يحمله القوى لا نوبتين غالبته
والناس لهم خمسون يوما تحت السلاح وفوق الخيل والخيل قد ضجرت من عرك
اللجم وسامت نفوسها ذلك وعند أخذ حظها من الراحة ترجع نفوسها إليها ويصل
الملك العادل ويشاركنا في الرأي والعمل ونستعيد من شذ من العسكر ونجمع
الرجالة ليقوموا في مقابلة الرجالة وكان بالسلطان رحمه الله انحراف مزاج
قد عراه من كثرة ما حمل على قلبه وما عاناه من التعب بحمل السلاح والفكر في
تلك الأيام فوقع به ما قالوه ورآه مصلحة وكان انتقال العسكر إلى الخروبة يوم

رجع

الاثنين

الاثنين ثالث رمضان وانتقال السلطان رحمه الله عليها ملك الملك
وأقام يصلح مزاجه ويجمع العساكر وينتظر وصول الملك العادل إلى يوم
التاسع عاشر رمضان

ذكر وصول خبر ملك الألمان لعنه الله

ولما دخل رمضان من شهور سنة خمس وثمانين وخمسمائة وصل من جانب حلب كتب
من ولده الملك الظاهر يخبر فيها أنه قد صح أن ملك الألمان خرج إلى
القسطنطينية في عدة عظيمة قيل مائتا ألف وقيل مائتان وستون ألفا
يريد البلاد الإسلامية واشتد ذلك على السلطان وعلى الناس وجه
وعظم عليه ورأى استنفار الناس إلى الجهاد وإعلام خليفة الوقت بهذه
الحادثة فاستندبني لذلك وأمرني بالمسير إلى صاحب سنجار وصاحب
الجزيرة وصاحب الموصل وصاحب إربل واستدعائهم إلى الجهاد بأنفسهم
وعساكرهم وأمرني بالمسير إلى بغداد لإعلام خليفة الزمان بذلك
وتحريك عزمه على المعاونة وكان الخليفة إذ ذاك الناصر لدين الله أبو العباس
أحمد ابن المستضيء بأمر الله وكان مسيري في ذلك المعنى في حادي عشر
رمضان ويسر الله تعالى الوصول إلى الجماعة وإبلاغ الرسالة إليهم فأجابوا

نفوسهم وسار عماد الدين زنكي صاحب سنجار بعسكره وحضر في تلك
السنة وسار ابن أخيه سنجر شاه صاحب الجزيرة بعسكره وسيّره
صاحب الموصل عز الدين أخوه علاء الدين خرم شاه مقدم عسكره وسار
صاحب إربل بنفسه وعسكره وحضرت الديوان العزيز ببغداد
واتفقت لكاتب الرسم ووعد بكل جميل وعدت إلى الخدمة رحمه الله عليه
وكان وصولي إليه في يوم الخميس خامس عشر ربيع الأول من شهور سنة ست
وثمانين وخمسمائة وكان قد سبقت العساكر فعرفته بمجيئهم بالسمع والطاعة
وناهيهم بالمسير فسُرَّ بذلك وفرح فرحاً شديداً

ذكر وقعة الرمل التي على جانب نهر عكا

ولما كان العشرون من ربيع الأول من السنة خرج السلطان قدس الله روحه يتصيد
متقلباً العشب ببعد المنزلة عن العدو فلما علم في الصيد بلغ ذلك العدو
فأخذوا غرة العسكر واجتمعوا وخرجوا يريدون الهجوم على العسكر
الإسلامي فأحس بهم الملك العادل قدس الله روحه فصاح بالناس وركب
العساكر من كل جانب وحمل على القوم وجرت مقتلة عظيمة قتل فيها منهم
خلق عظيم وجرح جمع عظيم ولم يقتل من معروفي المسلمين إلا مملوك

للسلطان استشهد في ذلك اليوم بين عشرة وكان رجلاً صالحاً
رحمه الله وبلغ الخبر السلطان رحمه الله فعاد منزعجاً فوجد الحرب قد
انفصل وعاد هو إلى خيمته وعاد العدو خائباً خاسراً ولله الحمد
والمنة وهذه الوقعة لم أحضرها فإني كنت مسافراً وما مضى من الوقعات
شاهدت منها ما شاهده مثلي وعرفت الباقي بنقل ما يعرفه كالحاضر

في هذا اليوم

ذكر وفاة الفقيه عيسى رحمه الله

وفي ما بلغني ولم أكن حاضرها وذلك أنه مرض مرضاً كان يتعاهده وهو
ضيق النفس وعرض له إسهال فأضعفه ولم يقطع صلاة ولم يغب ذهنه
عنه إلى أن مات على ما بلغني من حضره وكان رحمه الله كريماً شجاعاً حسن
كثير الغرام بقضاء حوائج المسلمين توفي رحمه الله طلوع فجر الثلاثاء تاسع
ذي القعدة من شهور سنة خمس وثمانين وخمسمائة رحمه الله

نادرة

ومن نوادر هذه الوقعة أن علوقاً كان للسلطان يدعى سراسنقر وكان
شجاعاً قد قتل من أعداء الله خلقاً عظيماً وفتك فيهم فأخذوا في قلوبهم منه
لكانه فيهم فرصدوه وتجمعوا له وكمنوا له وخرج إليه بعضهم وتراءوا له
فحمل عليهم حتى صار بينهم ووثبوا عليه من سائر جوانبه فأمسكوه

واخذ واحد بشعره وضرب الاخر رقبته بسيفه فانه كان قد
قرب ووقعت ضربته في يد المملوك الماسك فقطعت يده وخلا عن
شعره فاشتد هاربا حتى عاد الى اصحابه واعدا الله يشتدون عدوا
خلفه فلم يلحقه منهم احد وعاد سالما ولله الحمد ورد الله الذين كفروا بغيظهم
لم ينالوا خيرا

ذكر تسليم الشقيف سنة ست وثمانين وخمسمائة

ولما كان يوم الاحد خامس عشر ربيع الاول علم الفرنج المستحفظون
بالشقيف انه لا عاصم لهم من امر الله وانهم ان اخذوا عنوة ضربت رقابهم
فطلبوا الامان وجرت مراجعات كثيرة في قاعدة الامان وكان قد علموا
من حال صاحبهم انه قد عذب اشد العذاب فاستقرت القاعدة على
ان الشقيف يسلم ويطلق صاحبه وجميع من فيه من الفرنج وينزل بما فيه
من انواع الاموال والذخاير فسلم في التاريخ المذكور وكان قد
جرى من العني استقرت القاعدة في التاريخ المتقدم وعاد صاحب صيدا
والفرنج الذين كانوا بالشقيف الى صور ولما راى السلطان رحمه الله عليه اهتمام
الفرنج من اقطار بلادهم بالمكان وتصويب سهام عزايمهم نحوه اغتنم الشتا

وانقطاع

وانقطاع البحر حصل في عكا من الميرة والذخاير والعدد والرجال
ما امن معه عليها مع تقدير الله تعالى وتقدم الى النواب بمصر
ان يعمروا اليها اسطولا عظيما لحمل خيرا وسار حتى دخل عكا
مكابرة للعدو ومراغمة له واعطى العساكر دستورا في
طول الشتا ليستجموا ويستريحوا واقام هو رحمه الله مع نفر يسير قبالة
العدو وقد حال بين العسكرين شدة الوحول وتعذر عليهم بسبب ذلك الوصول
بعضهم الى البعض ٥

طريفة

كان لما بلغ خبر العدو وقصده عكا جمع الامرا واصحاب الراي بمرج عيون
وشاورهم فيما يصنع وكان رايه رحمه الله انه قال المصلحة مناجزة القوم
ومنعهم من النزول على البلاد والا ان نزلوا جعلوا الرجالة سورا لهم وحفروا
الخنادق وصعب علينا الوصول اليهم وخيف على البلد منهم وكانت اشارة الجماعة
انهم اذا نزلوا اجتمعت العساكر فقلعناهم في يوم واحد وكان الامر كما
قال السلطان رحمه الله والله لقد سمعت منه هذا القول وشاهدت الفعل
كما قال رحمه الله وهو موافق لمعنى قوله صلى الله عليه وسلم ان من امتي محدثين
ومكلمين وان عمر لمنهم ولم يزل السلطان رحمه الله مجدا في انفاذ الى عكا

بالميره والعدد والاسلحه والرجال حتى انقضى الشتا وانفتح البحر وجا
زمان القتال انفذ الى العساكر يستدعيها من الاطراف ولما تواصل
اوايل العساكر وقوي جيش الاسلام رحل السلطان رحمه الله عليه نحو
العدو ونزل تل كيسان وذلك في ثامن عشر ربيع الاول من
سنه ست وثمانين وخمسمايه ورتب العساكر قلبا وميمنه وميسره
وكان اول الميمنه ولده الملك الافضل واخر العساكر في التواصل
والتحق مع التواتر ووصل رسول الخليفه

ذكر وصول رسول الخليفه

ولما كان يوم الاثنين سادس عشر ربيع الاول من سنه ست وثمانين
وخمسمايه وصل رسول بغداد وهو شاب شريف ووصل معه حملان من النفط
وجماعه من النفاطين الزراقين ووصل معه رقعه من الديوان العزيز
تتضمن الاذن للسلطان رحمه الله عليه في ان يقترض من عشرين
الف دينار ينفقها في الجهاد ويحيل بها على الديوان العزيز فقبل جميع ما وصل
من الرسول واستعفى عن الرقعه والتثقيل بها رحمه الله عليه وفي ذلك اليوم
بلغ السلطان رحمه الله ان الفرنج قد اجتمعوا على البلد وضايقوه وزحـ

اليهم ليشغلهم بالقتال عن البلد فركب وقاتلهم قتالا شديدا الى
ان فصل بين الطايفتين الليل وعاد كل فريق الى اصحابه وراى السلطان
رحمه الله عليه قوه العساكر الاسلاميه وراى بعد المكان عن العدو وخاف
ان يهجم البلد فيتم عليه امر فراى الانتقال الى تل العجول لاقرب العدو والتصل
بالطلب وكان الانتقال اليه في الخامس والعشرين من ربيع الاول من
سنه ثمانين وخمسمايه وفي صبيحه هذا اليوم وصل من البلد عوام معه كتب
تتضمن ان قد طم العدو بعض الخندق وقد قوي عزم العدو على منازله
البلد ومضايقته مجد الكتب الى العساكر يحثها على الوصول وعبا العساكر
تعبيه القتال وزحف الى العدو ليشغله عن ذلك

ذكر وصول الملك الظاهر ولده رحمه الله

ولما كانت سحريه الجمعه سابع عشري ربيع الاول من سنه ست وثمانين
وخمسمايه وصل ولده الملك الظاهر رحمه الله غياث الدين غازي صاحب حلب
جريده في خدمته قدس الله روحه معاجله للسير وترك عسكره في النزله
وخدم والده وقبل يده وعاد الى عسكره سحر السبت ثامن عشري
منه وسار بهم حتى وصل في ذلك اليوم بالجحفل وقد اظهر الزينه ولبسوا

لأمة الحرب ونشرت الأعلام والبيارق وضربت الكوسات
ونفرت البوقات وعرض بين يدي والده رحمه الله عليه ووقف
ركب إلى أن أتى به في المرج وسار بهم حتى وقف بهم على العدو وشاهدوا
من جند الله ما أزعجهم وأقلقهم وفي أواخر ذلك اليوم قدم مظفر
الدين بن زين الدين بجريدة أيضا مسارعة للخدمة ثم عاد إلى عسكره وقدم
معه في يوم الأحد في لأمة الحرب فعرضهم السلطان رحمه الله عليه
وسار بهم حتى وقف بهم على العدو وعادوا إلى منزلهم وكان
رحمه الله كلما قدم عسكر إلا ويعرضهم ويسير بهم إلى العدو وينزل
بهم في خيمته ويمد لهم الطعام ويخلع عليهم بما تطيب به قلوبهم إذا كانوا
أجانب ثم تضرب خيامهم حيث يأمر وينزلون بها مكرمين

لطيفة تدل على سعادته ولده الملك الظاهر

رحمه الله وقدس روحه والاه

وذلك أن العدو كان قد اصطنع ثلاثة أبراج من خشب وحديد وألبسها
الجلود المسقاة بالخل على ما ذكر بحيث لا ينفذ فيها النيران وكانت هذه الأبراج
كأنها الجبال نشاهدها من مواضعنا عالية على أسوار البلد وهي مركبة

على

على عجل يسع الواحد منها من المقاتلة ما يزيد على خمسمائة نفر على ما قيل
ويتسع سطحها لأن ينصب عليه منجنيق وكان ذلك قد عمل في قلوب
المسلمين وأودعها من الخوف على البلد ما لا يمكن شرحه وأيس
الناس من البلد بالكلية وتقطعت قلوب المقاتلين فيه وكان قد
فرغ عملها ولم يبق إلا جرها إلى قرب السور وكان السلطان قد
أعمل فكره في إحراقها وإهلاكها وجمع الصناع من الزراقين والنفاطين
وباحثهم في الاجتهاد في إحراقها ووعدهم عليه بالأموال الطائلة
والعطايا الجزيلة وضاقت حيلهم عن ذلك وكان من جملة من حضر شاب
دمشقي ذكر بين يديه رحمه الله أن له صناعة في إحراقها وأنه إن مكن من
الدخول إلى عكا وحصل له الأدوية التي يعرفها أحرقها فحصل له جميع
ما طلبه ودخل إلى عكا وطبخ الأدوية التي حصلها مع النفط في قدور
من النحاس حتى صار الجميع كأنه جمرة نار والملكان يومئذ وصل أوان الملك
الظاهر رحمه الله ولعله كان عقيب وصوله ضرب البرج الواحد بقدر
فلم يكن إلا أن وقعت فيه واشتعل من ساعته ووقته وصار كالجبل
العظيم من النار طالعة ذوائبه نحو السما فاستغاث المسلمون بالتهليل

والتكبير وغلبهم الفرح حتى كادت عقولهم ان تذهب وسائر الناس
ينظرون ويتعجبون ادني البرج الثاني بالقدور الثانية فما كان الا ان
وصلت اليه واشتعلت كالتي قبلها فاشتد ضجيج الفئتين وارتفعت
الاصوات الى السما وما كان الا ساعة حتى ضرب الثالثة فالتهب
وغشي الناس من السرور والفرح ما حرك ذوي الاحلام والنهى منهم
حركة الشباب الرعنا وركب السلطان قدس الله روحه وركبت
العساكر ميمنة وميسرة وقلبا وكان اواخر النهار وسار حتى اتى
عسكر القوم وانتظر ان يخرجوا فيناجزهم عملا بقوله صلى الله عليه وسلم
من فتح له باب خير فلينتهزه فلم يخرجوا العدو من خيامهم وحال بين الطائفتين
الليل وعاد كل فريق الى خيمه وراى الناس ذلك من بركة قدوم ولده الملك
الظاهر رحمه الله واستبشروا ان يخرج نفسه وعلم ان ذلك اثر صلاح سريرته
واستمر ركوب السلطان اليهم في كل يوم وطلب نزالهم وقتالهم وهم لا
يخرجون من خيامهم لعلمهم بتتابع النصر واللطف بهم والى الاسلام تتواتر
وتتواصل

ذكر وصول عماد الدين زنكي صاحب سنجار

ولما كان يوم الثاني عشر من ربيع الآخر حضر عماد الدين زنكي بن مودود

ابن زنكي صاحب سنجار نحو عسكره ووصل بتجمل حسن وعسكر تام
ولقيه السلطان رحمه الله وعامله بالاحترام والتعظيم ورتب له العسكر
الى ان اتى به فكان اول من لقيه من العسكر المنصور قضاته وكتابه ثم لقيه
اولاده بعد ذلك ثم لقيه السلطان قدس الله روحه ثم سار به حتى
اوقفه على العدو وعاد معه الى خيمته وانزله عنده وكان صنع له طعاما
لايقا بذلك اليوم فحضر هو وجميع اصحابه وقدم له من التحف واللطايف
ما لا يقدر عليه غيره وكان قد اكرمه بحيث طرح له طراحة مستقلة
الى جانبه وبسط له ثوبا اطلس عند دخوله وضربت خيمته على طرف الميسرة
على جانب النهر

ذكر وصول معز الدين سنجر شاه صاحب الجزيرة

ولما كان يوم الاربعا سابع جمادى الاول سنة ست وصل سنجر شاه
معز الدين وهو ابن سيف الدين غازي بن مودود بن زنكي وهو صاحب الجزيرة
وصل في عسكر حسن وزي مستحسن فلقيه السلطان قدس الله روحه
واحترمه واكرمه وانزله في خيمته وامر ان ضربت له خيمة الى جانب عمه عماد الدين

ذكر وصول علاء الدين ابن صاحب الموصل

وكان وصوله في تاسع جمادى الاول سنة سبع وثمانين وخمسمائة
وهو علاء الدين خرمشاه بن مسعود بن مودود بن زنكي وصل نائبا
عن ابيه عز الدين مسعود صاحب الموصل منتميا على عسكره فخرج
السلطان رحمة الله عليه بنفسه ومعه فرحا شديدا وتلقاه عن بعد وهو اول
واستحسن ادبه واستنجبه وانزله عنده في الخيمة وكارمه بمكارمه
عظيمة وقدم له تحفا حسنة واستحضر خيمة بين ولديه الملك
الافضل والملك الظاهر وكان من اهله الذي بسط له في ضيافته
ومكارمه وحسنها وضبطه

ذكر وصول الاصطول ودخوله الى عكا

ولما كان ظهيرة ذلك اليوم وهو يوم وصول علاء الدين ظهر شي في البحر
قلوع كثيرة وكان رحمة الله عليه في انتظاره وصول الاصطول من مصر
بعشر فانه كان قد امر بتعميره ووصوله فعلم انه هو وركب السلطان
رحمه الله وركب الناس في خدمته وعبى تعبية القتال وقصد مضايقة
العدو ليشغله عن قصد الاصطول ولما علم العدو وصول الاصطول
استعد له وعمر له اصطولا لقتاله ومنعه من دخول عكا وخرج

اصطول العدو واشتد السلطان رحمة الله عليه في قتالهم من
خارج وسار الناس على جانب البحر تقوية للاصطول وايناسا
لرجاله والتقى الاصطولان في البحر والعسكران في البر واضطرمت
نار الحرب واستعرت وباع كل فريق مهجته بالحياة الاخروية
ورجح حياته الابدية على حياته الدنيوية وجرت بين الاصطولين
قتال شديد انفتح على نصرة الاصطول الاسلامي ولله الحمد
على عدو الله واخذ منه شاني وقتل من به ونهب جميع ما فيه
وطمعوا في العدو لمراكب ايضا كان واصلا من قسطنطينية ودخل
الاصطول المنصور الى عكا وكان قد صحبه الكبير الساحل فيها
ميرة وذخائر وطابت قلوب اهل البلد بذلك وانشرحت صدورهم
فان الضائقة كانت قد اخذت منهم واتصل القتال بين العسكرين
من خارج البلد الى ان فصل بينهما الليل وعاد كل فريق الى خيمته وقد قتل
من عدو الله وجرح في ذلك اليوم خلق عظيم فانهم قاتلوا في مواضع
فان اهل البلد اشتدوا في قتالهم ليشغلوهم عن الاصطول ايضا والاصطولان
يتقاتلان والعدو في البر يقاتلهم وكان النصر من عند الله للمسلمين في ذلك اليوم
في الايام كلها

ذكر وصول الاصطول زين الدين صاحب اربل

وكان وصوله في العشر الاخير من جمادى الاولى وهو زين الدين يوسف ابن
زين الدين علي بن بكتكين صاحب اربل قدم بعسكر حسن وتجمل جميل
فاحترمه السلطان رحمه الله واكرمه وانزله في خيمته واكرم
ضيافته وامر بضرب خيمته عند اخيه مظفر الدين

ذكر خبر ملك الالمان

ثم تواصلت الاخبار بوصول ملك الالمان الى بلاد قلج ارسلان وانه
انتهض للقائه جمع عظيم من التركمان وقصدوا منعه من عبور النهر
وانهم عجزوا عنه لكثرة خلقه وعظم حشده وكان قلج ارسلان
يظهر شقاقه وهو في الباطن قد اضمر وفاقه ثم لما عبر الى البلاد
اظهر ما كان اضمر ووافقه واعطاه رهاين معه على انه ينفذ معه من يوصله
الى بلاد ابن لاون وانفذ معه ادلاء يدلونه وعراهم في الطريق جوع
عظيم واعوزهم الزاد وقل بهم الظهر حتى انهم القوا بعض اقمشتهم ولقد
بلغنا والله اعلم انهم جمعوا عددا كبيرا من زرديات وخوذ والات سلاح
عجزوا عن حملها وجعلوها تلا واحدا واضرموا فيها النار لتتلف ولا ينتفع

بها احد وانها بقيت بعد ذلك رابية من حديد وساروا على هذه الحال
حتى وصلوا الى بلد يقال له طرسوس فاقاموا على نهر ليعبروه وان
ملكهم اللعين عن له انه يسبح فيه وكان ماؤه شديد البرودة
وكان ذلك عقيب ما ناله من التعب والنصب والمشقة والخوف
واثر عرض له بسبب ذلك مرض عظيم اشتد به الى ان قتله ولما راى
ما حل به اوصى الى ابنه الذي كان في صحبته ولما مات اجمعوا رايهم على
انهم سلقوه في خل وجمعوا عظامه في كيس حتى يحملوه الى القدس الشريف
ويدفنوه فيه وترتب ابنه مكانه على خلاف من اصحابه فان ولده الاكبر كان
قد خلفه في بلاده وكان جماعة من اصحابه يميلون اليه واستقر قدم ولده
الحاضر في تقدمة العسكر ولما احس ابن لاون ما جرى عليهم من الهلاك
وما حل بهم من الجوع والموت والخوف والضعف بسبب موت ملكهم ما راى
ان يلقي نفسه بينهم فانه لم يعلم كيف تكون الامور وهم فرنج وهو ارمني
فاعتصم هو عندهم في بعض قلاعه المنيعة ولقد وصل الى السلطان
رحمه الله كتاب من الكاغيكوس وهو مقدم الارمن وهو صاحب قلعة الروم التي على
طرف الفرات نسخة هذه ترجمته

وما ادا

كتاب الداعي المخلص الكاغيلوس ما الطالع به علوم مولانا السلطان
الناصر جامع كلمة الايمان رافع علم العدل والاحسان صلاح الدنيا
والدين سلطان الاسلام والمسلمين ادام الله ابناءه وضاعف
جلاله وصان مجده وعلاه وبلغه نهاية آماله بعظمته وجلاله
من امر ملك الالمان وما جرى له عند ظهوره وذلك انه اول ما
خرج من دياره ودخل بلاد الهنكر غصبا وغصب ملك الهنكر
بالاذعان والدخول تحت طاعته واخذ من ماله ورجاله ما اختار
ثم انه دخل ارض مقدم الروم وفتح البلاد ونهبها واقام بها واخلاها
واحوج ملك الروم الى الطاعه واخذ رهاينه ولده واخاه واربعين
نفرا من خلصايه واخذ منه خمسين قنطارا ذهبا وخمسين قنطارا
فضة وثياب اطلس مبلغا عظيما واغتصب المراكب وعدى بها الى
هذا الجانب وصحبته الرهاين الى ان دخل حدود بلاد الملك قليج
ارسلان ورد الرهاين وبقي سائرا ثلثة ايام وتركمان الاوج يلقونه
بالاغنام والابقار والخيل والبضايع فتداخلهم الطمع وجمعوا
جميع البلاد ووقع القتال بين التركمان وبينه وضايقوه ثلثة وثلثين

يوما وهو سائر ولما قرب من قونية جمع قطب الدين ولد قليج
ارسلان العساكر وقصده وضرب معه مصافا عظيما فظفر به
ملك الالمان وكسره كسرة عظيمة وسار حتى اشرف على قونية فخرج
اليه جموع عظيمة من المسلمين فردهم مكسورين وهجم قونية بالسيف
وقتل بها عالما عظيما من المسلمين والفرس واقام بها خمسة ايام
فطلب قليج ارسلان منه الامان فامنه الملك واستوثق منهم فاعطوه الرهاين
واخذ منه الملك رهاين عشرين من اكابر دولته واشار على الملك
ان يجعل طريقه على طرسوس والمصيصة ففعل وقبل منه وقبل وصوله
الى هذه البلاد نفذ كتابه ورسوله يشرح حاله وابن قصده وما
لقيه في طريقه وانه بلا بد يجتاز بهم في الاياب اختيارا او كرها فاقتضى
الحال انفاذ المهول حاتم وصحبته ماسال ومعه جماعة الى الملك
في جواب كتابه وكانت الوصية معهم ان يحرضوه على بلاد قليج ارسلان
ان امكن فلما اجتمعوا بالملك الجبر واعادوا عليه الجواب وعرفوه الاحوال
ابان الانحراف ثم لم تعلمه العساكر والجموع فنزل على شط نهر من الانهار
فاكل خبزا ونام ساعة وانتبه فتاقت نفسه الى الاستحمام في الما

من الجوا

البارد وهلكت اباعرها فلا بل ومات ولما لاقون مكان سائر المتلقي للملك
ملاحوى هذا المحول هرب الرسل من العلل وتقدموا اليه والخروج
بالحال فدخل في بعض حصونه واحتمى هناك ولما ابن اللـ
فكان امرهم منذ توجه لقصد هذه الديار نصب واه الكب
معه عوضه وتاطلب قواعده ولهم هرب رسل الافون فانفذ
واستعطفهم واحضرهم وقال ان ابي كان شيخا كبيرا وانما قصد
هذه الديار لاجل حج بيت المقدس وانا الذي دبرت الملك وعانيت
المشاق في هذا الطريق فمن اطاعني والا بدان تقصد بلاده واستعطف
لافون واقتضى الحال الاجتماع به ضرورة وفي الجملة هم في عدد كثير
ولقد عرض عسكره فكان فيه اثنين واربعين الف مجفف واما الرجالة
فلا يحصى عددهم وهم اجناس متفاوتة وخلق غريبة وهم على
قصد عظيم وجد في امرهم وسياسة هائلة حتى ان من جنا منهم
جناية ليس له جزاء الا ان يذبح مثل الشاة ولقد بلغهم عن بعض
اكابرهم انه جنا على غلام له وجاوز الحد في ضربه فاجتمعت القسوس
للحكم فاقتضى الحال والحكم العام ذبحه وتشفع الى الملك منهم خلق عظيم

فلم يلتفت الى ذلك وذبحه وقد حرموا الملاذ على انفسهم حتى ان
من بلغهم عنه بلوغ لذة هجروه وعزروه وكل ذلك حزنا على
على البيت المقدس ولقد صح عن جمع منهم انهم هجروا الثياب مدة
طويلة وحرموها على انفسهم ولم يلبسوا الا الحديد حتى انكر عليهم
الاكابر ذلك وهم من الصبر على الشقا والذل والتعب في حال عظيم
طالع المملوك بالحال وما يتجدد بعد يطالع به ان شاء الله تعالى هذا
كتاب الكاغيكوس ومعنى هذا اللفظ الخليفة واسمه بركري كوري بن باسيل

ذكر مسير العساكر الى اطراف البلاد التي في طريق بلد

ولما تحقق السلطان قدس الله روحه وصول ملك الالمان الى بلاد
لافون وقربه من البلاد الاسلامية جمع امراء دولته وارباب الآرا
وشاورهم فيما يصنع فاتفق الراي على ان يسير بعض العساكر الى البلاد
المتاخمة لطريق عبور العدو والواصل من غير هو رحمه الله على منازلة
العدو بباقي العسكر المنصور فكان اول من سار صاحب منبج وهو ناصر
الدين بن تقي الدين ثم عز الدين بن المقدم صاحب كفرطاب وبعرين
وغيرهما ثم مجد الدين صاحب بعلبك ثم سابق الدين صاحب شيزر

ثم البارزين من جاه عسكر حلب ثم عسكر حماه وسار ولد الملك
الافضل لمرض عرض له الضام بدر الدين مما يجيد دنيسر لمرض
عرض له ايضا وسار بعده ولده الملك الظاهر الى محروسه حلب لاجل
الطرق وكشف الاخبار وحفظ ما يليه من البلاد وسار بعده الملك
المظفر لحفظ ما يليه من البلاد وتدبير امر العدو والجبار وكان اخر
من سار في ليله السبت التاسع من جمادى من شهور سنه ست وثمانين
وخمسايه ولما سارت هذه العساكر خفت الميمنه فان معظم من سار منها
فامر رحمه الله عليه الملك العادل رحمه الله ان ينتقل الى منزله تقي الدين
في طرف الميمنه وكان عماد الدين في طرف الميسره ووقع في العسكر
مرض عظيم ومرض مظفر الدين ابن زين الدين صاحب حران وشفي ومرض
ولدا الملك الظافر والسلطان رحمه الله عليه وشفي ومرض خلق كثير من
الاكابر وغيرهم الا ان المرض كان سليما بحمد الله تعالى وكان المرض عند
العدو اكثر واعظم وكان فيهم موتان عظيم واقام السلطان قدس
الله روحه مصابرا على ذلك مرابطا للعدو

ذكر تمام خبر ملك الالمان

وذلك ان الملك الذي اقام مقامه مرض مرضا عظيما اقام بسببه بموضع
يسمى المينان من بلاد بن لاون واقام معه خمسه وعشرون فارسا
واربعين داويا وجهز عسكره نحو انطاكيه حتى يقطعوا الطريق وقسمهم
ثلاث فرق لكثرتهم ثم ان الفرقه الاولى اجتازت تحت قلعه
بغراس يقدمها كند عظيم عندهم وان عسكر بغراس مع قلتهم
اخذ منهم ما يزيد على خمسين ماسورا ونهبا وانتهوا الخبر بما عندهم من الضعف
العظيم والمرض الشديد وقله الخيل والظهر والعدد والالات
ولما اتصل هذا الخبر بالنواب في البلاد الشاميه انفذوا اليهم
عسكرا يكشف اخبارهم فوقع العسكر على جمع عظيم قد خرجوا لطلب
العلوفه فاغاروا عليهم غاره عظيمه وقتلوا واسروا وكان مقدار ما
احضروه على ما ذكره المخبرون زهاء خمسمايه نفس ولقد حضرت
انا رسالة رسول ثاني وصل من جهة عسكرنا بين يدي السلطان رحمه الله عليه
وهو يذكر خبرهم ويقول هم عدد كثير لكنهم ضعفا قليلو الخيل
والعده واكثر اثقالهم على حمير وخيل ضعيفه قال ولقد وقفت على
جسر يعبرون عليه لاعتبرهم فعبر منهم جمع عظيم ما وجدت مع واحد منهم

طاقة ولا بقا الا النادر فسالتهم عن ذلك فقالوا قد ابيح وحرم
آباؤنا وقلت ازوادنا وحطابنا فوق ما عظم عددنا وكان من الخانق
عظيم والتجانا الى الجبل فتحناها والنا ها دافعنا الرماح والعدد
لاعواز الحطب ولما الامر الذي وصل الى انطاكيه بيرالله فتحها في
نقدمه العسكر فانه مات منكم ان لا نعرف لما الحق منهم بهذا
الضعف طمع فيهم حتى انهم عزموا على اخذ بلاد الملك المرضيه وضعفه
وذلك جمع الذي خلف معه وان البرنس صاحب انطاكيه لما احس منهم
ذلك سار الى بلد الالمان ليبقله لا انطاكيه طمعا في ان يمن عنده ذخائر
ماله ولم تزل اخبارهم تتواتر بالضعف والنقص الى ان نفسه وفتحه العادل
رحمه الله على طرف البحر

ذكر الواقعة العاكليه

ولما كان يوم الاربعا العشرين من جمادى الاخره من شهور سنه ست وخمسمايه
علم عدو الله ان العساكر قد تفرقت في اطراف العدو وان الميمنه قد خفت دباس
لان معظم من بها نزكان منها الحكم قرب بلادهم من طرف العدو والجهوا
رايهم واتفقت كلمتهم على انهم يخرجون بغتة ويحملون على طرف الميمنه
فجاه وتلاعبت بهم امانيهم التي اكذبها الله تعالى فخرجوا ظهيرة نهار الاربعا

واستند والميمنه وميسره وقلبا وانبثوا في الارض وكانوا عددا
عديدا كثيرا عظيما واستخفوا بطرف الميمنه وكان فيها طرفها المخيم الملك
العادل قدس الله روحه فلما ابصرهم الناس خرجوا في تعبية القتال
صاح صايحهم وخرجوا من خيامهم كالاسود من اجادها وولى السلطان
قدس الله روحه ناديا دينه بالاسلام ومراتب الجيوش وطلبت
الحلكدب وكان رحمه الله عليه اول راكب واقدم اقدامه وقد ركب من خيمته
وحوله نفر يسير من خواصه والناس لم يستتم ركوبهم وهو كا ناقه
والرعا الناكله ولحدها ثم ضرب الكوس فاجابتها سائر الاكوا
من اماكنها وركب الناس واما الفرنج لعنهم الله فانهم ساروا في
القصد الى الميمنه حتى وصلوا قبل استتمام ركوب العساكر حتى وصلوا
الى مخيم الملك العادل ودخلوا في وطاقه واشتغلوا بنهبهم في السوق واطراف
الخيم بالنهب والغاره وقبل وصلوا الى خيمه الخاص واخذوا من ثياب
خاناته شيا واما الملك العادل فانه لما علم بذلك ركب وخرج من خيمته
واستند بمن معه من الميمنه كالطواشي قاياز النجمي ومن يجري مجراه من السود
الدسالع ووقف وقوف شجاع حتى بوغل بهم طمعهم في الخيم واشتغلوا

بالنهب وكان كاطني رحمه الله فانهم كانت ايديهم في الخيام والاقمشة
والفواكه والمطاعم فلما علم اشتغالهم بذلك صاح بالناس وحمل
بنفسه بنيه وولده الكبير شمس الدين وحمل حملته لما كان يليه من الميمنة
من الطواشي اياز وغيره واتصل الامر بجميع الميمنة حتى وصل الصائح الى
عسكر الموصل وهجموا على العدو هجمة الاسود على فرايسها وامكنهم الله
تعالى منهم ووقعت الهزيمة فعادوا واشتدوا نحو خيامهم هاربين على
اعقابهم ناكصين وسيف الله فيهم يلتقط الارواح من الاشباح ويفصل
يفرق بين الاجساد والرووس ويبين الابدان والنفوس ولما حضر السلطان
رحمه الله عليه ينفصل الحرب قد ارتفع ما يلي الخيام اخبره رحمه الله نار تشـ
في قلبه نار الاشفاق وحركت الاخوة حميته والتهبت الرغبة في
دين نصرة الله والخوف على اوليائه عزمته وصاح صائحه في الناس يال
الاسلام وابطال الموحدين هذا عدو الله قد امكن الله منه وقد
داخله الطمع حتى غشي خيامكم بنفسه فكان من المبادرين الى اجابة
دعوته جماعة من خاصته وحلقته ثم طلب عسكر الموصل يتقدمهم
علاء الدين وعز الدين ثم عسكر مصر يتقدمهم سنقر الحلبي وتتابعت العساكر

وتتابعت العساكر وتجاذبت الابطال ووقف هو رحمه الله عليه
في القلب خشية ان يستضعف العدو القلب فحكم بالعزمة الى العساكر
فمال عرضا وتواصلت العساكر واتصل الضرب وقامت سوق
الحرب فلم تكن الا ساعة حتى غدا ابناء القوم صرعى كانهم اعجاز نخل خاوية
واشتدوا مطرحين بين خيام للملك العادل رحمه الله الى خيامهم ادهم
في الخيم الاسلامية واخرهم في خيم العدو صرعى على التلول والوهاد
وشربت السيوف من دمائهم حتى رويت واكلت اسد الوغى باسنان
الظفر بهم حتى شبعت واظهر الله سبحانه كلمته وحقق لعبيده نصره
وكان يتعدا انما اشتد في القتلى فيما بين الجيش من مجاوز ما زاد على ذلك
ولم ينج من القوم الا النادر ولقد خضت في تلك الدماء بدابتي واجتهدت
ان اعدهم فما قدرت على ذلك لكثرتهم وتفرقهم وشاهدت فيهم
امراتين تقاتلان وحكى لي من شاهد منهم اربع نسوة يقاتلن واسر منهن
اثنتان واسر من الرجال في ذلك اليوم نفر يسير فان السلطان رحمه الله
كان امر الناس ان لا يستبقوا احدا هذا كله في الميمنة وبعض القلب
ولما الميسرة فان الصائح بهم الا وقد تجز الامر وقضي القضاء على

على العدو لبعد ما بين الساقين وكانت هذه الوقعة فيما بين الظهر والعصر
فان الحدم الظهر في قائم الظهيرة وانفصلت الحرب بعد صلاة العصر
وداس القوم حتى دخلت معهم طائفة من المسلمين وراهم الى خيمهم على
ما قيل ثم انه رحمة الله عليه امر الناس بالتراجع لما ظهر له وجه الربح حيث
قتل من العدو ما قتل من هذا الخلق العظيم ولم يفقد من المسلمين احد وذلك
اليوم سوى عشرة انفس غير معروفين ولما احس حزب الله بكسا با
جري بين المسلمين وبين عدو الله من الوقعة فانهم كانوا يشاهدون الوقعات
من اعالي السور خرجوا الى مخيم العدو الخالي من الرجال وجرى بينهم مقتلة
عظيمة وكانت النصرة والحمد لله رب للمسلمين حتى هجموا لخيام العدو
ونهبوا منها جمعا من النسوان والاقمشة حتى القدور وفيها الطعام ووصل
كتاب من المدينة يخبر بذلك وكان بويا على الكافرين عشيرا واختلف الناس
في عدد القتلى منهم فذكر قوم انهم ثمانية الف وقال آخرون سبعة الف
ولم ينقصهم حازر بالقتل من خمسة الاف ولقد شاهدت منهم خمس صفوف
اولها عند خيم العادل رحمه الله واخرها في خيم العدو ولقد لقيت انسانا
عاقلا اخذ ديانة يسعى بين صفوف القتلى ويعدهم فقلت له كم عددت فقال

الى هاهنا اربعة الاف ونيفا وستين قتيلا وكان قد عد صفين وهو
في الصف الثالث الذي ما مضى من الصفوف اكثر عددا من الباقي وكان
يوم الاربعاء المذكور من احسن ما انجلى عنه الاسلام ولما كان يوم الخميس
الحادي والعشرين من جمادى المذكور ورد في عصره نجاب من المحروسة
حلب في خمسة ايام يتضمن كتابه ان جاعة عظيمة من العدو المتمان خرجوا
لنهب اطراف البلاد الاسلامية ونهض العسكر الاسلامي بمحروسة حلب
اليهم واخذ عليهم الطريق فلم ينج منهم احد الا من شاء الله وكان وقع
هذا الخبر عقيب هذه الوقعة المباركة وقعا عظيما وضربت البشائر
ولم يرى صبيحة ذلك العرس احسن من هذه الصبيحة وجاء بقية الله ذلك
اليوم من البر الى فابار الحراني وذكر ان العدو ارسل من جانب
السلطان قدس الله روحه من يصل اليهم ليسمع منهم حديثا في سؤال
الصلح لضعف حل بهم فلم يزل عدو الله من جنسه يكشف الحال منها ض
الجانب حتى وصلهم خبر اقبال الكندهري

ذكر وصول الكندهري

وهذا الملعون من ملوكهم واغنيائهم وصل في البحر في مراكب عدة ومعه

من الاموال والذخاير والميرة والاسلحة والرجال عدد عظيم فتقوى
بوصوله جاشهم واشتد ازرهم وحدثتهم نفوسهم بكبس العسكر الاسلامي
المنصور ليلا وكثر ذلك الحديث على السنة المستامنين والجواسيس فجمع السلطان
رحمه الله عليه الامرا وارباب الراي واستشارهم فيما يفعل فكان اخر الراي
انهم يوسعون الحلقة ويتاخرون عن العدو ويمكنون من خروج العدو ويبعد
عن خيمه فيبدد الله شملهم ووافقهم السلطان رحمه الله عليه على ذلك واوقع
في قلبه فرحل الى الجبل الخروبه الشادر با بيره وذلك في يوم الاربعا السابع
والعشرين من جمادى الاخرة سنة ست وثمانين وخمسمايه ونزل بقيب
من العلو في تلك المنزلة كالبزل لتقدار الف فارس بيشار بن الحط النوبه
هذا والاثل متواصله من عكا وتاتيها على اجنحها الطيور والبرك
السباح والرايب اللطاف تخرج ليلا وتدخل سرقة من العدو ان
عدنا الى اخبار ملك الالمان هذا واخبار العدو الواصل من الشمال
متواصله وقلة خيله وعدده وما قد عراهم من المرض والموت وانهم قد
اجتمعوا في انطاكيه وانهم يتفقوا الرجاله وان اصحابنا عسكر حلب
يتخطفون حشاشتهم وعلافتهم ومن يخرج منهم ۵

ذكر كتاب وصل من قسطنطينية بيسر الله فتحها

وكان بين السلطان رحمه الله عليه وبين ملك قسطنطينية مراسله
ومكاتبه وكان قد وصل منه رسول الى الباب السلطاني بمرج عيون
في رجب سنة خمس وثمانين وخمسمايه في جواب رسول كان انفذه السلطان
رحمه الله عليه اليه بعد تقرير القواعد واقامة قانون الخطبة في
جامع قسطنطينيه فمضى الرسول واقام الخطبه ولقي باحترام عظيم
واكرام زايد وكان قد انفذ معه في المركب الخطيب والمنبر وجمع من
المؤذنين والقرا وكان دخولهم الى قسطنطينيه يوما عظيما من
ايام الاسلام شاهده جمع كثير من التجار ورقى الخطيب المنبر واجتمع
اليه المسلمون المقيمون بها والتجار واقام الدعوة الاسلامية العباسية
ثم عاد فعاد معه هذا الرسول يخبر بانتظام الحال في ذلك فاقام مدة
ولقد شاهدته يبلغ الرسالة ومعه ترجمان يترجم عنه وهو شيخ لحسن
ما يعرض ان يكون من صور الملح وعليه الثياب التي تختص بهم ومعه
كتاب وتذكرة والكتاب مختوم بذهب وملاطفات وصل خبره الى ملك
القسطنطينية وخبر وفاته فانفذ هذا الرسول في مدة ذلك ووصل معه

الكتاب في جواب ذلك وصورته ما فسر من الكتاب الواصل مشدود ومضمون صحـ
عرض انه كتاب مدروج عرضا وهو دون كتاب بغداد منزجا في ظاهره
وباطنه سطرين بينهما فرجه وضع فيها الختم والختم في ذهب مطبوع
ان يطبع الخاتم في الشمع على جهة صورة ملك وزن الذهب خمسة عشر
دينارا مضمون السطرين المكتوبين باهرا صورته من ايساكيوس
الملك المومن بالمسيح الاله المتوج من الله المنصور العالي ابدا افغوس
المدبر من الله القاهر الذي لا يغلب ضابط الروم بذاته انجلوس الى
النسيب سلطان مصر صلاح الدين فهذا صورة ما كتب عليه من الترجمة باطنا
وظاهرا واما ما فسر من الكتاب فهذا المحبة والمودة وقد وصل خط
نسيبك الذي نفذت الى ملكي وقراناه وعلمنا ان رسولنا توفي وحزنا
حيث انه توفي في بلد غريب وما قدرنا نتم ما رسم له ملكي وامر ان
يتحدث مع نسيبك ويقول في حضرتك ولا بد لنسيبك ان يتم
بانفاذ رسول الى ملكي ليعرف ملكي بما بعث البلاغ رسولي المتوفي واما
القماش الذي خلفه وجد بعد موته ينفذ الى ملكي ليعطيه لاولاده واقاربه
وما اظن انه سمع نسيبك اخبار الارديه وانه قد سار في بلادي الالمان

وما هو عجب فان الاعدا يرجفون بانشا كاذب على قدر اغراضهم
ولو نشتهي ان نسمع الحق فانهم قد تاذوا وتعبوا اكثر مما اذوا فلاحي
بلادي وقد خسروا اكثر من المال والدواب والرجال الحمال ومات
منهم كثير وقتلوا وهلكوا وبالشدة قد خلصوا من ايدي اجناد بلادي
وقد ضعفوا بحيث انهم لا يصلون الى بلادك وان وصلوا كانوا ضعافا
بعد مشقة كثيرة ولا يقدرون ينفعون جنسهم ولا يضرون نسيبك
وبعد ذلك كله العجب كيف قد نسينا الذي نعرف نسيبك وكيف ما عرف
لملكي شيا من المقاصد والمهمات وكما يظهر الذي يتاخر ملكي من بحثك
الاعداء والفرنج وجنسهم ومراد نسيبك كما قد ثبت الذي في ذلك
الذي قد نفذت الينا من انفاذ رسول حتى يعرفني جميع ما قد ثبت
الذي في القديم من الحديث ويكون ذلك اسرع ما يكون والتحمل على تلك من
مجي الاعدا الذي قد سمعت بهم فان ادبارهم على قدر نيتهم وارائهم وكتب
سنـ في ايام الف وواحد وخمسمائة فوقف رحمه الله عليه على هذه الترجمة
واكرم الرسول واحسن مثواه وكان شيخا حسن الخلق مهيبا عارفا
بالعربية والرومية والفرنجية ان الفرنج لعنهم الله تعالى اسندوا الى حصار

البلد ومضايقته لما احدثت لهم من القوة بوصول الاخر هي فاتفق
على ما ذكر والله اعلم في عشرة الاف مقاتل ووصلهم يحيى في اخرى في
البحر وقويت بها قلوبهم ولزموا البلد بالقتال

ذكر حرق المنجنيقات التي للعدو المخذول

وذلك ان العدو لما احس في نفسه بنوع ضعف بسبب توالي الجوع عليهم
اشتد طمعهم وسلطوا عليها المنجنيقات من كل جانب ونادوا عليها
الجيش لا تبطل رميها الليل والنهار وذلك في اثنا رجب من سنة ست
وثمانين وخمسمائة ولما راى اهل ما نزل بهم من مضايقة العدو وتحقق البلد
طمعهم بهم حركتهم النخوة الاسلامية وكان مقدمهم حينئذ والي البلد
وحارسه فاما امير احدهم بالليل قراقوش واما مقدم العسكر فالامير
الاسفهسلار الكبير حسام الدين ابو الهيجا وكان رجلا ذا كرم وشجاعة
وتقدم في عشيرته وقضاء عزيمته فاجتمع رايهم على انهم يخرجون
الى العدو فارسهم وراجلهم على غرة وغفلة منهم ففعلوا ذلك
وفتحت الابواب وخرجوا دفعة واحدة من كل جانب ولم يشعر العدو
الا والسيف فيهم حاكم عادل وسهم قضا الله وقدره فيهم نافذ

خاذل وهجم الاسلام على الكفر في منازلهم ووصلوا باصحابه منا ما حلهم
وراى مقاتلهم ولما ودنح المسلمون بخيام العدو ذهلوا عن المنجنيقات
وحراستها وحفظها وسياستها فوصلت شهب الزراقين للعدو فيها
وكانت عواية الله في صره دنيه المالوفة فلم تحرك ساعة حتى اضطرمت
فيها النيران وتحرق منها بعد ما تشبث لها الاعداء في المدة الطويلة
في اقرب آن وقتل من العدو في ذلك اليوم سبعون فارسا واسر خلق
خلق عظيم وكان من جملة الاسرى رجل مذكور منهم ظفر به احاد القوم
الناس ولم يعلم بمكانه فلما انفصل الحرب سال الفرنج عنه هل هو حي ام
لا فعرف الذي هو عنده عند سوالهم انه رجل كبير وخاف ان يغلب عليه
ويرد اليهم بنوع مصانعة او على وجه من الوجوه فبادر وقتله وبذل
الفرنج فيه اموالا كثيرة ولم يزالوا يشددون طلبه ويحرصون عليه حتى
رمت اليهم جثته فضربوا انفسهم الارض وحثوا على وجوههم التراب
ووقعت عليهم بسبب ذلك خمدة عظيمة وكتموا الامر ولم يظهروا امر كان
واستصغر المسلمون بعد ذلك امرهم وهجم عليهم العرب من كل جانب يسرقون
وينقلون ويأسرون الى ليلة شعبان سنة ست وثمانين وخمسمائة وكان

الذي هو في النفق على منجنيق كبير عظيم الشكل على ما نقل الجواسيس
والمستأمنون الفا وخمسمائة دينار والعزم ليقدموه الى البلد ومنع من
جر بقيته ذلك اليوم لبعده عن البلد ولم يتقدم احد اليه فلما كانت
الليلة ركب الداوية خرج الزراقون والنفاطون بحفظهم من جانب
والله يطالعهم فساروا الى حيث سترهم الله حتى اتوا المنجنيق المذكور واضرموا
فيه النار فاحترق في ساعته ووقع الصياح من الطائفتين ودهش العدو
فانه كان بعيدا من البلد وخاف ان يكون قد احيط به من الجوانب وكان
نصرا من عند الله واحرق لهيبه منجنيق لطيف الى جانبه

ذكر الحيلة في ادخال بطسة بيروت الى البلد

وذلك انه رحمه الله كان قد اعد ببيروت بطسة وعمرها واودعها
اربعمائة غرارة من القمح ووضع فيها من الجبن والبصل والغنم
وغير ذلك من الميرة وكان الفرنج خذلهم الله قد داروا من اليهم حول
عكا حراسة لها عن ان يدخلها مركب للمسلمين وكانت قد اشتدت حاجة
من فيها الى الطعام والميرة فركب في بطسة بيروت جماعة من المسلمين وتزيوا
بزي الفرنج حتى حلقوا لحاهم ووضعوا الخنازير على سطح البطسة بحيث

ترى من بعد وعلقوا الصلبان وجاؤوا قاصدين البلد من البعد حتى
خالطوا مراكب العدو فخرجوا اليهم واعترضوهم في الحراقات وقالوا
نراكم قاصدين البلد واعتقدوا انهم منهم فقالوا ولم تكونوا اخذتم
البلد فقالوا لا لم نأخذ البلد بعد فقالوا نحن نرد القلوع الى العسكر
وورائنا بطسة اخرى في صوبنا فانذروهم حتى لا يدخلوا البلد وكان
وراءهم بطسة فرنجية قد اتفق مجيئها في البحر قاصدة العسكر فنظروا
فرأوها فقصدوها لينذروها فاشتدت البطسة الاسلامية في السير
واستقامت لها الريح حتى دخلت ميناء البلد وسلمت ولله الحمد وكان
فرجا عظيما فان الحاجة كانت قد اخذت من اهل البلد وكان ذلك
في العشر الاخير من رجب من شهور سنة ست وثمانين وخمسمائة

ذكر قصة العوام عيسى رحمه الله

ومن نوادر هذه الوقعة ومحاسنها ان عواما مسلما كان يقال له عيسى وكان
يدخل الى البلد بالكتب والنفقات على وسطه ليلا على غرة من العدو وكان
يغوص ويخرج من الجانب الاخر من مراكب العدو وكان ذات ليلة شد
على وسطه ثلاثة اكياس فيها الف دينار وكتب للعسكر وعام في البحر

مجري عليه امر اهلكه وابطا خبره عنا وكانت عادتنا انه اذا دخل البلد طائر عرفنا بوصوله فابطا الطير فاستشعر الناس هلاكه ولما كان بعد ايام بينا الناس على طرف البحر في البلد واذا البحر قد قذف اليهم ميتا غريقا فافتقدوه فوجدوه عيسى العوام ووجدوا في وسطه الذهب وشمع الكتب وكان الذهب نفقة المجاهدين فما رؤي من ادى الامانة في حال حياته وقد اداها بعد وفاته الا هذا الرجل وكان ذلك في العشر الاخير من رجب ايضا

ذكر حريق المنجنيقات

وذلك ان العدو كان نصب على البلد منجنيقات هائلة حاكمة على السور وان حجارتها تواترت حتى اثرت في السور اثرا بينا وخيف من غائلته فاخذ سهمان من سهام الچرخ العظيم واحرق نصلاهما حتى بقيا كالشعلة من النار ثم رميا في المنجنيق الواحد فعلقا فيه واجتهد العدو في اطفاء النار فلم يقدروا على ذلك وهبت ريح شديدة فاشتعل اشتعالا عظيما واتصلت لهبته بالاخر فاحرقته واشتد نارهما بحيث لم يقدر احد ان يقرب مكانهما لينطفيهما وكان يوما عظيما اشتد فيه فرح المسلمين وساءت عاقبة الكافرين

ذكر نادر حديث الالماني

وكان من حديثه انه بعد ان استغرق في بطايح بلد ابن لاون لعنه الله ومنها ولم من صاحبها وحكم فيها وكان بين يديه فيها بغراس فاخذها منه بعد غيابه وخديعة واودعها خزائنه وسار عنها يوم الاربعا خامس عشري رجب سنة ست وثمانين وخمسماية متوجها نحو عكا في جيوشه وجموعه على طريق اللاذقية حتى اتى طرابلس لعنها الله فنزلها وكان قد سار اليه من عسكر الفرنج يلقيه المركيس صاحب صور وكان من اعظمهم حيلة واشدهم باسا وهو الاصل في تهييج الجموع البحرية

ذكر الحيلة التي عملها المركيس في جمع الفرنج ومرور البحر

وذلك انه صور القدس في ورقة عظيمة وصور فيه صورة القيامة التي لهم يحجون اليها ويعظمون شأنها وفيها قبر المسيح الذي دفن فيه بعد صلبه بزعمهم وذلك القبر هو اصل حجهم وهو الذي يعتقدون نزول النور عليه في كل سنة في عيد من اعيادهم فصور القبر وصور عليه فرسا عليه فارس مسلم راكب عليه وقد وطئ قبر المسيح وقد بال الفرس على القبر وابدى هذه الصورة وراء البحر في الاسواق والمجامع والقسوس يحملونها ورؤوسهم

متكشفة وعليهم المسوح وينادون بالويل والثبور والصور على
في جاويهم فانها اتصل بينهم فهاج بذلك خلائق لا يحصى عددهم الا
الله تعالى وكان من جملتهم ملك الالمان وجنوده فلقيهم المركيس لانه اول من
استدعاهم الى هذه الواقعة فلما اتصل به قوى قلبه وبصرهم بالطريق
وسلك بهم الساحل خوفا من انه اذا اتى على بلاد حلب المحروسة وحماه
المحروسة ثار لهم المسلمون من كل جانب وقامت عليهم كلمة الحق من كل
صوب ومع ذلك لم يسلموا من شن الغارات عليهم فان الملك الظاهر
رحمه الله قصدهم بعساكره وجمع لهم جموعا وهجم عليهم هجوما عظيما اخذ
منهم اطراف عسكرهم وكان قد لحقهم بادل عسكره ولحقه الملك الظافر
بعساكره النفير عليهم ولكن بلغ الحال ذلك واخلف جيوش الناس هم
ولقد وقفت على بعض كتب المخبرين بالحرب وقد حزر فارسهم وراجلهم
بخمسة الف بعد ان كانوا قد خرجوا على ما ذكر مائتي الف فانظر الى
صنع الله مع اعدائه ولقد وقفت على بعض الكتب ذكر فيه انهم لما وردوا
في البلاد دقية بريدون حلبه وجدوا في اعقابهم نيفا وستين فرسا قد
عطبت وانتزع لحمها ولم يبق منها الا العظام من شدة الجوع وضعف…

الجبل ولم يزالوا سائرين وايدي المسلمين تتخطفهم من حولهم نهبا وقتلا
واسرا حتى اتوا طرابلس يسر الله فتحها ووصل خبر وصولهم جزيره
الثلث من شعبان سنة ست وثمانين هذا والسلطان قدس الله روحه
ثابت الجاش راسخ القدم لا يدعه ذلك عن حراسة عكا والحماية
لها ومراصدة العسكر النازل بها وشن الغارات عليهم والهجوم
عليهم في كل وقت مفوضا امره الى الله تعالى معتمدا عليه منبسط
الوجه لقضا حوائج الناس مواصلا بره من يفد اليه من الفقرا والفقها
والمشايخ والادبا ولقد كنت اذا بلغني هذا الخبر تاثرت حتى اذا دخلت
اليه فاجد منه من قوة النفس وشدة الباس ما ينشرح صدري
واتيقن معه نصر الاسلام واهله

ذكر وصول البطس من محروسة مصر

ولما كان العشر الاوسط من شعبان من شهور سنة ست وثمانين
وخمسماية كتب بها الدين قراقوش وهو والي البلد والمقدم على الاسطول
وهو الحاجب لولو وكانا للسلطان رحمه الله عليه لم يبق بالبلد ميرة الا
مقدار ما يبقى بالبلد الى ليلة النصف من شعبان لا غير فاسرها يوسف في نفسه
ال

ولم يبق بها خاص ولا عام خشية الشبع والتوجه الى العدو وتقوية
قلوب المسلمين وكان قد انفذ الى مصر يجهز ثلث بطس مشحونة
بالاقوات والادام والميرة وجميع ما يحتاج اليه في الحصار بحيث يكفيهم
ذلك طول الشتا واقلعت البطس الثلث من الديار المصرية ولججت في البحر
تتوخى الوصول بها الريح التي تحملها الى عكا فطابت لهم الريح حتى ساروا
ووصلوا الى عكا ليلة النصف من شعبان المذكور وقد فنيت الازواد
ولم يبق عندهم ما يطعمون الناس في ذلك اليوم وخرج عليها اسطول
العدو يقاتلها والعساكر الاسلامية تشاهد ذلك من الساحل والناس في
تهليل وتكبير وقد كشف المسلمون رؤوسهم يبتهلون الى الله تعالى في القضا
بتسليمها الى البلد والسلطان رحمة الله عليه على الساحل كالوالدة الثكلى يشاهد
القتال ويدعو الى ربه بنصرها وقد علم من شدة القوم ما لم يعلمه غيره وفي
قلبه ما في قلبه والله يثبته ولم يزل القتال يعمل حول البطس من كل جانب والله
يدفع عنها والريح تشتد والاصوات قد ارتفعت من الطائفتين والدعاء يخرق
الحجب حتى وصلوا بحمد الله تعالى سالمين الى ميناء البلد وتلقاهم اهل عكا
تلقي الامطار عن جدب وامتاروا ما فيها وكانت ليلة بليلة وكان دخولها

في صور ما به راكب وانضم اليهم من عكا مقدار
خمسين من مقاتلهم والفرس الغادة على البلاد
الاسلامية فوقع عليهم العسكر المرصد لحفظ البلاد
من ذلك الطرف وجرى بينهم قتال شديد فقتل من
العدو خمسة عشر نفرا ولم يقتل من المسلمين احد
وعادوا خائبين خاسرين ولله الحمد

ذكر قدوم العساكر الاسلامية الى الجهاد

ولما راى السلطان قدس الله روحه ما جرى من العدو
من البسط سير الى العساكر من سائر الاطراف
يستدعي الى الحضور فكان اول قادم بدر الدين دلدرم
مع خلق كثير من التركمان ولقيه السلطان فقدس
الله روحه واجزل له

ذكر قدوم ابن المقدم

ووصل بعده عز الدين بن المقدم في سابع عشر جمادى
الاول بعسكر حسن واطلاب جميلة ورحب به
السلطان رحمة الله عليه واحترمه

ذكر حركة العدو من الحسي

واما العدو فانه رحل من الحسي ونزل على مفرق
طرق منها طريق عسقلان وطريق الى بيت
جبريل والى غير ذلك من الحصون الاسلامية
ولما بلغ السلطان قدس الله روحه
ذلك امر العساكر ان سار بجملتها فخرج
ابو الهيجا وبدر الدين دلدرم وابن المقدم
وتتابعت العساكر وتخلف هو رحمه
الله عليه

العصر يوم الاثنين رابع عشر شعبان المذكور من السنة المذكورة

ذكر محاصرة برج الذبان

ولما كان الثاني والعشرون من شعبان سنة ست وثمانين وخمسمائة جهز
العدو لعنه الله بطسًا متعددة لمحاصرة برج الذبان وهو برج في
وسط البحر مبني على الصخر على باب مينا عكا تحرس به المينا ومن عبره
المراكب من مقابلة العدو فاراد العدو اخذه ليبقى المينا بحكمهم ويمنع
دخول شيء من البطس اليه فينقطع المدد عن البلد فجعلوا على صواري البطس
برجًا وملوه حطبًا ونفطًا على انهم يسيرون البطس فاذا قاربت برج الذبان
ولاصقته احرقوا البرج الذي على الصاري والصقوه ببرج الذبان ليلقوه على سطحه
ويقتل من عليه من المقاتلة ويأخذونه وجعلوا في البطسة وقودًا كثيرًا حتى
يلقى في البرج اذا اشتعلت النار فيه وعبوا بطسة ثانية وملوها حطبًا
ووقودًا على انهم يدفعونها الى ان تدخل بين البطس الاسلامية ثم يلهبونها
فتحرق البطس الاسلامية ويهلك ما فيها من الميرة وجعلوا في بطسة ثالثة
مقاتلة تحت قبو بحيث لا يصل اليهم نشاب ولا شيء من انواع السلاح
حتى اذا احرقوا ما ارادوا احراقه دخلوا ذلك القبو فامنوا فاحرقوا ما

ارادوا احراقه وقربوا البطسه نحو البرج المذكور وكان طمعهم يشتد
حيث كان الهوا مسعدًا لهم فلما قربوا البطسه التي ارادوا يحرقون
بها بطس المسلمين والبرج الذي ارادوا يحرقونه من على البرج
فاوقدوا النار وضربوا فيها النفط فانعكس الهوا عليهم باذن الله تعالى
وارادوا ان يشعلوا البطسه التي كان فيها باسرها واجتهدوا في اطفايها
فما قدروا وهلك من كان بها من المقاتله الا من شا الله تعالى ثم احترقت البطسه
التي كانت معدة لاحراق بطسنا ووثب اصحابنا عليها فاخذوها اليهم
ولما البطسه التي فيها الفو [?] فانهم انزعجوا وخافوا وهموا بالرجوع
واختلفوا واضطربوا اضطرابًا عظيمًا فانقلبت وهلك جميع من
كان فيها لانهم كانوا في جوفها لم يستطيعوا الخروج منها وكان ذلك
من اعظم ايات الله تعالى واندر العجايب في نصره دين الله والله
الحمد وكان يومًا مشهودًا

ذكر وصول الالماني الى عسكرهم المخذول

عزا الى عرش ملك الالمان وذلك انه اقام بطرابلس حتى استجم عسكره
وارسل الى النازلين على عكا حرصهم [?] بقدومه اليهم دفعه [?] وحوام [?] ذلك

من المركبين صاحب صور هونفري [?] شنورته [?] وصاحب دولية [?] وكان
الملك جفري وهو ملك الساحل بالمغرب وهو الذي يرجع اليه في الامور
علم ان رجع قدوم الالماني لا يبقى له حكم ولما كان العشر الاخير من
شعبان سنه ست وثمانين وخمسمايه ازمع رايه على السير في البحر
لعلمه انه ان لم يركب البحر نكب واخذت عليه مضايق الطرق
فاعدوا المراكب وانفذت اليه من كل جانب ونزل فيها وهو وعسكره
وخيلهم وعدتهم وساروا يريدون العسكر فلم يمض الا ساعه من نهاري
قامت عليهم ريح عاصف وثار عليهم الموج من كل مكان واشرفوا
على الهلاك وهلك منهم ثلثه مراكب بما حملته وعاد الباقون يرصدون هوا
طيبا فاقاموا الى ان طابت لهم الريح وساروا ولحق ابو صور لعنه
الله فيمن اقام المركبين والالماني بها وانفذوا البقيه العساكر الى [illegible]
النازله على عكا واقاما بصور الى الثالث من رمضان من السنه
المذكوره وسار الالماني وحده في البحر حتى وصل معسكرهم غروب
الشمس من ذلك اليوم في نفر يسير هالا [?] الخر [?] الحواشي والمستاملون
عليهم وكان لقدومه وقع عظيم عند الطايفتين فاقام اياما واراد ان

يطهر لله ومنه المجنيق ترقو في القوم على طول مقامهم وحسن في رايه
ان يضرب مصافا مع المسلمين تخوفهم من الاقدام على هذا الامر وعاقبته
فقال لا بد من الخروج على اليزك لعود قتال القوم ونعرف مراسهم
ونتبصر بامرهم فليس الخبر كالعيان فخرج على اليزك الاسلامي واتبعه معظم
الفرنج راجلهم وفارسهم وخرجوا حتى قطعوا الوطاه التي بين تلهم وتل
العياضيه وعلى تل العياضيه خيام اليزك وهي نوبة الحلقة السلطانية
المنصوره في ذلك اليوم فوقفوا في وجوههم وقاتلوهم واذاقوهم طعم
الموت وعرف السلطان رحمه الله علم ذلك فركب من خيمته بجحفله وسار حتى
اتى الكتيبان فلما راى العدو العساكر الاسلامية قد صوبت نحوه سهام
قصدها وانه من جانب قطع الليل المظلم عاد ناكصا على عقبه وقد قتل
منهم وجرح خلق عظيم والسيف حاكم في قفيهم وهم هاربون حتى وصل
المخيم غروب الشمس من ذلك اليوم وهو لا يصدق بسلامته لشده من شدة
خوفه وفصل الليل بين الطائفتين وقد قتل وجرح من احدهم خلق عظيم
وقتل من المسلمين في ذلك اليوم اثنان وجرح جماعة يسيره وكانت الكرة
على اعدا الله ولله الحمد فلما عرف ملك الالمان لعنه الله ما جرى عليه وعلى

اصحابه من اليزك الذي هو شرذمه من الحلقة وهم جزء من كل راى ان
يرجع الى قتال البلد ويشتغل بمضايقته فاصطنع من الالات العجيبة والصنائع
الغريبه ما هال الناظر اليه من شدة الخوف على البلد واستشعر
اخذ البلد من تلك الالات وخيف منها عليه فمما احدثوه آلة عظيمة
تسمى دبابه يدخل تحتها من المقاتلة خلق عظيم ملبسة بصفائح الحديد
ولها من تحتها عجل تحرك به من داخل وفيها المقاتلة حتى ينطح بها
السور وله راس عظيم برقبة شديدة من حديد وهي تسمى كبشا ينطح بها
السور بشدة عظيمة لانه يجرها خلق عظيم فيهدمه بتكرار نطحها
وآلة اخرى وهي قبو فيه رجال يسحب الى الات الا انها محدد كل
شكل السكه التي يحرث بها وراس البرج مدور وهذا يهدم بثقله
وتلك تهدم بحدتها وثقلها وهي تسمى سنورا ومن الستائر والسلالم
الكبار الهائلة واعدوا في البحر بطسة هائلة وصنعوا فيها برجا بخرطوم
اذا ارادوا قلبه على السور انقلب بالحركات ويصير طريقا الى المكان
الذي ينقلب عليه يمشي عليه المقاتلة وعزموا على تقريبه الى برج
الذبان ليأخذوه به ن

ذكر حريق الكبش وغيره من الالات

وذلك ان العدو لما راى ان الالات قد تمت واستحكمت شرع في الزحف على
البلد وضايقه من كل جانب واهل البلد وفقهم الله قد اوذاك
اشتدت عزائمهم في نصرة دين الله تعالى وقويت قلوبهم على الصابرة
ولما كان يوم الاثنين ثالث شهر رمضان من السنة المذكورة وهو الذي قد
شعار ان الكبش من

ذكر قدوم الملك الظاهر رحمه الله

فقدم الملك الظاهر ولد صاحب حلب المحروسة بجحفله وعسكره وهو من
كبار اولاده ومقدميهم ومهذبهم وهو يحنو عليه في كثير من امور
قدم في عشية ذلك اليوم وحلّه مشابه على خدمه والده ومعاجلة في
يومه ثم بكر وعاد حتى التقى عسكره وقدم معظم بدره الثلثا قريب
اطلابه وبهذبها ففرح والده بقدومه وسر به سرورا عظيما ورتبا
عمه بارتب وجمع من العساكر والجحافل وقدم ذلك اليوم سابق الدين صاحب
شيزر وعز الدين بن المقدم ومجد الدين صاحب بعلبك وخلق عظيم
من عساكر المسلمين وعدوا في تخت ريش واجل ترتيب واحمل عدة في ذلك
اليوم وكان السلطان رحمه الله عليه في الثالث من راجعه الكريم يحمي صغرا ويوم

بسوم من ركب في ذلك اليوم وكان عيد ابن وحي بعد ده وفي
ذلك اليوم زحف العدو على البلد وخلق لا يحصى عددهم الا الله
تعالى فاحملوهم اهل البلد وسبحان الله الذي منه وذروا الارا
النفط من مقدمي المسلمين حتى تشبث بمخاليب اطماعهم في البلد
وسعوا الالات المذكوره حتى قاربوا ان يلصقوها بالسور وحصل
منهم في الخندق جماعة عظيمة واطلقوا عليهم سهام الجروخ واحجار
المناجيق واقواس الرمي والنيران وصاحوا عليهم صيحة الرجل الواحد
وفتحوا الابواب وباعوا انفسهم لخالقها وباريها ورضوا بالصفقة
الموعود بها وهجموا على العدو من كل جانب وكبسوهم في الخنادق
والقى الله الرعب في قلب العدو واعطى ظهره للهزيمة واخذوا
مشتدين هاربين على اعقابهم ناكصين يطلبون خيامهم والاحتما باسوارهم
لحرز ما شاهدوا وداخوا من الجرح والقتل وبقي في الخندق خلق عظيم
فوقع فيهم السيف وعجل الله بارواحهم الى النار ولما راى المسلمون ما
نزل بالعدو من الخذلان والهزيمة هجموا على كبشهم فالقوا فيه النار والنفط
وتلاحق حريقه فهرب المقاتلة عنه ولحق حريقا شنيعا وظهرت له

لمسمعه نحو الشام وارتفعت الاصوات بالتكبير والتهليل والسلام للملك
الجليل وسرت بالاخبار الحسن بقومنا الى السور فاجتمع وعلق الملوك
في العين الطالب بالحديد المصنوع في السلاسل محبوس وهو مشتعل
حتى حصلوا عندهم في البلد وكان مرقبا من الان بما بله عظيم والملقى
الما عليه حتى ليرد جديد بعد ايام وبلغنا من البلد انه وزن ما كان
عليه من الحديد فكان مايه قنطار بالشامي والقنطار مايه رطل
والرطل اربع ماية بالعراقي اربعة ارطال وربع رطل ولقد انفذه الى
السلطان رحمه الله عليه وشل بين يديه وشاهده وذلك به ونتحله
على مثال السعود الذي يكون يحمل للدار قبل ان يطرحه فيهدم ما يلاقيه
وكان ذلك من احسن ايام الاسلام وما استند اليه على سعادة ولد الملك
الظاهر حيث انزل بحبشة مرة اخرى في حريق الابراج وقد سبق
شرحها فالله تعالى يسعد دولة الاسلام ويجري نصره بايامه على احسن
نظام ووقع على العدو خذلان عظيم ورفعوا ما سلم من الاتهم
وسكنت حركاتهم التي ضيعوا فيها نفقاتهم وتحيرت ابصارهم حيلهم
واستبشر السلطان رحمه الله عليه بعزم ولده واستبرك بالحجة وجد

العدو بعد موتانا بالعدو ومن مرة اخرى وما تم بعد ذلك وان

ذكر حريق البطسة المعدة لاخذ برج الذبان

ولما كان يوم الاربعا خامس عشر رمضان المذكور خرج اصحابنا من
الثغر المحروس في شوال على بطسة من العدو المخذول وضربوها بقوارير
النفط فاحترقت وارتفع لهيبها في البحر ارتفاعا عظيما وانشكت الاصوات
بالتهليل والتكبير وكفى الله شرها ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم
ينالوا خيرا وحزن الكفار لذلك حزنا عظيما وعشيهم كابة شديدة
ووقع عليهم خذلان عظيم

ذكر خروج البرنس الى الغارة على البلاد الشامية التي ...

ولما كان يوم الخميس سادس عشر رمضان المذكور من السنة المذكورة
سنة ست وثمانين وخمسمائة وصل من طرابلس ودابق وصل من
جزيرة ... من طرابلس الطاير من جهة ... بان البرنس صاحب
انطاكية خرج بجيشه نحو القرايا الاسلامية ليشن الغارة عليها فخرج
بعد الغارة نواب الملك الظاهر ولد السلطان من جهة حماة وخرجوا عليه
فلم يشعروا بهم الا والسيف قد وقع فيهم فقتل من عسكرهم خمسة وسبعون

واسر منهم خلق عظيم واستعصم بقيتهم في موضع يسمى ... حتى
... وساروا الى ... فيها ...

ذكر اخذ البطستين من العدو

وفي اثنا العشر الاوسط القت الريح بطستين وفيهما رجال ونسا
وميرة عظيمة وغنم ... فاصبحتا على العدو فغنمها المسلمون وكان العدو
قد ... بحيث ... رجال اراد الدخول الى البلد فاخذوه فوقع الظفر
بها اعني البطستين ... الزاد ... ولم تزل الاخبار بعد ذلك تتواصل
على السنة الجواسيس والمستامنين ان العدو المخذول قد عزم على الخروج الى
العسكر الاسلامي ... خروج ... ومنافسه والثاني من رجب السلطان فلما
... صفر ... فاقتضى الحال تاخر العسكر الى الجبل ... بشفرعم

ذكر انتقال العسكر الى شفرعم

ولما عزم السلطان رحمه الله على التاخر بسبب ذلك ... الاثقال وكان
انتقاله عشية الاثنين تاسع عشر رمضان من شهور سنة ست وثمانين
... على ... ونزل الناس على رؤوس التلال لا الاستعداد ...
... من الرحل ... الدين يوسف ... الدين ...

اربل مرضا شديدا بحيث ... الاسباب واستاذن في الرواح ...
له فاستاذن في الانتقال الى الناصرة فاذن له في ذلك

ذكر وفاته رحمه الله

واقام بالناصرة اياما عدة بمرض ... فاشتد به الامر الى ليلة الثلاثاء
عشر رمضان من سنة ست وثمانين وخمسماية ثم توفي رحمه الله وعزى
اخوه مظفر الدين ... وحزن الناس عليه لحال شبابه وغربته ...
السلطان على اخيه مظفر الدين ... اربل واستنزله عن البلاد التي كانت
في يده وهي حران والرها وما يتبعهما من البلاد والاعمال وضم اليه ...
ايضا وحلف السلطان رحمه الله ... انه اذا سلم المواضع
سلم ما كان معه من البلاد وهي الرها وحران وسميساط ... والجزيرة ...
ذلك ... اللطيف ... شاهنشاه ... جابرا
لحال ... مظفر الدين ... مظفر الدين ... رحمه الله
بالعسكر المنصور ... قدوم تقي الدين ... ثالث شوال
قدم وقد عاد ... معز الدين سنجرشاه صاحب الجزيرة ...

ذكر قصة معز الدين

قد

بدر زاده الدين هو سنجر شاه بن سيف الدين غازي بن مودود بن زنكي
وهو صاحب الجزيرة اذ ذاك وكان من قصته انه حضر الجهاد وقد ذكرت
تاريخ وصوله وانه اخذ منه الضجر والسآمة والقلق بحيث تردد رسله
ورقاعه الى السلطان رحمة الله عليه في طلب الدستور والسلطان يعتذر
اليه بان رسل العدو مترددة في معنى الصلح فلا يجوز ان ينفض العساكر حتى
ننظر على ماذا ينفصل الحال من سلم او حرب وهو لا يا [illegible]
[illegible] الى ان كان يوم عيد الفطر من سنة ست وثمانين وخمسمائة
حضر بحمى ذلك اليوم الى خيمة السلطان فاستاذن في الدخول فاعتذر
اليه انه كان قد عرض [illegible] للسلطان رحمة الله عليه فلم يقبل العذر
ولم يزل [illegible] في الدخول [illegible] بالخدمة استاذن في الرواح
[illegible] فذكر له السلطان العذر [illegible] فقال هذا وقت تقدم فيه العساكر
وتجتمع لا وقت تفرقها فانكب على يده وقبلها كالمودع له ونهض من ساعته وسار
[illegible] وقلعوا الخيم وتبع [illegible]
السلطان رحمة الله عليه صبيحة [illegible] البه يقول فيها انك قد قصدت
[illegible] الى ابتدا [illegible] في ذلك مرارا واظهرت [illegible] على نفسك [illegible]

من اهالك فقبلناك وانلناك واصطنعناك فبسطت يدك في اموال الناس ودمائهم
واعراضهم فتقدمت الينا [illegible] عنك في الدهر اذ لم تنته فاتفق وقوع هذه الواقعة
للاسلام فدعوناك فاتيت بعسكر من عرفته وعرفه الناس واقمت هذه المدة
وقلقت هذا القلق وتحركت بهذه الحركة وانصرفت عن غير طيب نفس وغير
[illegible] من العدو فانظر لنفسك وانصر من ينحى اليه غيري واحفظ
نفسك ممن يقصدك فاني ما بقيت التفت اليك وسلم الكتاب الى النجاب فلحقه
قريب طبرية فقرأ الكتاب ولم يلتفت وسار على وجهه وكان للملك المظفر
تقي الدين لما استدعي الى الغزاة بسبب حركة مظفر الدين على الشرق
[illegible] في الطريق في موضع [illegible] فراه [illegible] وظهر عليه اثار
[illegible] عن حاله فاخبره باقيه وتغضب على السلطان وانه لم يخلع عليه
ولم يأذن له في الرواح ففهم الملك المظفر انه [illegible] من غير [illegible] السلطان
وانه على خلاف اختياره فقال له المصلحة لك ان ترجع الى الخدمة وتلازم الى
ان يأذن لك فانك صبي ولا تعلم غائلة هذا الامر فقال لا حتى الرجوع فقال
ترجع من غير بد فليس في الرواح على هذا الوجه الا [illegible] فاصر على الرواح
فخشن عليه وقال ترجع من غير اختيارك وكان تقي الدين رحمة الله عليه [illegible]

الناس متعاكنا الى الامور التي في عقيبه من احد في فلما علم انه فاتضوان
لم يرجع بالخيبان فرح معه حتى الى الصد وخرج الملك العادل وتحن
في خدمته الى لقا الملك الظفر فوجدناه معه فدخلا به على السلطان وسلاه
الصفح عنه فعفا عنه وطلب ان يقيم في جوار تقي الدين خشية على نفسه
فاذن له في ذلك فاقام في جواره الى حين ذهابه

ذكر طلب عماد الدين الدستور

وذلك ان عماد الدين تقدم المذكور لح في طلب الدستور وشكا هجوم
الشتا عليه مع عدم الاستقرار لديه السلطان رحمه الله عليه بعث اليه
بان الرسل متواترة بيننا وبين العدو في الصلح وربما انتظم فينبغي ان يكون
انتظامه بحضوركم فالراي مشترك وانه اذن يبقى ان يحل الى ان يهجم الشتا
فلم ينفعل وان عاد اليه نفصلهم ينفعل وتكررت الرسل منه الى السلطان رحمه
الله عليه في المعنى والسلطان يذكر الاعتذار والقاصد منهم في شي من
ذلك وصار عند عماد الدين من العزم على الرواح ما تجاوز كل وصف وعند
السلطان رحمه الله عليه من مسكه الى ان يفصل امر ما بين العدو ملا
تجدد وآل الامر الى ان كتب عماد الدين خطه رقعه يطلب فيها الاذن في الرواح

وبان فيها وهن فاخذها السلطان رحمه الله عليه وكتب في ظهرها بين الكريم
من ضاع مثلي من يديه فليت شعري ما استفادا
فوقف عماد الدين عليها وانقطعت مراجعته بالكلية وتواصلت الاخبار
بضعف العدو المخذول ووقوع الغلا في بلادهم وعسكرهم حتى ان الغرارة
من القمح بلغت في طرابلس دنانير نحسبها اصوريه ومع ذلك يزيدهم ذلك
الا صبرًا واصرارًا وعنادًا

ذكر خروجهم الى راس الما

ولما ضاق بهم الامر وعظم عليهم الخطب وخرج منهم خلق عظيم مستامنين
من شدة الجوع عزموا على الخروج الينا وكان طمعهم بسبب مرض عرض
السلطان قدس الله روحه فظنوا انه لا يستطيع النهوض وكان خروجهم
يوم الاثنين حادي عشر شوال سنة ست وثمانين وخمسماية واخذوا معهم
مقلبين ازوادًا وخيامًا وكان خروجهم الى الابار التي استخدمها السلطان
تحت تل العجل لما كان نازلًا عليه واخذوا معهم علوفة اربعة ايام على ما قيل واخبر
رحمه الله عليه بخروجهم على هذا الوجه فامر اليزك ان يتلقى من بين ايديهم الى
تل كيسان وكان اليزك على تل العياضية وكان نزول العدو على الابار بعد صلوة

العصر من اليوم المذكور وباتوا بمكان اللبان والترك تحوطهم جميع الليل فلما
طلع الصبح جاء من اليزك من اخبره رحمة الله عليه بانهم قد تحركوا للركوب وكان
رحمه الله قد امر الثقل في اول الليل ان يسير الى الناصرة والقيمون فرحل الثقل
وبقي الناس في نفر خفيف وهو رحمه الله في خدمته وامر العسكر ان يركب جميعه
فقلنا نجنبه القتال وركب رحمه الله عليه وصاح الجاووش بالناس فركبوا
وساروا حتى وقف على تل من جبال الخروبة وسار العدو حتى نزل
الى النهر وقريب البحر فكان في الميمنة ولده الملك الافضل صاحب دمشق
وولده الملك الظاهر صاحب حلب وولده الملك الظافر صاحب بصرى وعلم
الدين صاحب الموصل علاء الدين خرم شاه ثم الملك العادل اخوه وفي طرفها
ولده قريب منه حسام الدين لاجين والطواشي قايماز النجمي وعز الدين جرديك
النوري وحسام الدين بشارة صاحب بانياس وبدر الدين دلدرم صاحب
تل باشر الياروقي وجمع كثير من الامرا وكان في الميسرة عماد الدين زنكي
صاحب سنجار وابن اخيه معز الدين صاحب الجزيرة وفي طرفها الملك المظفر
تقي الدين ابن اخيه وكان عماد الدين منذ غائبا بسبب ثقل لمرض كان
به وبقي عنده وكان في القلب سيف الدين علي المشطوب وجمع المهرانية

والهكارية وخشترين وغيرهم من امرا الاكراد وفي القلب الحلقة السلطانية
وتقدم السلطان رحمه الله عليه الى ان يخرج من كل عسكر جمع من الجاليشية وان
يدوروا حول العدو والترك معهم واخفا بعض الاطلاب وراء التلال عساهم
يجدون غرة من العدو ولم يزل عدو الله يسير والناس يقاتلونهم من كل جانب
وهو سائر على شاطئ النهر من الجانب الشرقي حتى اتى راس العين وداروا حوله
حتى عبروه الى الجانب الغربي ونزلوا القتال يلتقف منهم الابطال وصرع
منهم الرجال وكان نزولهم على تل هناك وضربوا خيامهم ممتده منه الى النهر
وجرح منهم في ذلك اليوم خلق عظيم وقتل ايضا منهم جماعة وكانوا اذا جرح
منهم واحد حملوه واذا قتل واحد منهم دفنوه وهم سائرون حتى لا يبين قتيل
ولا جريح وكان نزولهم يوم الثلثا المذكور بعد الظهر وتراجعت العساكر
عنهم الى مواطن المصابرة ومواقف الحراسة وتقدم السلطان رحمه الله
عليه الى الثقل ان يتقدم بهم حتى يقع نحوها على النهر والبعض تستدير
بالنهر من الجانب الشرقي والجاليشية تقاتلهم وبصرتهم بالنشاب حتى لا ينقطع
النشاب عنهم اصلا وبات الناس تلك الليلة على هذا التال وسار هو رحمه الله
عليه وبجي في خدمته الى راس جبل الخروبة الذي كان نازلا عليه في العام

الماضي فنزل في خيمة لطيفة والناس حوله في خيم لطاف بمرأى من العدو
ولخبار العدو تتواصل اليه ساعة فساعة الى الصبح ولما كان الصبح في
يوم الاربعا ثالث عشر شوال وصل من اخبر انهم نحو الدربوس عند
الصبح فركب رحمه الله عليه وذلك في صبيحة الاربعا ثالث عشر شوال
ورتب الاطلاب وسار حتى اتى الى جبال الخروبه اليهم بحيث يشاهد
جميع احوالهم وكان رحمه الله ملتاث المزاج ضعيف القوة قوي القلب
بعث الى العساكر واوعز اليها بالمقاتلة والمضايقة واحاطه عليهم من كل جانب وامر
الاطلاب ان تحيط بهم بحيث ان لا يجدون فرجة ولا يجد لهم ردا
للمقاتلة الى ان انتصف النهار وسار العدو على شاطي النهر من الجانب الغربي
يطلب جهة حيفا والقتال اشتد عليهم من كل جانب فاشتدوا في قتالهم من
كل جانب الامر جانب النهر والتحم القتال فصرع منهم خلق عظيم وهم يرفعون
قتلاهم ويحملون جرحاهم وقد جعلوا اخلهم سور الهم تضرب الناس بالزنبورك
والنشاب حتى لا ينزل احد يصل اليهم الا النشاب فانه كان يقطر عليهم كالجراد
وخيالتهم يسيرون في وسطهم بحيث لم يظهر احد منهم في ذلك اليوم اصلا
والكوسات تخفق والبوقات تنعر والاصوات بالتهليل والتكبير ترتفع

هذا والسلطان رحمه الله يمد الجاليش بالاطلاب والعساكر التي عنده
حتى لم يبق معه الا نفر يسير ونحن نشاهد الاحوال وعلم العدو منصوب
على عجلة هو مغروس فيها وهي تسحب بالبغال وهم يذبون عن العلم وهو عال
جدا كالمنارة وخرقته بياض ملمع بحمرة على شكل الصلبان ولم يزالوا سائرين
على هذا الوجه حتى وصلوا ادنت القصيرة الى قبالة جسر دعوق وقد
الجمهم العطش واخذ منهم التعب واثخنتهم الجراح واشتد بهم الامر والجمهم
العطش من شدة الحر وقاتل المسلمون في ذلك اليوم قتالا شديدا واعطوا
الجهاد حقه وهجموا عليهم هجوما عظيما واستداروا بهم كالحلقة وهم لا يبطلون
من حركاتهم ولا يعجلون وكان القتل معظمه للخيل في ذلك اليوم فانهم اذا راوهم
طعنهم للموت وجرح منهم في ذلك اليوم جماعة كاياز الطويل رحمه الله فانه قام
ذلك الحرب اعظم مقام يحكي عن الاوائل وجرح جراحات متعددة وهو
مستمر على القتال وجرح سيف الدين يازكوج جراحات متعددة وهو
من فرسان الاسلام وشجعانه وله مقامات متعددة وجرح خلق كثير
في ذلك اليوم ولم يزل الناس حولهم حتى نزلوا الظهر نهار ذلك اليوم عند
جسر دعوق وقطعوا الجسر والخربوه خوفا من عبور الناس اليهم ورجع

السلطان رحمه الله عليه الى تل الخروبة واقام عليهم يزكا يحرسهم
وبات واخبارهم تتواتر عليه حتى الصباح وعزم في اول الليلة على
كبس يغشيهم في الخيم وانفذ الى البلد يعرفهم ذلك حتى يخرجوا اليهم من ذلك
الجانب ونحن من هذا الجانب فلم يصل من اهل البلد جواب فرجع عن ذلك العزم
بسبب تاخر الجواب ولما كان صباح الخميس رابع عشر الشهر وصل من
اخبر ان العدو عازم على الرحيل فركب السلطان رحمه الله وطلب الاطلاب واوقف
الناس عن القتال خشية ان يعاجلوا العدو وكان قد قرب من خيمه واوقف
الاطلاب في الجانب الشرقي من النهر فسير قبالة العدو حتى وصل الى خيمه
وكان من خرج من خيمهم ومن الشريعة للاذهر في المراكب وخلف الى
ملك الالمان في خيمهم مع جمع كثير منهم ولما دخل العدو الى خيمه كان الحرب بها الطلاب
مستريحه فخرجت على اليزك الاسلامي وحملت عليه وانتشب القتال
بين اليزك وبينهم وجرى قتال عظيم قتل فيه من العدو وجرح خلق عظيم
وقتل من المسلمين بلال نفر وقتل من العدو شخص كبير فيهم مقدم عندهم وكان ع
حصان عظيم ملبس بالورد الى الحافر وكان عليه لبوس لم ير مثله وطلب
من السلطان رحمه الله عليه بعد انفصال الحرب فدفع اليهم جثته وطلب

راسه فلم يوجد وعاد السلطان الى مخيمه والعسكر الثقل الى مكانه
وعاد كل قوم الى منازلهم وكان قد عاد ادين وقد اقلعت حماه ونقي الباب
مزاج السلطان وهو كان سبب سلامة هذه الطائفة الخارجة كونه لا
يقدر يباشر الامر بنفسه ولقد رايته رحمه الله عليه وهو يبكي في حال
الحرب كونه لم يقدر على مخالطة القوم ورايته وهو يامر اولاده واحدا
بعد واحد بمباشرة الامر ومخالطة الحرب رحمه الله عليه ولقد سمعت
منه وقائل يقول له ان الوخم قد عظم في مرج عكا بحيث ان الموت قد كثر
في الطائفتين فانشد متمثلا اقتلاني ومالكا واقتلا مالكا معي
يريد بذلك انني قد رضيت بان اتلف انا اذا اتلف اعداء الله وحصل بذلك
نوع عظيم في نفوس العلماء الاسلامية ن

ذكر وقعة الكمين

ولما كان يوم الخميس الثاني والعشرون من شوال من شهور سنة ست وثمانين
وخمسمائة راى رحمه الله عليه ان يضع للعدو كمينا وقوى عزمه على ذلك
فاخرج جمعا من ذاة العسكر وشجعانه وابطاله وفرسانه وانتخبهم من
خلق كثير وامرهم ان يسيروا في الليل ويكمنوا في سفح تل هو شمالي عكا

بخبر ان عسكر العدو قد عبروا كانت منزلة الملك العادل حين دخلت
الوقعة المنسوبة اليه وان يلتقوا للعدو ومنهم نفر ثم يبروا ان يقصدوا
في خيمته ويحركون حتى اذا خرج انهزموا بين يديه نحو الكمين ففعلوا
ذلك وساروا حتى اتوا التل المذكور للاقامة للكمين ولما علا النهار السبت
الثالث والعشرين من شوال خرج منهم نفر فسيروا على جياد من الخيل وساروا
حتى اتوا مخيم العدو ورموهم بالنشاب وحولوا خيلهم بالضرب المتواتر
فانتخا لهم مقدار ماتي فارس وخرجوا [?]لابسين في السلاح على خيل جياد
بعدة تامة والخيل كاملة وقصدوهم ولبس معهم راجل واحد وداخلهم
الطمع فيهم لقلة عددهم فانهزموا بين ايديهم وهم يقاتلونهم ويتقلون
حتى اتوا الكمين فخرج عليهم رجاله وثارت عند وصولهم اليه ابطاله
وصاحوا فيهم صيحة الرجل الواحد وهجموا عليهم هجوم الاسد على
فريسته فثبتوا وصبروا وقاتلوا قتالا شديدا ثم ولوا منهزمين فمكن
الله منهم وقد تبعوا فيهم ضربا بالسيف حتى قتلوا منهم جمعا عظيما
واستسلم الباقون الاسر فاسروهم واخذوا خيلهم وعددهم وجا البشير
الى المعسكر الاسلامي فارتفعت الاصوات بالتهليل والتكبير وركب السلطان

وسر الله تعالى بلقى المجاهدين وسار وكنت في خدمته حتى اتى تل كيسان
فتلقاه اوايل القوم ووقف هناك يتلقا الطلايع من المجاهدين والناس
يتبركون بهم ويسلمون عليهم على احسن صنيعهم وهو رحمه الله يعلم
بحبس الاسارى ويتصفح احوالهم وكان ممن اسر في ذلك اليوم مقدم
عسكر الافرنسيس فانه كان من انفذ نجدة قبل وصوله واسر خازن
الملك ايضا وعاد السلطان رحمه الله بعد تكامل الجماعة الى مخيمه فرحا
مسرورا واحضر الاسرى عنده وامرنا فنادي الاكل من اسر اسيرا
فليحضره فاحضر الناس اسراهم وكنت حاضرا ذلك المجلس ولقد اكرم رحمه الله
عليه على المقدمين منهم وخلع على مقدم عسكر الافرنسيس فروة خاصا
وامر لكل واحد من الباقين بفروة خرجية فان البرد كان شديدا وقد
اخذ منهم واحضر لهم طعاما ما اكلوه وامر لهم بخيمة تضرب قريبا من خيمته
وكان يكارمهم في كل وقت ويحضر المقدم على الخوان في بعض الاوقات
وامر بتقييدهم وحملهم الى المحروسة دمشق فحملوهم اليها مكرمين واذن
لهم في ان يراسلوا اصحابهم وان يحضروا لهم من عسكرهم ما يحتاجون اليه
من الثياب وغيرها ففعلوا ذلك وساروا الى المحروسة دمشق

ذكر عود العساكر من الجهاد

ولما هجم الشتا وهاج البحر وأمن العدو أن يضرب مصافا فأوى بالجملة في
طلب البلد وحصاره من شدة الامطار وتواترها اذن السلطان قدس
الله روحه للعساكر الاسلامية في العود الى بلادهم لتأخذ نصيبا
من الراحة وتجم خيولها الى وقت العمل فكان اول من سار عماد الدين
صاحب سنجار لما كان عنده من القلق في طلب الدستور وكان مسيره
يوم الاثنين خامس عشر شوال سنة ست وثمانين وخمسمائة وسار عقيب
ذلك اليوم ابن اخيه سنجر شاه صاحب الجزيرة هو واخوان له بعد ان افيض عليهم
من التشريف والانعام والتحف ما لم ينعم به على غيرهم وسار علاء الدين
بن صاحب الموصل في منتصف ذي القعدة من السنة المذكورة مشرفا مكرما
معه التحف والطرائف وتأخر من العساكر الملك المظفر تقي الدين الى ان دخلت
سنة سبع وثمانين وتأخر ايضا ولد الملك الظاهر حتى دخلت السنة
المذكورة وسار ولد الملك الظاهر الى محروس حلب ضاحي نهار الاربعا
تاسع المحرم سنة سبع وثمانين وسار الملك المظفر في ثالث صفر منها ولم
يبق عند السلطان الا نفر يسير من الامرا وحلقته الخاص

ذكر وفود زلفندار عليه رحمة الله عليه

وكان قدومه عليه في اثنا شهر ذي القعدة سنة ست وثمانين فلقاه
بالاكرام مثواه وصنع له طعاما يوم قدومه وباسطه مباسطة عظيمة
وكانت حاجته ان يوقع له باعادة المال الذي كان في يده ثم انتزع منه من الاعمال
نصيبين والخابور فوقع باعادتها اليه واجرى الامر فيها بعد ذلك
على وفق الشريعة المطهرة وخلع عليه وشرفه وسار فرحا مسرورا شاكرا للايادي

ذكر اشتغال السلطان رحمه الله بادخال البدل الى البلد

ولما هاج البحر وامتنع غالبه من اتيان العدو ورفع ما كان له في البحر
من الشواني الى البر اشتغل السلطان رحمه الله عليه في ادخال البدل
الى عكا وحمل الميرة والذخائر والنفقات والعدد اليها واخراج من كان
بها من الامرا المقدم شكايتهم من طول المقام بها ومعاناة التعب والسهر
وملازمة القتال ليلا ونهارا وكان مقدم البدل الداخل من الامرا الامير
سيف الدين علي المشطوب دخل في يوم الاربعا سادس عشر المحرم من
شهور سنة سبع وستين وخمسمائة وفي ذلك اليوم خرج المقدم الذي كان
بها وهو الامير حسام الدين ابو الهيجا واصحابه ومن كان بها من الامرا

ودخل مع السلطان خلق من الامرا والاعيان من الخلق وتقدم الى ان دخل
الى يوم الاربعا سادس عشر المحرم من شهور سنة سبع وثمانين وخمسمايه
ان الصحب محرم من سنة كاملة واستقل الملك العادل بجند من اجنادها على
شاطي النهر وهو الموضع الذي تحمل منه للكلاب ولم يدخل الى البلد واذا خرجت
تخرج اليه فاقام ثم بحث الناس على الدخول بحرس للبر والترحاب ولا ارى
ينطرق اليها من العدو من تعرضها وكان ما دخل اليها سبع بطس مملوءة
ودخاير ونفقات كانت وصلت من جزيرة مصر محملة قد تقدم السلطان
بتعبيتها من مدة مديدة وكان دخولها يوم الاثنين ثاني ذي الحجة من السنة
الخالية فانحدر منها من بقي على الصخر الذي هو قريب للبنا فانقلب كل من
في البلد من المقاتلة الى جانب البحر لتلقي البطس والحذر منها ولما علم العدو
انقلاب المقاتلة الى جانب البحر اخذوا غرتهم واجتمعوا الى خلق عظيم قد حضر
على البلد من جانب البر زحفهم عليه وقاربوا الاسوار وصعدوا في سلم اطول
فاندق بهم السلم [illegible] الله تعالى [illegible] ادركهم اهل البلد وقتلوا منهم خلقا
عظيما وعادوا خايبين خاسرين واما البطس فان البحر هاج هيجا عظيما وضرب
بعضها ببعض على الصخر فهلكت وهلك جميع ما كان فيها وهلك فيها خلق عظيم

قيل كان عددهم ستين نفرا وكان فيها ميرة عظيمة لو سلمت لكفت البلد
سنة كاملة وذلك بتقدير العزيز العليم ودخل على المسلمين من ذلك وهن
عظيم وحرج السلطان بذلك حرجا شديدا واستخلف ذلك في سبيل الله
وما عند الله خير وابقى وكان ذلك اول علائم اخذ البلد والظفر به ان

ذكر وقوع قطعة من السور وهي العلامة الثانية

ولما كانت ليلة السبت سابع ذي الحجة من السنة الخالية قضى الله وقدر ان
وقع من السور قطعة عظيمة وقعت ثلمتها على الباشورة فهدمت منها ايضا قطعة
عظيمة فدخل العدو الطمع وهاج للزحف هيجا عظيما وجاوا الى البلد في
الليل المدلهم من كل جانب فتحايا الناس في البلد وثارت هممهم فقتلوا العدو
وحجزوا [illegible] وقاتلوهم قتالا شديدا حتى ضربوا الابواب [illegible] نالوا
خيرا [illegible] ووقفوا [illegible] موضع القطعة الواقعة وجمعوا جميع من في البلد من
البنايين والصناع وصنعوهم من اول الليل وحموهم بالنشاب والجروخ
والمنجنيق فما مرت الا ليال يسيرة حتى انتظمت وعادت وهي احسن
مما كانت واقوى وانفع و الحمد لله

ذكر الظفر بمراكب العدو

وكان قد ساس من الفرنج خلق عظيم لعرضهم الجوع الى البنا وقالوا للسلطان

بحر نخوض النحو في مراكب وتحسب من العدو ونحو بيننا وبين المسلمين فاذن
لهم في ذلك واتفقوا من كرشا وهو المراكب الصغير من اسطولنا وطردوا
مراكب الفرنج من العدو وهي قاصدة الى عسكرهم وظفروا بعدهم منها بخمسة
مضاعفة وغير مضاعفة فوقع عليها وقاتلوهم حتى اخذوهم واسبوهم مالا
عظيما واسروهم واحضروهم بين يدي السلطان رحمه الله عليه وذلك في ثالث
عشر ذي الحجة من السنة المذكورة وهي سنة ست وانفذ كندحاضر ذلك الحاضر
وكان من جملة ما احضروه مائدة فضة وعليها مكبة مخرمة من فضة فانعم
السلطان رحمه الله بالجميع ولم ياخذ منهم شيئا وفرح المسلمون بنصر الله عليهم بالتمام

ذكر موت ملك الالمان لعنه الله

وذلك ان العدو لما دخل الشتاء عليهم وتواترت الامطار واختلفت الاهوية
وخم المرج وخما عظيما ووقع فيهم بسبب ذلك موتان عظيم وانضم الى ذلك
الغلاء الشديد واشتد عليهم الحصار الذي كان يجيئهم من البحر من كل جانب
فكان الموت فيهم في كل يوم المائة والمائتان على ما قيل وقيل اكثر من ذلك ومرض
ملك الالمان مرضا عظيما وعرض له مرض الجوف فهلك به في ثاني عشر
ذي الحجة سنة ست وثمانين وخمسمائة وحزن الفرنج عليه حزنا عظيما واشتعل له

نيرانا هائلة بحيث لم يبق لهم خيمة الا واشعل منها نارا او الثلاثة بحيث
يبقى عسكرهم كله نارا انقد وفرح المسلمون بموته مثل ما حزن الكفار بفقده
وهلك منهم كبير يقال له الكند نيباط ومرض الكند هري واشفى على الهلاك
وفي الرابع والعشرين منه اخذ منهم بركوسان فيهما نيف وخمسون نفرا وفي ثاني
والعشرين منه اخذ منهم ايضا بركوس كبير واخرج للسلطان فيه وكان من
جملة ما كان فيه ملوطة مكللة باللولو من ملابس الملك وقيل انه في الرأس
من لحيته والحمد لله ايضا والله اعلم

ذكر غارة اسد الدين

وهذا اسد الدين هو شيركوه بن ناصر الدين محمد بن اسد الدين شيركوه الكبير
وهو صاحب حمص وكان من حديثه ان السلطان رحمه الله عليه كان قد رسم له
ان ياخذ حذره من الفرنج بطرابلس وياخذ نفسه بحراسة المسلمين والفلاحين
في تلك الناحية وانه قيل له ان اهل طرابلس قد اخرجوا دوابهم وخيلهم الى
مرج هناك وابقارهم ودوابهم وانه قريب عسكرهم فقصدهم فخرج على غرة
منهم وهجم على جشاريتهم فاخذ منهم اربعمائة راس من الخيل ومائة راس من البقر
وهلك من الخيل اربعون وسلم الباقي وعاد الى البلد ولم يفقد من اصحابه احدا
ولله الحمد ووصل الكتاب بذلك في رابع صفر سنة سبع وثمانين وخمسمائة وفي

وفي ليلة هذا اليوم ألقت الريح مركبا للعدو على الزيب فأسرناه وكان فيه
خلق عظيم منهم فبصر بهم أصحابنا فوثبوا عليهم وأخذوهم عن آخرهم والله
حضرت وقد عرض منهم على السلطان رحمة الله عليه خمسة عشر نفرا وفي ليلة
هلال ربيع الأول من هذه السنة خرج أصحابنا من البلد وهجموا على العدو
وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وأخذوا منهم من خيامهم جمعا عظيما منهم اثنا عشر
امرأة على ما قيل

ذكر وقائع عدة في سنة سبع

وفي ثالث ربيع كان اليزك الحلقة السلطانية وخرج من العدو إليهم خلق عظيم
وجرى بينهم وقعة شنيعة قتل فيها من العدو جماعة وقتل منهم رجل له نباهة على ما قيل
فلم يفقد من المسلمين إلا خادم كان للسلطان رحمة الله عليه يسمى قراقوش وكان
شجاعا عظيما له وقعات عظيمة كثيرة استشهد في ذلك اليوم رحمه الله ولما
كان يوم السبت تاسع ربيع الأول سنة سبع بلغ السلطان رحمه الله أن العدو
يخرج منه طائفة ويتفسحون لبعدنا عنهم فاقتضى رأيه رحمه الله أن ينفذ أخاه
الملك العادل وفي صحبته خلق عظيم من العساكر الإسلامية وأمره أن يكمن للعدو
وراء التل الذي كانت فيه الوقعة المعروفة به وسار هو وجميع من دار أهله وأصحابه
خاكمين ومن آل العباسية فكان ممن كان معه من دار أهله الملك المظفر تقي الدين وابنه

وابنه ناصر الدين محمد والملك الأفضل ولده ومعه من صغار أولاده الملك الأشرف
محمد والملك المعظم تورانشاه والملك الصالح إسماعيل وكان من العجمية القاضي
الفاضل والديوان وأنا في الصحبة في ذلك اليوم ومن أصحابه جماعة من الشجعان
على الخيول الجياد وناوشوا العدو وباسطوهم فلم يخرج في ذلك اليوم وكأنه
كان قد وشى إليهم بخبر الأمر إلا أن ذلك اليوم لم ينفك إلا بنوع نصر فإنه
وصل إليه في ذلك اليوم خمسة وأربعون نفسا من أسارى الفرنج كان قد أخذوا
من بيروت وسيروا إليه رحمه الله فوصلوا في ذلك اليوم إلى ذلك المكان ولقد
شاهدت منه رقة قلب ورحمة في ذلك اليوم لم ير أعظم منها رحمه الله
وذلك أنه كان فيهم شيخ كبير طاعن في السن لم يبق في فيه ضرس ولم يبق له
قوة إلا مقدارا يتحرك بها لا غير فقال للترجمان سله ما الذي حملك على المجيء
وأنت في هذا السن وكم من هاهنا إلى بلادك فقال أما بلادي فبيني وبينها مسيرة
عدة أشهر وأما مجيئي فإنما كان للحج إلى القمامة فرق له السلطان رحمه الله
ومن عليه وأطلقه وأعاده راكبا على فرس إلى عسكر العدو ولقد طلب أولاده
الصغار أن يأذن لهم في قتل أسير فلم يفعل فسألته رحمه الله عن سبب المنع
وكنت حاجبهم فيما طلبوه فقال لئلا يعتادوا من الصغر سفك الدماء ويهون

عليهم ذلك وهم ان البعض تفرق بين المسلم والكافر ومن العجب ما في طي ذلك من
الرافة والرحمة للمسلمين رأف الله به ورحمه وللمابس من جروح العدو
عاد الى المخيم في عشية ذلك اليوم وهو الاحد عاشر ربيع الاول سنة سبع وثمانين وخمسمائة

ذكر وصول العساكر الاسلامية وملك الافرنسيس

ومن ذلك الوقت انفتح البحر وطاب الزمان وحان اوان عود العساكر الى الجهاد
من الطائفتين وكان اول من قدم من عساكر المسلمين علم الدين سليمان بن جندر من
امرا الملك الظاهر وهو صاحب حلب وكان شيخا كبيرا مذكورا له وقائع ذو راي
حسن وخصه السلطان بجزيله وكرمه وله قديم صحبة ثم قدم بعده مجد الدين بن عز الدين
فرخشاه بن شاهنشاه وهو صاحب بعلبك قدما في ربيع الاول من شهور سنة
سبع وثمانين وخمسمائة وتتابعت بعد ذلك العساكر الاسلامية من كل
صوب ولما عسكر العدو المخذول فانهم كانوا يتواعدونا البرك ومن يغاديهم
من عساكر المسلمين بقدوم ملك الافرنسيس وكان عظيما عندهم مقدما محترما
من كبار ملوكهم ينقاد اليه الجيوش في العسكر باسرهم بحيث اذا حضر حكم
على الجميع ولم يزالوا يتواعدونا بقدومه حتى قدم لعنه الله في ست بطس تحمله
وتحمل ميرته وما يحتاج اليه من الخيل وخواص اصحابه وكان قدومه يوم السبت

ثالث عشر ربيع الاول من شهور سنة سبع وثمانين وخمسمائة

نادرة وبشارة كان قد صحبه باز عظيم عند هابل الخلق
ابيض اللون نادر الجنس وكان يحبه حبا عظيما فشذ البازي من يده وطار
وهو يستجيبه ولا يجيبه حتى سقط على سور عكا فاصطاده اصحابنا وانفذوه
الى السلطان رحمه الله وكان لقدومه روعة عظيمة واستبشار عظيم بالظفر
ولقد رايته وهو يضرب الى البياض مشرق اللون ما رايت بازا احسن منه
فتقال السلطان ذلك وبذل الفرنج فيه الف دينار فلم يجابوا وقدم بعد ذلك
كندفرند وكان مقدما عظيما عندهم مذكورا كان حاضر حماه وحارم في عام الرملة

واقعة نادرة وفي الثاني عشر من ربيع الاخر سنة سبع
وثمانين وخمسمائة وصل كتاب من اللاذقية يخبر فيه انه كان جماعة من
المستامنين قد اعطوا مراكب ليسافروا بها في البحر من العدو فاخذوها
ونزلوا في جزيرة قبرص في عيد لهم وقد اجتمع جمع كبير من اهل الجزيرة في
بيعة قريبة من البحر وانهم صلوا معهم صلاة العيد وانهم لما فرغوا من
الصلوة ضربوا على كل من كان في البيعة من الرجال والنسا واخذوهم في
لحرهم حتى النسا وجملوهم والقوهم في مراكبهم وساروا بهم حتى اتوا اللاذقية

وكان من جملة من كان سبعة وعشرون امراة واسر الاسطولية ايضا
وحصل الى كل واحد على ما قيل اربعة الف درهم من الفضة النقرة وتقدم بعد
ذلك بدر الدين شحنة دمشق في ثاني عشر ربيع الاخر وهجم اصحابنا على
غنم للعدو فاخذوها وكان عددها مائة وعشرين راسا وركب في طلبها
الفارس والراجل فلم يظفر وامنها بشيء ولله الحمد

ذكر خبر ملك الانكتار لعنه الله

وهذا الملك الانكتار شديد الباس بينهم عظيم الشجاعة قوي الهمة له وقعات
عظيمة وله جسارة على الحرب وهو دون الافرنسيس عندهم في الملك والرتبة
لكنه اكثر مالا منه واشهر في الحرب والشجاعة وكان من خبره انه لما وصل
الى جزيرة قبرص لم ير ان يتجاوزها الا وان يكون له وفي حكمه فنازلها وقاتلها
فخرج اليه صاحبها وجمع له خلقا عظيما وقاتله قتالا شديدا فانفذ الانكتار
الى عسكره بعكا يستنجد منهم جماعة ليجيبوه على مقصوده فانفذ اليه الملك جفري
اخاه ومعه مائة وستون فارسا وبقي الفرنج على عكا منتظرين ما يكون
بين الطائفتين منهم ولما كان يوم الاحد ثالث عشر ربيع الاخر من سنة سبع وصلت
الشواني يخبرون بخبر انه قد اخذ من مراكب الانكتار القاصد نحو عكا

العدو خمس مراكب وطراده فيها خلق عظيم رجال ونسا وميرة واخشاب
والات وغير ذلك وفيها اربعون فرسا وكان ذلك فتحا عظيما استبشر به
المسلمون ولما كان يوم الخميس رابع جمادي الاول سنة سبع زحف العدو
الى البلد ونصبوا عليه مناجنيق سبعة ووصلت الى عكا ما لا استعداد
العظيم والناس بتخل العدو عنهم فاعلم السلطان رحمه الله العساكر بالعزم
على الرحيل الى مضايقة العدو ومقاربته واصبح على المسير الى جهة العدو
فسار حتى وقف على الخروبة ورتب العساكر ميمنة وميسرة وقلبا ثم
انفذ من يكشف حال العدو ورجال الخنادق هل فيها حين للعدو ام لا فعادوا
واخبروا بخلوها عن الكمين فسار بنفسه ومعه نفر يسير من مماليكه حتى
اتى خنادقهم وصعد تلا كان يعرف بتل الفضول هو قريب العدو مشرف على
خيمهم وشاهد المنجنيقات وما يحمل منها وما هو بطال ثم عاد وسايروا الى
مخيمه وانا في خدمته رحمه الله وفي صبيحة تلك الليلة اتاه اللصوص برضيع
له ثلاثة اشهر قد اخذوه من امه وسرقوه

ذكر قصة الرضيع

وذلك انه كان للمسلمين لصوص يدخلون الى خيام العدو فيسرقون منهم حتى
الرجال ويخرجون وكان من قضيتهم انهم اخذوا ذات ليلة طفلا رضيعا له

عليه الشهر وسار وابه حتى اتو ابو الهيجا السلطان رحمه الله وعرضوا
عليه وكان لها باخذونه بعرضونه عليه فيخلع عليهم ويعطيهم ما اخذوه
ولما فقدته امه باتت مستغيثة بالويل والثبور في طول تلك الليلة حتى وصل
خبرها الى ملوكهم فقالوا لها انه رحيم القلب وقد اذنا لك في الخروج اليه
فاخرجي واطلبيه منه فانه يرده عليك فخرجت تستغيث الى اليزك
الاسلامي فاخبرتهم بواقعتها بترجمان كان يترجم عنها فاطلقوها
وانفذوها الى السلطان فاتته وهو راكب على تل الخروبة وانا في
خدمته وفي خدمته خلق عظيم فبكت بكاء شديدا ومرغت وجهها في التراب
فسأل عن قصتها فاخبروه فرق لها ودمعت عينه وامر باحضار الرضيع
فمضوا فوجدوه قد بيع في السوق فامر بدفع ثمنه الى المشتري واخذه منه
ولم يزل واقفا رحمه الله عليه حتى احضر الطفل وسلم اليها فاخذته وبكت
بكاء شديدا والناس ينظرون اليها ويبكون وانا واقف في جملتهم فارضعته
ساعة ثم امر بها فحملت على فرس والحقت بعسكرهم مع طفلها فانظر الى
هذه الرحمة الشاملة لجنس البشر اللهم انك خلقته رحيما فارحمه رحمة واسعة
من عندك يا ذا الجلال والاكرام فانظر الى شهادة الاعدا له بالرقة والكرم

والراية والرحمن ومليحه شملت لحاضرانها والحسن ابن جفون بالاد
وفي ذلك اليوم وصل ظهير الدين بن البلنكري وكان مقدما عظيما من امرا
الموصل وصل مغاضبا لصاحبه طالبا خدمة السلطان رحمه الله عليه وللمعتاد
السلطان الى المخيم لم يمكث الا ساعة حتى وصلوا الزحف على عكا فعاد
من بعد ساعة وسار نحو البلد وقد انفصل الحرب بدخول الليل

ذكر انتقال السلطان رحمه الله الى تل العياضية

ولما كان صبيحة الثلثا ثامن جمادى الاولى بلغ السلطان رحمه الله علم الفرنج
قد ضايقوا البلد وركبوا عليه المناجيق فامر الجاويش ان صاح بالناس وركب
وركب لركوبه العسكر باجمعهم وقاد بهم وسار حتى اتى الخروبة وقوى
اليزك بنسبه جماعة من العسكر المنصور اليه فلم يخرج العدو واشتد زحفهم
على البلد وضايقهم رحمه الله مضايقة عظيمة حتى قاتلهم قتالا شديدا وهجم
وغنا ودفنهم ولم يزل كذلك حتى عاد عن الزحف ظهيرة نهار الثلثا الاخر
وعاد العدو الى خيمه ليأسه من امر البلد وعاد السلطان رحمه الله عليه الى
خيمه لطيفة ضربت له هناك ليستظل بها من الشمس فنزل لصلاة الظهر
واستراح ساعة وقوى اليزك وامر الناس بالعود الى المخيم لاخذ حروش

الراحه ولقد كنت في خدمته رحمه الله فبينا هو كذلك اذ وصل من اليزك
من اخبر ان القوم قد عادوا الى الزحف لما احسوا بانصرافه عنهم
اشد مما كانوا اولا فامر من نبه الناس وامرهم بالعود فركبت العساكر
الى جهة العدو والعدو لا يزال اطلابا اطلابا وامرهم بالمبيت على اخذ اهبة الحرب
ونام هو هنالك على عزم المبيت وفارقت خدمته اخر نهار الثلثا وعدت
الى الخيمه وبات هو رحمه الله وجميع العسكر على تعبية القتال طول الليل وامر
طايفه منهم بمضايقة العدو ثم سار العسكر اول اخر ليلة الاربعا عاشر جمادى
الاول من سنه سبع وثمانين وخمسمايه الى التل الخاصه فقابل العدو وضرب
له عليه خيمه لطيفه وامر الناس ان ينزلوا على التل حوله على الحال في منازلهم العام
الماضي لكن جرايد مع تجنب الثقل على الخروبه ونازل العدو في ذلك اليوم جمع
بالقتال الشديد والضرب المبرح المتواتر الذي لا يفتر شغلا لهم عن الزحف
على البلد من جميع جوانبهم وهو بنفسه رحمه الله يدور من الاطلاب ويحثهم
على الجهاد ويرغبهم فيه حتى ذلك يشغل العدو عن مضايقة البلد ولما راى
العدو تلك المنازله العظيمه والملازمه الهايله خاف من الهجوم على خيمهم
فتراجعوا عن الزحف واشتغلوا بحفظ الخنادق وحراسة الخيم ولما

[illegible]

راى فتورهم عن الزحف عاد الى خيمته في العافية وترتب على خنادقهم من يحرسهم
على اصرارهم على مضايقة البلد والزحف عليه

ذكر الشروع في مضايقة البلد

ولقد بلغ من مضايقتهم البلد انه بالغنهم
في طم خندقه انهم كانوا يلقون فيه موتى دوابهم باسرها وآخر الامر حتى كانوا
يلقون فيه موتاهم وقالوا الان اذا جرح منهم واحد جراحة موئسة منحته
القوم فيه بهذا حيث تواصلت كتب اصحابنا من البلد واما اهل البلد
فانهم انقسموا اقساما فقسم ينزلون الى الخندق ويقطعون الموتى والدواب
التي يلقونها فيه قطعا ليسهل نقلها وقسم ينقلون ما يقطعه ذلك القسم
ويلقونه في البحر وقسم يذبون عنهم ويدفعون حتى يتمكنوا من ذلك وقسم
في المنجنيقات وحراسة الاسوار واخذ منهم التعب والنصب وتواترت
شكايتهم من ذلك وهذا ابتلا لم يبتل بمثله احد ولا يصبر عليه جلد وكانوا
يصبرون ان الله مع الصابرين هذا والسلطان رحمه الله عمله لا ينقطع الزحف
عنهم والمضايقة على خنادقهم بنفسه وخواصه واولاده ليلا ونهارا
حتى يشغلهم عن البلاد وضربوا منجنيقاتهم الى برج عين البقر وتواترت
عليه احجار المنجنيقات ليلا ونهارا حتى اثرت فيه الاثر البين ولما

ازداد دوامًا في قتال الليل ازداد السلطان في قتالهم والبشر جاء دفعهم
والهجوم عليهم حتى خرج منهم شخص وطلب من يتحدث معه فلما اخبر السلطان
بذلك قال ان كان لكم حاجة فليخرج منكم واحد يتحدث فاما نحن فليس
لنا اليكم شغل ودام ذلك متصلا الليل مع النهار حتى وصل الانكتار

ذكر وصول ملك الانكتار

ولما كان يوم السبت ثالث
عشر جمادى الاولى سنة سبع وثمانين وخمسمائة قدم ملك الانكتار الملعون بعد
مصالحة لصاحب جزيرة قبرص والاستيلاء عليها وكان لعنه الله [illegible] عظيمه
وصل في خمسة وعشرين شانيا مملوءة بالرجال والسلاح والعدد واظهر الفرنج سرورا
عظيما بقدومه وفرحا شديدا حتى انهم اوقدوا تلك الليلة نيرانا عظيمة
في خيامهم فرحا به ولقد كانت تلك النيران مهولة عظيمة تدل على عدد عظيم
كثير وكان ملوكهم يتوعدونا به وكان المستأمنون منهم يخبرون عنهم انهم
متوقفون عما يريدون فعله من مضايقة البلد الى حين قدومه فانه ذو
راي في الحرب مجرب واثر قدومه في قلوب المسلمين خشية ورهبة هذا
والسلطان رحمه الله عليه يتلقى ذلك كله بالصبر والاحتساب والتوكل على
الله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه

ذكر غرق البطسة الاسلامية

وهي العلامة الثالثة على اخذ البلد ولما كان السادس عشر من جمادى الاولى
من شهور سنة سبع وثمانين وخمسمائة وصلت بطسة من بيروت عظيمة هائلة
مشحونة بالالات والاسلحة والميرة والرجال الابطال المقاتلة وكان السلطان
رحمه الله قد امر بتعبيتها في بيروت وتسييرها ووضع فيها من المقاتلة خلقا
عظيما حتى تدخل الى البلد مراغمة للعدو وكان عدة رجالها المقاتلة ستمائة
وخمسين رجلا فاعترضها الانكتار الملعون في عدة شواني قيل كان في اربعين قطعا
فاحاطوا بها من جميع جوانبها واشتدوا في قتالها وجرى القضاء بان وقف
الهوا فقاتلوها قتالا عظيما وقتل من العدو عليها خلق عظيم واحرقوا على
العدو شانيا كبيرا فيه خلق عظيم فهلكوا عن اخرهم وتكاثروا على اهل البطسة
وكان مقدمهم رجلا جيدا شجاعا مجربا في الحرب فلما راى امارات الغلبة عليهم
وانهم لا بد وان يقتلوا قال والله لا نقتل الا عن عز ولا نسلم اليهم من
البطسة شيئا فوقعوا في البطسة من جوانبها بالمعاول يهدمونها ولم يزالوا
كذلك حتى فتحوها من كل جانب ابوابا فامتلأت ماء وغرق جميع من فيها وما فيها
من الالات والميرة وغير ذلك ولم يظفر العدو منها بشيء اصلا وكان اسم المقدم

بيعقوب من رجال حلب رحمه الله وتلقف الكبد وتعض من كان فيها ولو الحذق
الى الشواني من البحر وخلصوا من الحرق وسلبوه وانقذوه الى البلد
ليخبرهم بالرفعة وحزن الناس لذلك حزنا شديدا والسلطان رحمه الله عليه
يتلقى ذلك بيد الاحتساب في سبيل الله تعالى والصبر على بلائه والله لا
يضيع اجر المحسنين

ذكر حريق الدبابه

وذلك ان العدو المخذول كان قد اصطنع دبابة عظيمة هائلة اربع طبقات
الطبقة الاولى من الخشب والثانية من الرصاص والثالثة من الحديد والرابعة
من النحاس وكانت تعلو على السور وتركب فيها المقاتلة وخاف اهل البلد
منها خوفا عظيما وحدثتهم نفوسهم بطلب الامان من العدو وكان قد
قربوها من السور بحيث لم يبق بينها وبين السور الا مقدار خمسة اذرع
على ما يشاهد برأي العين واخذ اهل البلد في تواتر ضربها بالبلاوية انا بالنفط
حتى قدر الله حريقها واشتعال النار فيها وظهر لها ذوابة نار نحو
السما واشتدت الاصوات بالتكبير والتهليل من الناس وذلك جبر الله
الوهن ومحا الذل الاول وقعه بعد نفعه وانا بين يدي بابين وكان ذلك
في يوم غرق البطسة فوقع من المسلمين موقعا وكان سليا لحزنهم وكابتهم

ذكر وقعات عدة

ولما كان يوم الجمعة تاسع عشر جمادى
الاولى زحف العدو على البلد زحفا عظيما وضايقوه مضايقة شديدة وكان
قد استقر بيننا وبينهم انه متى زحف العدو عليهم دقوا كوساتهم فضربوا
كوساتهم فاجابوا كوس السلطان رحمه الله من قريب العسكر وضايقهم السلطان
رحمه الله من خارج وزحف عليهم حتى هجم المسلمون عليهم في خيامهم وتجاوزوا
خنادقهم واخذوا القدور من اثافيها وحصل من الغنيمة المأخوذة من خيامهم
شيء عند السلطان رحمه الله عليه وانا حاضر ولم يزل القتال يعمل حتى ارتفع
العدو انه قد هجم عليه واحدقهم رجعوا عن قتال البلد وشرعوا في قتال
العسكر واشتبت الحرب بينهم ولم يزل ناشبة حتى قام قائم الظهيرة
وغشي الناس من الحر امر عظيم من الجانبين ثم رجعت الطائفتان الى خيامهم
وقد اخذ منهم التعب والحر وانفصل القتال في ذلك اليوم

وقعة اخرى

ولما كان يوم الاثنين ثاني عشرين جمادي الاولى سنة
سبع وثمانين دقت كوس البلد فاجابه كوس السلطان رحمه الله وثار القتال
بين الطائفتين وجد العدو في مضايقة البلد فقد مشت الناس لا يهجموا على
خيمهم وانهم يهابوها فكذب العسكر ظنونهم وهجموا الخيم ايضا ونهبوا منها

فتراجع العدو الى قتالهم ووقع الصايح فيهم فلحقوا جماعة من المسلمين عظيمة
داخل خنادقهم واسوارهم وجرى بينهم وقعة عظيمة قتل فيها الكثير من
المسلمين وجرح جماعة وقتل جماعة من العدو والعجب ما في هذه الوقعة
انه كان وصل في ذلك اليوم رجل كبير مذكور من اهل مازندران يريد
الغزاة فوصل الى اليزك فلقي السلطان واستاذنه في الجهاد وحمل حملة
عظيمة استشهد فيها رحمه الله في تلك الساعة ولما راى العدو دخول المسلمين
الى خنادقهم وتوغلهم الى داخل اسوارهم حركهم العجب وحشتهم النخوة فركب
فارسهم وراجلهم وخرجوا الى ظاهر اسوارهم وحملوا على المسلمين حملة صحبه
الرجل الواحد فثبت المسلمون لهم وثبتوا عليها ولم يتحولوا عن اماكنهم والتحم القتال
من الجانبين واشتد الضرب من الطايفتين وصبر المسلمون صبر الكرام ودخلوا
في الحرب باقتحام فلما راى العدو ذلك الصبر المعجوز والاقدام المزعج انفذ
رسولا في عرض ذلك فاستاذن له في الوصول فاذن له فوصل الرسول
اولا الى الملك العادل رحمه الله فاستصحبه ووصل به الى الخدمة السلطانية ومعه
ايضا الملك الافضل فادى الرسالة وكان حاصلها ان ملك الانكتير يطلب الاجتماع
بالسلطان فلما سمع السلطان رحمه الله علم تلك الرسالة اجاب عنها في الحال من غير

تقدم ولا تردد بان قال الملوك لا يجتمعون الا عن قاعدة وما يحسن منهم
الحرب بعد الاجتماع والمواكلة واذا اراد ذلك فلا بد من تقرير قاعدة
قبل هذه الحالة ولا بد من ترجمان نثق به يكون في الوسط بينهم يفهم كل واحد منا
ما يقول الآخر فليكن الرسول بيننا ذلك الترجمان فاذا استقرت القاعدة
وقع الاجتماع بعد ذلك ان شاء الله تعالى

وقعة اخرى

ولما كان يوم السبت ثامن عشري جمادى الاولى خرج العدو بخيلهم ورجالهم
على المسلمين من جانب البحر شمالي البلد وعلم السلطان رحمه الله ذلك فركب
وركب العسكر وانتشب القتال بين الطايفتين وقتل من المسلمين بدوي وكردي
وقتل من العدو جماعة واسر واحد بلبسه وفرسه ومثل بين يدي السلطان
رحمه الله ولم يزل القتال يعمل حتى حال الليل بين الطايفتين

وقعة اخرى

ولما كان الاحد تاسع عشري جمادى الاولى خرج من العدو رجاله اثره على شط
البحر الجلو فلقيهم طايفة من اليزك وجرى بينهم قتال عظيم ووصلت رجالة
من المسلمين واقتحم الحرب فاسروا واحدا وقتلوه واحرقوه واسر المسلمون منهم
واحدا فقتلوه واحرقوه ولقد رايت النار تشتعل في زمان في البحر ولم
تزل الاخبار تتواصل من اهل البلد باستعجال امر العدو والشكوى من ملازمتهم

فأقاموا ليلاً ونهاراً وذكر لنا بعضهم أن التعب العظيم من نزول الأعمال الثقال
عليهم من حين قدوم الانكتير اللعين ثم مرض مرضاً شديداً أشفى منه على
الهلاك وجرح الافرنسيس ولا يزيدهم ذلك إلا إصراراً وعتواً
ذكر موت ابني الملك وكان من حديثهما أنهما كانا الأخوين لاك
انكتير وكانا سلطانين في الباطن لأن أباهما كانت في صقلية وجدهما
صاحبها وكانت هي زوجة صاحب صقلية فلما مات ومر أخوها بالبلد
أخذها وصحبها معه إلى العسكر ولما وصل الخادمان إلى الحصن وفارقا
المسلمين هربا إلى العسكر الإسلامي وقبلهما السلطان رحمه الله وأنعم عليهما
إنعاماً عظيماً **ذكر هرب المركيس إلى صور** ولما كان يوم الأحد
سلخ جمادى الأولى قوي استشعار المركيس من أن الملك قبضوا عليه ليعطوا
صور الملك القديم الذي كان قد أسره السلطان رحمه الله لما كان أتاه من الأسر
في نصرة دين المسيح فلما صح ذلك عنده هرب إلى صور وأنفذوا خلفه قسوساً
ليردوه فلم يفعل وسار في البحر حتى أتى صور وشق ذلك عليهم وعظم لديهم
فإنه كان ذا رأي وشجاعة وخبرة **ذكر قدوم بقية عساكر الإسلام**
ولما كان يوم الثلاثاء سلخ جمادى الأولى قدم فتعجل نجاح ابنه سد مجاهد الدين

بن يونس فلقيه السلطان رحمه الله واحترمه وكان ديناً عاقلاً محباً
للغزو وأنزله السلطان رحمه الله في الميمنة بعد أن أكرمه وأنزله في خيمته
وفرح بقدومه فرحاً شديداً في ذلك الوقت ثم قدم بعده أكثر قطعة
عظيمة من عسكر مصر المحروسة كعلم الدين كرجي وسيف الدين سنقر
الدوادار وجماعة أمراء ثم قدم بعد ذلك علاء الدين صاحب الموصل في
عسكره فلقيه السلطان رحمة الله عليه بالخروبة ونزلوا هنا إلى الكرم
الغد من اليوم الثاني من جمادى الآخرة من شهور سنة سبع وثمانين وخمسمائة
وأصبح سائراً حتى أتى الجفلة فبات العدو ونفض عسكره هنالك وأنزله
السلطان رحمه الله في خيمته وحمل له من التحف وقدم له من اللطائف
ما يليق بكرمه وأنزله في الميسرة وفي يوم الجمعة ثالث جمادى قدمت
طائفة من عسكر مصر أيضاً واشتد مرض الانكتير بحيث شغل الفرنج مرضه
وشدته عن الزحف وكان ذلك خيرة عظيمة من الله تعالى فإن البلد
كان قد ضعف من فيه ضعفاً عظيماً واشتد بهم الخناق شدة عظيمة
وهدمت المنجنيقات من السور مقدار قامة الرجل هذا واللصوص يدخلون
عليهم الخيام ويسرقون أقمشتهم ونفوسهم ويأخذون الرجال في عافية

بان يدخلون عليهم الغلمان فيجيئون الى الواحد وهو نايم فيضعوا
السكين على حلقه ويوقظونه ويقولون له بالاشارة ان تكلمت ذبحناك
ويحملونه ويخرجون به الى عسكر المسلمين وجرى ذلك مرارا كثيرة
وعساكر المسلمين تجتمع ويتواتر وصولها من كل جانب حتى تكامل وصولها

ذكر خروج رسلهم الى السلطان رحمه الله

لما ورد [illegible] خروج
رسول منهم يلتمس من جانب الانكتار ان يجتمع بالسلطان فذكر عذر
السلطان عن ذلك وانقطع الرسول وكان يتعاهد الى الحي وكان حكم نوع
الملك العادل رحمه الله ثم هو يلتمس الى السلطان رحمه الله فاستقر بالاخرة
انه لا بد ان يأذن له في الخروج ويكون الاجتماع في المرج والعساكر
محيطة بهما ومعهما ترجمان فلما اذن في ذلك تأخر الرسول اياما عدة
لمرض الملك على مرضه واستفاض ان ملوكهم اجتمعوا اليه وانكروا
عليه ذلك وقالوا هذه مخاطرة بدين النصرانية ثم بعد ذلك وصل رسوله
يقول لا تظنن تأخري بسبب ما قيل فان زمام قيادي مفوض الي وانا احكم
ولا يحكم غيري الا ان في هذه الايام اعتراني مزاج منعني من الحركة هذا
كان العذر واني انا حر لا غير وعادة الملوك اذا تقاربت منازلهم ان يتهادوا

وعندي ما يصلح للسلطان وانا استخرج الاذن في ايصاله اليه فقال
له الملك العادل قد اذن لك في ذلك بشرط قبول المجازاة على الهدية فرضي
الرسول بذلك وقال الهدية شيء من الجوارح وقد جلبت من وراء البحر
وقد ضعفت فيحسن ان يحمل اليها طير ودجاج حتى تطعمها فتقوى
ونحملها فداعبه الملك العادل رحمه الله وكان فقيها فيما يحدثهم به
فقال الملك قد احتاج الى فراريج ودجاج ويريد ان ياخذها لنفسه
ثم انفصل حديثهم ليوسا له بالاخرة على ان قال الرسول ما الذي
اردتم فان كان لكم حديث فتحدثوا به حتى نسمع فقيل له عن
ذلك نحن ما طلبناكم انتم طلبتمونا فان كان لكم حديث فتحدثوا به حتى
نسمعه وانقطع حديث المراسلة الى يوم الاثنين سادس جمادى الاخرة سنة
سبع وثمانين وصباحه خرج رسول الانكتار اللعين الى السلطان
رحمه الله ومعه انسان مغربي قد اسره من مدة طويلة وهو مسلم
فاهداه الى السلطان رحمه الله فقبله واحسن اليه واطلقه وعاد
الرسول مشرفا مكرما الى صاحبه وكان غرضهم بتكرار الرسايل تعرف
قوة النفس وضعفها وكان غرضنا بقبول الرسايل تعرف ما عندهم من ذلك ايضا

ذكر خبر قوة زحفهم على البلد ومضايقته

ولم يزالوا يوالون على الأسوار بالمنجنيقات المتواصلة الضرب وخلخلوا أحجارها
وأخربوا أمر القتال على هذا القدر حتى خلخلوا أسوار البلد وأضعفوا بنيانه
وأنهك التعب والسهر أهل البلد لقلة عددهم وكثرة الأعمال عليهم حتى
إن جماعة منهم بقوا الليالي عدة لا ينامون أصلا لا ليلا ولا نهارا والخلق الذين
عليهم عدد كثير يتناوبون على قتالهم وهم نفر يسير قد تقسموا على الأسوار
والخنادق والمنجنيقات والسفن ولم يزل الضرب بالمنجنيقات حتى خلخل
السور وظهر للعدو خلله وضعفه وتقلقل بنيانه ولما أحس العدو بذلك
شرعوا في الزحف من كل جانب وانقسموا أقساما وتناوبوا فكلما تعب
قسم استراح وقام غيره مقامه وشرعوا في ذلك شروعا عظيما
براجلهم وفارسهم وذلك في سابع جمادى الآخرة وهاجموا عسكرهم أسوارهم سوء الملا
الدليل على اجتهادهم بالرجالة والمقاتلة ليلا ونهارا فلما علم السلطان
ذلك بإخبار من شاهده وإظهار العلامة التي بيننا وبين البلد ودق الكوس
ركب من ساعته وجمع الراجل والفارس ودعاهم ورغبهم
وزحف على خنادق القوم حتى دخل العسكر عليهم وجرى في ذلك اليوم فيها

قتال عظيم من الجانبين وهو رحمه الله كالوالدة الثكلى يتحرك بفرسه من طلب إلى
طلب ويحث الناس على الجهاد ولقد بلغنا أن الملك العادل حمل بنفسه
دفعتين في ذلك اليوم والسلطان رحمه الله يطوف بين الأطلاب وينادي
يا للإسلام وعيناه تذرفان بالدمع وكلما نظر إلى عكا وما حل
بها من البلاء وما يجري على ساكنيها من المصاب العظيم اشتد في الزحف
والحث على القتال ولم يطعم في ذلك اليوم طعاما البتة وإنما شرب أقداح
مشروب كان يشير بها الطبيب وتأخرت عن حضور هذا الزحف لما عراني
من مرض شوش مزاجي فكنت في الخيمة في تل العياضية وأنا أشاهد الجميع
ولما هجم الليل عاد رحمه الله إلى الخيمة بعد عشاء الآخرة وقد أخذ منه التعب
والكآبة والحزن فنام لا عن غفوة ولما كان سحر تلك الليلة أمر الكوسات
فدقت وركبت العساكر من كل جانب وأصبحوا على ما أمسوا عليه وفي ذلك
اليوم وصلت بطاقة من البلد يقولون فيها إنا قد بلغ بنا العجز إلى غاية
ما بعدها إلا التسليم ونحن في الغد يعني يوم الأربعاء متى جاء من الأحد
إن لم تعملوا معنا شيئا نطلب الأمان ونسلم البلد ونشتري مجرد رقابنا
وكان هذا أعظم خبر ورد على المسلمين وأنكاه في قلوبهم فإن عكا قد

كانت قد احتوت على جميع سلاح الساحل والقدس ودمشق وحلب ومصر
ايضا وجميع البلاد الاسلاميه واحتوت على كبار من امرا الاسلام وابطال
الاسلام سيف الدين بن المشطوب وبها الدين قراقوش وغيرهما وكان
بها الدين قراقوش ملتزما بحراستها منذ نزل العدو المخذول عليها واصاب
السلطان رحمه الله من ذلك الم بسببه بمثل غيره وخيف على مزاجه
الشريف وهو لا ينقطع ذكر الله والرجوع اليه في جميع ذلك صابرا محتسبا
ملازما مجتهدا والله لا يضيع اجر المحسنين فراى الدخول على القوم ومناجزتهم
فصاح في العساكر الاسلاميه الصايح فركبت الاطلاب واجتمع الراجل
والفارس واشتد الزحف في ذلك اليوم فلم يساعده العسكر في ذلك
اليوم على الهجوم على العدو فان الرجاله من الفرنج وقفوا كالسور المحكم
بالسلاح والزنبورك والنشاب من وراء اسوارهم وهجم عليهم بعض الناس
من بعض اطرافهم فثبتوا وذبوا غاية الذب ولقد حكى لي بعض من دخل عليهم
اسوارهم انه كان هناك راجل واحد فرنجي وانه صعد سور خندقهم واسند ظهره
للمسلمين والى جانبه جماعة يناولونه الحجارة وهو يرميها على المسلمين الذين يلاصقون
سور خندقهم وقال انه وقع فيه زها خمسين سهما وحجرا وهو يتلقاها

ولا يمنعه ذلك عما هو بصدده من الذب والقتال حتى ضربه زراق مسلم
بقارورة نفط فاحرقته ولقد حكى لي شيخ عاقل جندي انه كان من
جملة من دخل قال وكان داخل سورهم امراة عليها ملوطه خضرا فما زالت
ترمينا بقوس من خشب حتى جرحت منا جماعة وتكاثرنا عليها وقتلناها
واحضرنا قوسها وحملناها الى السلطان رحمه الله فعجب من ذلك عجبا
عظيما ولم يزل الحرب حاملا بين الطايفتين اما قتلا واما جرحا حتى فصل الليل
بين الطايفتين

ذكر ما آل الامر البلد اليه من الضعف ووقوع المراسلة بين اهل البلد والفرنج

ولما اشتد زحفهم على البلد وتناوبوا عليه من كل جانب ونقبوا وتعلقوا
وقلت رجاله البلد وخيالته بكثرة القتل منهم وقلة البدل الذي
يدخل اليهم ضعفت نفوس اهل البلد لما راوه من عين الهلاك واستشعروا
الضعف والعجز عن الدفع وتمكن العدو من الخنادق فملوها وملكوا
سور البلد الباشورة فنقبوه واشعلوا فيه النار بعد حشوه النفط
ووقعت بدنة من الباشورة ودخل العدو الى الباشورة وقتل منهم فيها
زها مائة وخمسين نفسا وصاعدا عن ذلك وكان منهم ستة انفس من

جاءهم فقال لهم واحد لا تقتلوني حتى ارحل الفرنج عنكم بالطيب فبادر
كل من الاكراد وقتله وقتل الخمسة الباقية وفي الغد نادا هم الفرنج
احفظوا السنة فانا نسالكم كلام بهم فقالوا انتم قتلتم مجون الفرنج
اول الحرب عظيما وطلبوا عن الزحف بعد ذلك ابايا بالكلية وبلغنا ان
سيف الدين المنطوب خرج بنفسه الى ملك الافرنسيس وهو كان يتقدم
الجماعة في الرتبة خرج اليه بامان وقال انا ما قاتلنا احدا منكم بلا داعية
وما هدم البلد وندخل فيه ومع هذا اذا سالونا الامان اعطيناهم
وحملناهم الى ما منهم واردناهم ونحن نسلم البلد وتعطينا الامان على
انفسنا فاجابه بان هولاي الملوك الذين احد نحو منا وانتم ايضا ما تبكي
وعبيدي فادى فكم راي وبلغنا بعد ذلك ان المنطوب لعلطه في القول
وقال الغادر بل ذي في ذاك المقام منها انا ما نسلم البلد حتى نقتل باجمعنا
ولا نقتل واحد منا حتى يقتل خمسين نفسا من جياركم وانصرف عنه ولما
دخل المنطوب بهذا الخبر خاف جماعة من كان في البلد فاخذوا لهم مركبا
وهو مركب صغير وركبوا فيه ليلا خارجين الى العسكر الاسلامي وذلك في
ليلة الخميس التاسع من جمادى الاخرى سنة سبع وثمانين وكان فيهم من المعروفين

وسنقر
ارسل ابن الكاولي الكبير وسنقر الوشاقي فاما ارسل فانهما لما وصلا
العسكر المنصور تغيبا ولم يعرف لهما مكان خشية من نقمة السلطان
رحمه الله عليه واما ابن الكاولي فانه ظفر به ورمي في الزردخاناه وفي
صبح تلك الليلة نزل السلطان رحمه الله مشعرا انه يريد كبسة القوم
ومعه السناجق والاسقطر الخنادق فما ساعد العسكر على ذلك وكادوا
عن ذلك وقالوا لو غلظ بالاسلام ذله ولا مصلحة في ذلك وفي ذلك اليوم خرج من
الاخبار رسل بانه طلبوا كبيسا ونحا وذكروا ان يقدم الاستشارة فخرج
في الغد يعني الجمعة يحدث ويتحدثون معه في معنى الصلح عبر ان السلطان رحمه
الله عليه اراهم ودخلوا سوق العسكر وتفرجوا فيه وعادوا تلك الليلة
الى عسكرهم وفي ذلك تقدم الى صارم الدين قايماز النجمي حتى رحل هو والى السوار هم واصحابه
واصحابه وهو اخو المنطوب وافقتهم ورجعوا حتى بلغوا اسوار الفرنج
ونصب قايماز النجمي علمه ثبته على سورهم وقاتل عن العلم فتقدم من النهار
وفي ذلك اليوم وصل عز الدين جرديك النوري ووصل في سوق الزحف
قايم فرحل هو وجماعته وقاتل قتالا شديدا واجتهد الناس في ذلك
اليوم اجتهادا عظيما ولما كان يوم الجمعة العاشر من جمادى الاخرة اصبح

[illegible]

القوم سادين من الزحف والقتال الاسلامية محدقة بهم وقد باتوا ليلتهم
شاكين في السلاح والذي ظهر من حالهم منتظرين عسى تجيئهم ساعة لحراسهم
المقيمين بعكا يحملون على طرف من الفرنج مما يليهم ويخرجون حتى يحمي
بعضهم بعضا ويخرقون الخندق ويلاقيهم العساكر من جانب فيسلم من يسلم ويؤخذ
من يؤخذ فلم يقدروا على الخروج وكان قد ثبت ذلك معهم على انهم في تلك
الليلة خروج بسبب انه كان هرب منهم بعض الغلمان فاخبر العدو بذلك
فاحتاطوا عليهم وحرسوهم حراسة عظيمة ولما كان يوم الجمعة خرج منهم
رسل الله واجتمعوا بالملك العادل وتحدثوا معه ساعة زمانية وعادوا
الى اصحابهم ولم ينفصل الحال في ذلك اليوم وانقضى النهار على قيام المسلمين بالحرب
في قبالة العدو المخذول وباتوا على مثل ذلك ولما كان السبت الحادي عشر
من جمادى الآخرة لبست الفرنجية باسرها لباس الحرب وتحركوا حركة
عظيمة بحيث اعتقد انه ربما كان مصافا واصطفوا وخرج من الباب الذي تحت
القبة زهاء اربعين نفسا واستدعوا جماعة من المماليك وطلبوا منهم العدل
الزبداني وذكر انه صاحب صيدا فاطلقه السلطان رحمه الله فحضر العدل
وجرى بينهم احاديث في معنى اطلاق العسكر الذي بعكا واشتطوا فيما طلبوا

في مقابلة ذلك اخطارا عظيمة وانصرم نهار السبت ولم ينفصل حال

ذكر كتب وصلت من البلد

ولما كان يوم الاحد ثاني عشر
جمادى الآخرة وصل من البلد كتب يقولون فيها انا قد تبايعنا على الموت ونحن
لا نزال نقاتل حتى نقتل ولا نسلم هذا البلد ونحن احياء فابصروا انتم كيف تصنعون
في شغل العدو عنا ودفعه عن قتالنا فهذه عزائمنا واياكم ان تخضعوا
لهذا العدو او تلينوا له فاما نحن فقد فات امرنا وذكر العوام الواصل بهذه
الكتب انه لما وقع بالليل ظن الفرنج ان عسكرا عظيما قد عبر الى عكا وسلم
وصار فيها قال وجاء انسان فرنجي فوقف تحت السور وصاح الى بعض من على
السور وقال له بحق دينك الا اخبرتني كم عدد العسكر الذي دخل البلد
البارحة يعني ليلة السبت وكان قد وقع في الليل صوت وانزعج الطائفتان
ولم يكن له حقيقة فقال الف فارس فقال لا الا دون ذلك انا رايتهم وهم
لابسون ثيابا خضرا ثم تتابعت العساكر الاسلامية متواصلة واندفع الله
العدو عن القوم في تلك الايام بعد ان كان قد اشفى البلد على الاخذ فقدم
يوم الثلثاء رابع عشره سابق الدين صاحب شيزر ويوم الاربعاء خامس عشره
بدر الدين دلدرم ومحمد تركان كان قد انفذ اليه السلطان رحمه الله دراهم

الثغر منهم ويوم الخميس سادس عشر شهر اسد الدين شيركوه واشتد تحصن
البلاد لاجل ثغر سوره وجاهد المقيمون فيه وبنوا عوض الثلمة سورا
من داخلها حتى اذا تم انهدامها قاتلوا عليه واشتد ثبات الفرنج لعنهم
الله على انهم لا يصالحون ولا يعطون الامن في البلد الا ان حتى يطلق جميع
الاسرى الذين في ايدي المسلمين وتعاد البلاد التي اخذت اليهم وبذلهم لهم تسليم
البلد وما فيه دون من فيه فلم يفعلوا ابذال لهم في مقابلة كل واحد من الذين في
البلد واحد من اسرائهم مقابلة فلم يفعلوا وبذل لهم ايضا مع ذلك صليب الصلبوت
فلم يفعلوا واشتد عتوهم واستفحل امرهم وضاقت الحيل عنهم ومكروا
ومكر الله والله خير الماكرين **ذكر حديث مصالحة اهل البلد**
ونصائحهم عن نفوسهم ولما كان يوم الجمعة سابع عشر جمادى الاخرة خرج
العوام من الثغر ونطقت شيء ان اهل البلد ساءت بهم الامور وتزايدت الثغر
وعجزوا عن الحفظ والدفع وراوا عين الهلاك وتيقنوا انه متى اخذ البلد عنوة
ضربت لقتالهم عن اخرهم واخذ جميع ما فيه من العدد والاسلحة والمراكب
وغير ذلك فصالحوهم على انهم يسلمون اليهم البلد وجميع ما فيه من الالات
والعدد والمراكب ومائتي الف دينار والف وخمسمائة اسير مجاهيل الاحوال

وثمانية اسير معينين فرجا بينهم يختارونهم وصليب الصلبوت على ان يخرجوا
بانفسهم سالمين وما معهم من الاموال والاقمشة المختصة بهم وذراريهم
ونساؤهم وضمنوا للمركيس اللعين لانه كان قد استشفع وعاد عشرة
الاف دينار لانه كان الواسطة وللاصحابه اربعة الاف دينار واستقرت
القاعدة على ذلك بينهم وبين الفرنج **ذكر استيلاء العدو على عكا**
من الله بخلاصها ان ولما وقف السلطان رحمة الله عليه على كتبهم وعلم مضمونها
انكر ذلك انكارا عظيما وعظم هذا الامر وجمع ارباب المشورة من ارباب
دولته واكابرها وعرفهم ذلك وشاورهم فيما يصنع واضطربت به اراده
وتقسم فكره وتشوش حاله وعزم على ان يكتب في تلك الليلة مع العوام
وينكر عليهم المصالحة على هذا الوجه وهو في مثل هذا الحال فما احس الا
الا وقد ارتفعت اعلام الكفر وصلبانه وشعاره وناره على اسوار البلد
وذلك في ظهيرة نهار الجمعة سابع عشر جمادى الاخرة سنة سبع وثمانين
وخمسمائة وصاح الفرنج صيحة واحدة وعظمت المصيبة على المسلمين
واشتد حزن الموحدين وانحصر كلام العقلاء من الناس في ترداد انا لله وانا اليه
راجعون وغشي الناس بهتة عظيمة وحيرة شديدة ووقع في العسكر

الصباح والعويل والبكا والنحيب وكان لكل قلب حظ في ذلك على قدر ايمانه
ولكل انسان نصيب من هذا الحظ على قدر ديانته ونخوته وانفسخ الحال
على انه استقرت تلك القاعدة بين اهل البلد وبين الفرنج على ذلك الحال
المتقدم وان المركيس اللعين دخل البلد ومعه اربعة اعلام للملوك واخذ
عوضه رهنا محمد بن باريك رحمه الله وكان شجاعا من شجعان الاسلام رحمه الله
فنصب المركيس علما على القلعة وعلما على مئذنة الجامع في يوم الجمعة
وعلما على برج الداوية وعلما على برج القتال عوضا عن علم الاسلام وحيز
المسلمون الى بعض اطراف البلد وجرى على اهل الاسلام المشاهدين
لذلك الحال ما كثر التعجب من الحيوة معه وشاهدت بخدمة السلطان رحمه
الله عليه وهو اشد حالا من الوالدة الثكلى والوالهة الحيرى وسليته بما
تيسر من التسلية واذكرته الفكر فيما قد استقبلناه من الامر في فتح البلاد
الساحلية والقدس الشريف وشغلنا الحال في ذلك واعمال الخلاص للمسلمين الكرخي
المأسورين في البلد وذلك في ليلة السبت الثامن عشر منه وانفصل
الحال على ان راى التاخر عن تلك المنزلة مصلحة فانه لم يبق غرض في
المضايقة فتقدم بنقل الاثقال ليلا الى المنزلة التي كان عليها اولا [illegible]

١٣٧

واقام هو جريدة رحمه الله عليه في مكانه لينظر ماذا يكون من امر
العدو وحال اهل البلد فانتقل الناس في تلك الليلة الى الصباح واقام
هو جريدة راجيا من الله تعالى ان يدر بما حملهم غرورهم وجهلهم ما الخروج
الى البلد والهجوم عليه فينال منهم غرضا ويلقى نفسه عليهم ويعطي الله النصر
لمن يشا فلم يفعل العدو شيا من ذلك واشتغلوا بالاستيلا على البلد
والتمكن منه فاقام رحمه الله الى بكرة التاسع عشر من الشهر وانتقل بحوم
تلك الليلة الى الثقل وفي ذلك اليوم خرج منهم ثلثة نفر ومعهم الحاجب قوش
حاجب بهاء الدين قراقوش وكان لسانه فانه كان اطلاعا فلا مستخبرين
ما وقع عليه عقد الصلح من المال والاسرى فاقاموا ليلة عندنا وساروا الى
دمشق يطلبون الاسارى وكان مسيرهم يوم الثلثا الحادي والعشرين من
جمادى الاخر وانفذ السلطان رحمه الله علمه رسولا الى الفرنج يسال منهم ان
عرفت الحال وليتعلم كم مدة تحصيل ما وقعت عليه المصالحة واستقرت عليه
المهادنة

ذكر وقعة جرت في اثنا ذلك

ولما كان يوم الخميس سلخ جمادى الاخر خرج الفرنج من جانب البحر شمالي
البلد ومن جانب القبلة وانتشروا انتشارا عظيما راجلهم وفارسهم وضربوا

طلابا للقتال فاخبر اليزك بذلك السلطان رحمه الله عليه فدق الكوس
وركب وانفذ الى اليزك وقواه برجال كثيرة وتوقف حتى ركبت العساكر
الاسلامية واجتمعوا فوقع بين اليزك وبين العدو وقعة عظيمة وقتال
شديد قبل اتصال العسكر باليزك وكان اليزك قد تقوى بمن انفذ اليه وحملوا
على العدو حملة عظيمة فانكسر العدو من بين ايديهم وانهزمت الخيالة
واسلمت الرجالة وظنوا ان وراء اليزك كمينا فاشتدوا نحو خيامهم فوقع
اليزك في الرجالة فقتل منهم زهاء خمسين نفرا وجرح خلق عظيم ولم
يزل السيف فيهم حتى دخلوا خيامهم وفي ذلك اليوم وصل رسل الفرنج
الذين بعثوا الى دمشق لتفقد حال اسراهم ووصل معهم من اسراهم
اربعة نفر ووصل منهم في عشيته ايضا رسل الى السلطان في تحرير
امر الاسارى والمسلمين الذين كانوا بعكا ولم تزل الرسل تتردد بين الطائفتين
حتى كان يوم الجمعة تاسع رجب سنة سبع وثمانين وخمسمائة ○

ذكر خروج ابن باريك

وفي ذلك اليوم خرج حسام الدين حسين بن باريك المهراني ومعه اثنان
من اصحاب الاخبار فاخبر ان ملك الفرنسيس سار الى صور يسر الله فتحها

وذكروا انهم من تحرير امر الاسارى وطلبوا ان يشاهدوا صليب الصلبوت
وانه هل هو في العسكر ام حمل الى بغداد فاحضر لهم صليب الصلبوت وشاهدوه
وعظموه ورموا نفوسهم الى الارض ومرغوا وجوههم على التراب وخضعوا
خضوعا عظيما لم ير مثله وذكروا ان الملوك قد اجابوا السلطان رحمه الله عليه
الى ان يكون ما وقع عليه القرار يدفع في ثلاثة انجم كل نجم شهر ثم سير رسل
السلطان رحمه الله الى الفرنسيس رسولا الى صور يسر الله
فتحها بهدايا سنية وطيب كثير وثياب جميلة وعاد ابن باريك ورفقته الى
الاخبار وفي صبيحة يوم السبت العاشر من رجب انتقل السلطان رحمه
الله عليه وخواصه الى تل ملاصق لشفرعم ونزل العساكر في منازلهم
على حالهم وهو قريب من منزلته الاولى ليس بينهما الا الوادي ولم تزل
الرسل تتواتر في تحرير القاعدة وتقريرها حتى حصل لهم ما كان المعلوم
من الاسارى والمال المختص بذلك النجم وهو الصليب ومائة الف
دينار والف وستمائة اسير وانفذوا ثقاتهم وشاهدوا الجميع ما عدا
الاسارى المعينين من جانبهم فانهم لم يكونوا فرغوا من تعيينهم ولم يزالوا
حتى حصلوا ولم يزالوا يماطلون ويغضون الزمان حتى انقضى النجم الاول

وكان انفصاله في ثامن عشر رجب ثم انفصلوا وفي ذلك اليوم يطلبون
ذلك فقال لهم السلطان رحمه الله اما ان تنفذوا الينا اصحابنا وتسلموا
الذي عينا لكم في هذا اليوم ونعطيكم رهاين على الباقي يصل اليكم في
نوبتكم الباقية واما ان تعطونا رهاين على ما نسلمه اليكم حتى تخرجوا
الينا اصحابنا فقالوا لا نفعل شيا من ذلك بل تسلمون ما تقتضيه هذا
النوبة وتقنعون بامانتنا حتى نسلم اليكم اصحابكم فابا السلطان رحمه
الله ذلك لعلمه انهم ان تسلموا المال والصليب والاسرى واصحابنا عندهم
لا يومن غدرهم ويكون وهن الاسلام عند ذلك عظيما لا يكاد ينجبر

ذكر اخراج الفرنج خيامهم

ولما راوه رحمه الله عليه قد امتنع من
ذلك اخرجوا خيامهم الى ظاهر خنادقهم مبرزين وذلك في نهار الاربعا
الحادي والعشرين من رجب من شهور سنة سبع وثمانين وخمسمايه وكان
الذي برز ملك الانكتار ومعه خلق عظيم من الخياله والرجاله والرجل

ذكر قتل المسلمين الذين بعكا رحمة الله عليهم

ولما راى الانكتار الملعون توقف السلطان رحمه الله عليه في بذل المال والاسارى
والصليب غدر باسارى المسلمين وكان قد صالحهم وتسلم البلد منهم على ان يكونوا

امنين على نفوسهم على كل حال وانه ان دفع السلطان اليهم ما استقر
اطلقهم باموالهم وذراريهم ونسايهم وان امتنع من ذلك صاروا عليهم الرق
واخذهم اسارى فغدر بهم الملعون واظهر ما كان ابطن وفعل ما اراد
ان يفعله بعد اخذ المال والاسارى على ما اخبرت عنه اهل ملته فيما بعد
وركب هو وجميع عسكر الفرنجية راجلهم وفارسهم في وقت العصر من
يوم الثلاثا سابع عشري رجب من سنة سبع وثمانين وخمسمايه وساروا
حتى انوا الى الابار التي تحت تل العياضية وقدموا خيامهم اليها وساروا
حتى توسطوا المرج بين تل كيسان الذي قدموا خيامهم الى تحت تل العياضية
ثم احضروا من الاسارى المسلمين ممن كتب الله شهادته في ذلك وكانوا
زها الفين وثلثماية مسلم في الحبال واوثقوهم في الحبال وحملوا عليهم حملة الرجل
الواحد فقتلوهم صبرا طعنا وضربا بالسيف رحمه الله عليهم واليزك
الاسلامي يشاهدهم ولا يعلم ماذا يصنعون لبعدهم عنهم وكان اليزك
قد انفذ الى السلطان رحمه الله عليه واعلمه بركوب القوم ووقوفهم فانفذ
الى اليزك من قواه وبعد ان فرغوا حمل المسلمون عليهم وجرت بينهم حرب
عظيمة جرى فيها قتل وجرح من الجانبين ودام القتال الى ان فصل الليل بين

الطايفتين واصبح المسلمين يكشفوا الحال فوجد والمسلمين الشهدا في مصارعهم
وعرفوا من عرفوا منهم وغشي المسلمين بذلك حزن عظيم وكانوا عظيمه
ولم يفوتوا المسلمين الا رجلا مجروحا مقدما ادنوا اليد للعمل في عاجرهم ودكر
لعلمهم انشاب منها انهم فتلوهم في مقابله من قتل منهم وقيل ان الانكتار
كان عزم على المسير الى عسقلان للاستيلا عليها فما راى ان عجلت تلك
الجده في البلاد وراه والله اعلم **ذكر انتقال العدو الى طرف**
البحر جانب الغرب ولما كان يوم الخميس تاسع عشر شعبان رحلت
الفرنجيه باسرها وقلعت خيامهم وحملوها على دوابهم وساروا حتى قطعوا
النهر الى الجانب الغربي وضربوا الخيام على طريق عسقلان واظهروا
العزم على المسير على شاطي البحر واسر الاخبار ان باقي الناس ان يدخلوا
الى البلاد وكان قد سدد الفرنج ثلمه واصلحوا ما انثلم منه وكان مقدم
العدو الخارج السابر الانكتار لعنه الله ومعه جمع عظيم من الخياله والرجاله
ذكر مسيرهم الى جهة عسقلان ولما كان يوم الاحد مستهل
شعبان سنه سبع وثمانين وخمسمايه اشتعلت نيران العدو في نجوم ذلك
اليوم وعادتهم انهم اذا ارادوا الرحيل اشعلوا نيرانهم واخبر اليزك بجرودهم

فامر السلطان الثقل ان يرتفع حتى بقي الناس على ظهر فحصل للناس في ذلك
وهلاك من الناس مال كثير وجوايج لم ترم من السوقه لم يكن معهم ظهر
يحمل جميع ما عندهم لان الانسان كان يحمل ما يحتاج اليه في سنه وحال
واحد من السوقه عنده ما ينقله من منزل الى منزل في سراير متعدده
لان هذا النزل لم يمكن ان يتخلف منه احد لقربه من الفرنج الذين بحكا
والخوف منهم ولما ان علا النهار شرع العدو في المسير على جانب البحر وتعرفوا
قطعا ثلاثه كل قطعه تحمي بعضها وقوي السلطان رحمه الله عليه اليزك والمقدم
معظم العساكر فسيرها اليهم فصدموا ناوشوهم قتالا شديدا واخذ ذلك
الملك الافضل يخبره انه انقطع طايفه منهم عن الوقفه وقد لزمناهم بالقتال
حتى قد عادوا يطلبون خيامهم فلو نمدنا لاخذناهم فسير السلطان رحمه
الله طلبين عظيما من الحلقه وسار هو بنفسه حتى اتى اوايل الرمل وامر
الثقل ان يسير على الطريق الى الفيوم وسار هو وانا في خدمته حتى اتينا
اوايل الرمل فلقينا الملك العادل واخبر ان تلك الطايفه قد لحقت بالطايفه السلطان
الاولى ومعظم القوم قد عبروا نهر حيفا ونزلوا الباقون قد تحقوهم وبر
للمسير خلفهم حاصل الا انقاب الخيل وضياع الثقاب لا عبرتهم لحق السلطان

رحمه الله على القوم لما تحقق ذلك واسر طايفة من العسكر يسيرون مع الثقل
ليلحق ضعيفهم بقويهم وتخلف عنهم من يلحق بهم من العدو من الطاعة وسار
هو حتى وصل الى النطرون وانا في خدمته حتى اتى النطرون عصر ذلك النهار
فنزل وقد ضرب له الدهليز وسنقر ذابن جوله لا غير واستحضر الجماعة
واهلوا اشيا واستشارهم فيما يفعل

المنزل الثاني

فاستقر راي الجماعة على انهم يرحلون بكرة غد هذا الوقت من رحيل الفرنج يركبوا
يبيتون حوله يرقبون اثره ولما كان صباح الاثنين ثاني شعبان الركوب
السلطان رحمه الله عند الثقل والقام هو بنفسه يتطلب اخبار العدو فلم يصله
منها شي الى ان علا النهار فسار في اثر الثقل حتى اتى قرية يقال لها الصافية
مجلس ساعة يترقب اخبار العدو فلم يصله خبر وكان قد ترك علم الدين سليمان
بن جندر في منزلته بالامس وخلف جورديك بقرب العدو وبعث ظفا
غلطا بانه قريب العدو فلم يصله خبر اصلا فرحل الى الثقل وهو في منزل
يقال لها عيون الاساود ولما بلغنا المنزل رأى رحمه الله عليه خيمة السلطان
عتبا فقبل انه خيم الملك العادل فعدل اليه وسر بلغى ونزلنا
في خيمنا فاقام عنده ساعة ثم اتى خيمته وقعد الخبر من هذه المنزلة بالطيبة

وغلا الشعير حتى بلغ الربع درهما وبلغ البقسماط رطل بدرهمين ثم اقام
السلطان رحمه الله حتى عبر وقت الظهر ثم ركب وسار الى ... يسمى
الملاحة يكون منزلا للعدو اذا رحل من يافا وكان قد سبق ليتفقد
المكان وانه هل يصلح للمصاف ام لا ويتفقد اي شي يبادر به ما شرها
الى الشعرا وعاد الى المنزل بعد دخول وقت العشاء الاخرة وقد اخذ
منه التعب وانا في خدمته وسالته عما بلغه من خبر العدو فقال انه وصل
الينا من اخبرنا من اصحابنا انه ما رحل العدو من يافا الى عصر يومنا
هذا يعني يوم الاثنين ثاني شعبان وها نحن نترقب اخبارهم ونحن العمل
منقضيا وبات الليلة واصبح يوما ثاني الثلاثا ينتظر العدو ونادى بالبوق
بالعسكر العرض فركب الناس على ترتيب المصاف واهتمه وخرج جوانب
الخيم واصطفوا ميمنة وميسرة وقلبا وكان يحمد الله على ما يوتي اولياء
الاسلام ثم عاد الى خيمته وعاد الناس وقد علا النهار ونزل السلطان
رحمه الله عليه في خيمته ولحق نصيبا من الراحة بعد الغدا وتناول ما عرض
الامرا عنده واحضرا لهم فيما يسمعون ثم صلى الظهر وجلس يطلق اثمان
الخيول المجروحة وغيرها الى العشا الاخرة من مايه دينار الى مايه وخمسين دينارا

وما نصلها رايت انشرح صدره باسمه ولا انبسط وجها في اخصا وانفق الراي على
رحيل الثقل في عصر ذلك اليوم الى مجدليابا

المنزل الثالث

وكان نزول الثقل بمجدليابا بكرة واقام هو بالمنزل بجريده الى الصباح
ورحلوا الى جهة العدو فرحل الثقل من وقت العشا ولم يبق مع الناس
المقيمين مع السلطان الا اخف من الاثقال وبات في منزله الى الصباح
يوم الاربعا رابع شعبان سنة سبع وثمانين ثم ركب وسار الى لب
النهر الجاري الى قيسارية ونزل جريده هناك وبلغ القسطاط الى رطل
باربعة دراهم في تلك المنزله والشعير الربع بدرهمين ونصف والخبز لم
يوجد اصلا ونزل في خيمة قريبة صلاة الظهر واطلع خبرا وصلى الظهر
وركب الى طريق العدو لتجديد ارتياد في ضرب المصاف فلم يعد الى
ان دخل وقت العصر فجلس ساعة واحضر جزوا من الراحة ثم عاد رحمه الله وامر
الناس بالرحيل ورمي خيمة ورمي الناس خيامهم في اواخر نهار الاربعا
رابع شعبان سبع

المنزل الرابع

وكان الرحيل الى رابيه
متاخرة عن تلك الرابية لانها في المنزل ايضا فنزل هناك الثقل وعاد هو
من ركوبه رحمه الله بعيد المغرب وفي ذلك المنزل وفي تأتينا

الفرنج قد تخطفتهم اليزك من العدو فامر بضرب رقابهما فقتلا ونثر
الناس عليهما السيوف تشفيا ثم بات هناك واصبح مقيما بالمنزله
لانه لم يبلغه عن العدو رحيل وانفذ الى الثقل حتى يعود اليه في تلك الليله
ما طرى على الناس من الضيق في الماكل والعلف وهم في ذلك رحمه الله عليه
في وقت عادته وساروا الى جهة العدو واشرف على قيسارية وعاد
الى الثقل قريبا الظهر وقد وصله الخبر ان العدو لم يرحل بعد من اللاحه
واحضر عنده اثنان التقطا احدا من اطراف العدو فقتلا ايضا شر
قتلة وكان يجد في حق الفرنج لما جرا على اسرا عكا ثم احضر جزوا
من الراحة وجلس بعد صلاة الظهر وحضر عنده وقد احضر من يديه
من العدو فارس مقدم فاحد وهيئة تخبر عن انه متقدم فيهم فاحضر
ترجمان وبحث معه عن احوال القوم وساله كيف يسوى الطعام عندهم
فقال اول يوم رحلنا من عكا كان الانسان يشبع بستة قراطيس ثم اول السفر
وسيل عن سبب تاخرهم في المنازل فقال لانتظار وصول المراكب بالرجال
والميرة فسيل عن القتلى والجرحى في يوم رحيلهم فقال كثير فسيل عن الجمل
الذي هلك في ذلك اليوم فقال منه اربعة خيول فامر بضرب عنقه

وقاي عن القتل بعقال الترجمان عما قال السلطان رحمه الله فاخبره
بما قال فتغير تغيرا عظيما وقال انا الخاص لكم اسير من عسكركم فقال له
رحمه الله بل امير فقال لا اقدر على خلاص امير فشفع الطمع فيه
وحسن خلقته فاني ما رايت اتم خلقة فصفد وعاقبه على ما بدا منهم من
الغدر بقتل الاسرا فاعترف بانه قبيح والام بحو الابرحتى الملك رحمه
ثم ركب السلطان رحمه الله عليه بعد صلاة العصر على عادته هذا كله
في يوم الخميس خامس شعبان وبجران نزل السلطان رحمه الله امر بقتل
الفارس المذكور فقتل واتى بعد ذلك باثنين اخرين فقتلهما ايضا وبات في ذلك
المنزل تلك الليلة وذكر له في السحر ان العدو قد تحرك نحو قيسارية وقارب
او البلايم البلد فراى ان يتاخر بين طريق العدو منزلا اخر **المنزل**
الخامس فرحل بوجل الناس الى تل قريب من التل الذي كان عليه
فنزل الناس وضربت الخيام ومضى رحمه الله بزنا دالازاني الحابه
في طريق العدو لينظروا اليها اتفق المصاف ونزل قريب الظهر واستدعى
واستدعى اخاه الملك العادل وعلم الدين سليمان بن جندر واحرايها
فيما يصنع واحضر جوادا من الراحه واذن الظهر فصلى ثم ركب المنتوف

على العدو وتسيير اخباره واتاه اثنان من الفرنج وقد سلما فامر بقتلهما
فقتلا ثم اتى باثنين اخرين فقتلا ايضا وذلك في يوم الجمعة سادس شعبان
المذكور وجي في اواخر النهار باثنين فقتلا ايضا وكان دار الدولب اخر
النهار صلى المغرب فصلى وجلس على عادته واستدعى اخاه الملك
العادل رحمه الله وصرف الناس وخلا به الى هوى من الليل ثم بات واصبح
ينادي الجاوش اعرض الحلقة لا غير وركب الى جهة العدو ووقف على
تلول مشرفة على قيسارية وكان العدو قد وصل اليها واجتمع ولم
يزل يعرض هناك الى ان علا النهار ثم نزل وادخل الطعام وركب الى
الجنيب وعاد بعد صلاة الظهر واخذ حيرا من الراحه وجلس فينا
وصلى واتى باربعة عشر من الفرنج وامراة فرنجية بينهم اسيرة وهي
بنت فارس مذكور ومعها اسيرة مسلمة من احدها فاطلقت المسلمة
ورفع الباقون الى الزردخاناه وهو لا ابن منهم من يبرون اخذوا
في مراكب من جملة عدد كثير فلوجل ذلك في نهار السبت سابع شعبان
وهو في المنزل المذكور ينظر رحيل العدو والتحول مجمعا على الغابة اذا رحل
المنزل السادس ولما كان صبيحة يوم الاحد الثامن من شعبان

سنة سبع ركب السلطان رحمه الله عليه على عادته ثم نزل ووصل
من اخبر ان العدو على حركة وكانت الاطلاب قد باتت حول
قيسارية في مواضعها فامر بمد الطعام واطعم الناس فوصل ثان
واخبر ان القوم قد ساروا فامر بالكوس فدق وركب رحمه الله
وركب الناس معه وسار وسرت في خدمته حتى اتى عسكر العدو وحف
الاطلاب حوله وامرهم بقتالهم واخرج الجاليشية وكان النشاب منهم
كالمطر وكان عسكر العدو المخذول قد ترتب فكانت الرجالة حوله كالسور
وعليهم الكبور الثخينة والزرديات السابغة المحكمة بحيث يقع فيهم النشاب
ولا ينالهم وهم يرمون بالزنبورك فيجرح خيول المسلمين ورجالهم
ولقد شاهدتهم ويغرز في ظهر الواحد منهم النشابة والعشرة وهو
يسير على هيئته من غير انزعاج وثم قسم اخر من الرجالة مستريح يمشون
على جانب البحر ولا قتال عليهم فاذا تعب هؤلاء المقاتلة او اثخنتهم الجراح
قام مقامهم القسم المستريح واستراح القسم الكال هذا والخيالة في وسطهم لا
يخرجون عن الرجالة الا في وقت الحملة لا غير وقد انقسموا ايضا ثلثة اقسام
الاول الملك الغنبوش جفري وجماعة الساحلية معه في المقدمة والانكتار والفرنسيسية

تحت في الوسط واولاد الست اصحاب طبرية وطايفة اخرى في الساقة
وفي وسط القوم برج على عجلة وعليه علم على ما وصفته من قبل يسير ايضا
في وسطهم على عجلة كالمنارة العظيمة هذا ترتيب القوم على ما شاهدته
واخبرني به من خرج منهم من الاسرى والمستامنين وساروا على هذا
المثال وسوق الحرب قايمة بين الطايفتين والمسلمون يرمونهم من جوانبهم
بالنشاب ويحركونهم عن اعبائهم حتى يخرجوا وهم يحفظون انفسهم حفظا
عظيما ويقطعون الطريق على هذا الوضع ويسيرون سيرا رفيقا ومراكبهم
تسير في مقابلتهم في البحر الى ان اتوا المنزل ونزلوا وكانت منازلهم قريبة
لاجل الرجالة فان المستريح منهم كانوا يحملون اثقالهم وخيامهم لقلة الظهر
عليهم فانظر الى صبر هؤلاء القوم على الاعمال الشاقة من غير ديوان ولا
نفع وكان منزلهم قاطع نهر قيسارية يسر الله فتحها

المنزل السابع

ولما كانت صبيحة الاثنين التاسع من شعبان سنة سبع وثمانين وخمسماية وصل
من اخبر ان العدو قد ترك سايرا فركب السلطان رحمه الله على اوان الصبح
ورتب الاطلاب واخرج من كل طلب جاليشا وسار يطلب القوم فاتاهم
وهم سايرون على عادتهم ثلثة اقسام وطاف الجاليش حولهم من كل جانب ورماهم

بالنشاب وهم سايرون على الحال الذي حكيته وهذا اضعف قسم عاوده
الذي يليه وهم يحفظ بعضهم بعضا والمسلمون يحدقون بهم من ثلثة
جوانب والقتال عليهم شديد والسلطان رحمه الله يقرب الاطلاب
ويدانيه وهو يسير بنفسه بين الطلب والنشاب القوم يتجاوزه وليس
معه الا صبيان جنيبين لا غير وهو يسير من طلب الى طلب يحثهم على
التقدم ويأمرهم بمضايقة القوم ومقاتلتهم والكوسات تخفق والبوقات
تنعق والصياح بالتهليل والتكبير يرتفع هذا والقوم على اثبات على سيرهم
لا يتغيرون ولا ينزعجون وجرت حملات كثيرة ورجالهم تجرح المسلمين
وخيولهم بالزنبورك والنشاب ولم يزل الناس حولهم يقاتلونهم من كل جانب
ويحملون عليهم وهم يتكردسون بين ايديهم ثم يحملون عليهم الى ان اتوا الى نهر
يقال له نهر القصب فنزلوا عليه وقد قام قايم الظهيرة وضربوا خيامهم
وتراجع الناس عنهم فانهم كانوا اذا نزلوا ايس الناس من اسرتهم منهم
ورجوعهم عن قتالهم وفي ذلك اليوم قتل من فرسان الاسلام ومجاهديه اياز
الطويل بعض مماليك السلطان رحمة الله عليه وكان قد قتل فيهم وقتل خلقا
عظيما من خيالتهم وشجعانهم وكانت فيه استفاضت شجاعته بين العسكر

تحت الجرح لاوقعات كثيرة صدقت اخبار الاوائل وصار يحدث
اذا عرفه الا الفرنج في موضع لحافر عنه نعطوه فرسه فاستشهد
ذلك اليوم ودفن على تل مشرف على البركة وحزن المسلمون عليه حزنا
عظيما وقتل عليه مملوك له ونزل السلطان بالثقل على البركة وهو موضع
تجتمع فيه مياه كثيرة واقام رحمه الله عليه في تلك المنزلة الى آخر صلاة
العصر ليطعم الناس خبزا واستراحوا ساعة ثم رحل بعد صلاة العصر
واتى نهر القصب ونزل عليه ايضا وكنا نشرب من اعلاه والعدو يشرب
من اسفله ليس بيننا الا مسافة يسيرة وبلغ الشعير في هذه المنزلة الربع
باربعة دراهم والخبز موجود كثيرا وسعره رطل بنصف درهم واقام ينتظر
رحيل الفرنج حتى يرحل في مقابلتهم وباتوا تلك الليلة هناك وبتنا ايضا

ذكر وقعة جرت وذلك ان جماعة من الاسلاميين كانوا العسكر
يتشرفون على العدو فصادفوا جماعة منهم عبر مسلحين يتشرفون ايضا
على العسكر الاسلامي وظفروا بهم وهجموا عليهم وجرى بينهم قتال عظيم وقتل
من العدو جماعة واحتس بهم عسكر العدو فثار اليهم منهم جماعة واتصل الحرب
وقتل من المسلمين اثنان واسر من العدو ثلثة ومثلوا بحضرته رحمه الله عليه

بها

فسألهم عن الاحوال فاخبروا ان تلك الاخبار كان قد حضر عنه اثنان
بدويان وانهما اخبراه بقلة عدد الجند الاسلامي وتشذبه وان ذلك
هو الذي اطمعه حتى خرج وانه لما كان بالامس حتى يوم الاثنين راى من المسلمين
قتالا عظيما واستكثر الاطلاب وانه جرح استشرها الفرنسيس وقتل
جماعة وان ذلك هو الذي اوجب اقامته اليوم حتى يسترجع عسكره وانه
لما راى ما اصابهم الامس من القتال العظيم وراى اثر المسلمين احضر
البدويين عنده واوقفهما وضرب اعناقهما واقمنا في ذلك اليوم في تلك
المنزلة لاقامة العدو بها وهو يوم الثلاثاء العاشر من شعبان سنة سبع وثمانين
وخمسمائة **المنزل الثامن** ولما كان ظهر نهار الثلاثاء المذكور راى
السلطان رحمه الله الرحيل والتقدم الى قدام العدو فسبق الكوس ورحل
الناس ودخل في شعرا ارسوف حتى توسطها الى ان نزل قريبا يسمى دير
الراهب فنزل هنالك ودهم الناس الليل فتقطعوا في الشعراء واصبح مقيما
ينتظر بقية العساكر الى صباح الاربعاء الحادي عشر من شعبان المذكور
وتلاحقت العساكر الاسلامية ورتب يرتاد موضعا يصلح للقتال وللقاء
العدو واقام ذلك اليوم اجمع هنالك ومن اخبار العدو في ذلك اليوم انه اقام

على نهر القصب في ذلك اليوم ايضا وانه يحمله بحر من عكا في ثماني بطس
بار وبرك الاسلام حوله يواصلون بالاخبار المتجددة لهم وجرى بين
اليزك وبين حشاشة العدو قتال وجرح فرا الطائفتين **ذكر مراسلة**
جرت في ذلك اليوم وذلك ان العدو المخذول طلب اليزك من تحدث
معه وكان مقدم اليزك علم الدين سليمان بن جندر فانها كانت نوبته فلما
مضى اليهم يسمع كلامهم كان كلامهم طلب الملك العادل حتى يتحدثوا معه فاستاذن
ومضى وبات تلك الليلة في اليزك اعني ليلة الخميس يتحدثوا معه وكان حاصل
حديثهم انا قد طال بيننا القتال وانه قد قتل من الجانبين الرجال الابطال
وانا نحن جئنا في نصرة فرنج الساحل فاصطلحوا انتم وهم وكل منا يرجع الى
مكانه وكتب الى السلطان رحمه الله على يد الجنيبة الملك العادل رحمه الله في
صبيحة يوم الخميس الثاني عشر من شعبان من سنة سبع وثمانين يقول له فيها ان
قد رأيت ان تطاول الفرنج في الحديث فلعلهم يقيمون اليوم حتى يلحقنا
التركمان فانهم قد قربوا الينا وفي ذلك اليوم اجتمع الملك العادل بالانكتار
الملعون وكان الترجمان بينهما ابن الهنفري **ذكر اجتماع الملك العادل بالانكتار**
ولما طلبوا الملك العادل رحمه الله اذن له رحمه الله على يدي البيهم فسار حتى

الى الرمل والمعروف الانكتار ووصوله الى الرمل طلب الاجتماع به فاجابه
الى ذلك واجتمعا بجمع من اصحابهما وكان يترجم بينهما ابن الهنفري وهو
من ملوك الساحل من بلادهم ورايته يوم الصلح وهو شاب حسن لكنه حليق
اللحية على ما هو شعارهم وكان الحديث الجاري بينهما ان الانكتار شرع
في ذكر الصلح وان الملك العادل قال له انتم تطلبون الصلح ولا تذكرون مطلوبكم
فيه حتى اتوسط انا الحال مع السلطان فقال الانكتار القاعدة ان تعود البلاد
كلها الينا وتنصرفون الى بلادكم فخشن له الجواب وجرت منافرة انفصلا بها
رحلوا بعد انفصالهما ولما احس السلطان رحمه الله برحيلهم امر الثقل بالرحيل
وتقدم عليهم امير اخور اسلم ووقف هو وعبا الناس تعبية القتال ووقف
ينتظر ما يرد اليه من اخبار العدو وسار الثقل الصغير ايضا حتى قارب الثقل
الكبير ثم ورد امر السلطان رحمه الله بعودهم اليه فعادوا ووصلوا وقد دخل
الليل وتخبط الناس في تلك الليلة تخبطا عظيما واستدعاه الملك العادل
ليعرفه ما جرى بينه وبين الملك خلا به الى ان ذهب ربع ليلة الجمعة ثالث
عشر شعبان من سنة سبع وثمانين وخمسمائة واما العدو فانه سار ونزل
على موضع يسمى البركة ايضا مشرف على البحر واصبح السلطان رحمه الله طلب

[illegible]

١٤٧

الاطلاب في مكانه منتظرا الى اخبار العدو فاحضر عنده اثنان
من الفرنج قد تخطفتهما العرب فامر بضرب اعناقهما فقتلا ووصل من اخبر
ان العدو لم يرحل اليوم من منزلته تلك فنزل السلطان رحمه الله عليه
في تلك المنزلة ايضا واجتمع باخيه الملك العادل رحمه الله يتحدثان في هذا
الامر وما يصنع مع العدو المخذول وبات الليلة في تلك المنزلة

ذكر وقعة ارسوف وهي التي اثخنت في قلوب المسلمين

ولما كان يوم السبت رابع عشر شعبان سنة سبع وثمانين وخمسمائة بلغ
السلطان رحمه الله علمه ان العدو قد تحرك للرحيل نحو ارسوف فركب ورتب
الاطلاب للقتال وعزم في ذلك اليوم على مصادمة القوم ومصادمتهم واخرج
رحمه الله عليه الجاليش من كل طلب وسار العدو حتى قارب شعرا ارسوف
وبقربها اطلق عليهم الجاليش النشاب ولزمهم الاطلاب من كل جانب
والسلطان رحمه الله عليه يقرب الاطلاب ويوقف بعضها ليكونوا
ردءا وضايق العدو مضايقة عظيمة والتحم القتال واضطرم نار
من كل جانب وقتل منهم وجرح واسندوا في السير عساهم يبلغون المنزلة
فيرتاحون واشتد بهم الامر وضاق بهم الخناق والسلطان رحمه الله عليه

يطوف بين الميمنة والميسرة يحث الناس على الجهاد ولقد رأيته مرارا وليس معه
الا صبيان يجنبان جنيبين لا غير ولقيت اخاه وهو على مثل تلك الحال والنشاب
يتجاوزهما رحمة الله عليهما ولم يزل الامر يشتد عليهم والعدو وطمع المسلمون
فيهم طمعا عظيما حتى وصل اوائل راجلهم الى بستانين ارسوف ثم اجتمعت
الخيالة وتواضعوا على الحملة خشية على القوم ورأوا انهم لا ينجيهم الا الحملة
ولقد رأيتهم وقد اجتمعوا في وسط الرجالة واخذوا رماحهم وصاحوا
صيحة الرجل الواحد وفرج لهم الرجالة وحملوا حملة واحدة من الجوانب
كلها فحملت طائفة على الميمنة وطائفة على الميسرة وطائفة على القلب فاندفع
الناس بين ايديهم واتفق اني كنت في القلب فهرب القلب فرارا عظيما فنويت
التحيز الى الميسرة وكانت اقرب الي فوصلتها وقد انكسرت كسرة عظيمة
فنويت التحيز الى الميمنة فرأيتها وقد فرت اشد فرارا من الكل فنويت
التحيز الى طلب السلطان رحمه الله وكان ردا للاطلاب كلها كما جرت
العادة فأتيته ولم يبق السلطان عنده الا سبعة عشر مقاتلا لا غير
واخذ الباقون في القتال حتى الاعلام باقية والكوس يدق لا يفتر ولما
السلطان رحمه الله عليه فانه لما رأى ما نزل بالمسلمين من هذه النازلة سار

حتى اتى طلبه فوجد فيه هذا النفر القليل فوقف فيهم والناس يتسللون
من الجوانب وهو يأمر اصحاب الكوس بالدق بحيث لا يفترون فلما
رآه فاروا الناس من كل جهة عنده وفي الحملة ما انتصر المسلمون في فرارهم فان
العدو حمل حملة فنفروا ثم وقف خوفا من الكمين فوقفوا وقاتلوا ثم حمل
حملة ثانية فنفروا وهم مقاتلون في فرارهم ثم وقف ووقفوا ثم حمل حملة
ثالثة حتى بلغ الى روس روابي هناك وتلاعلي تلول فنفروا الى الموقف العدو
ووقفوا وكان من رأى طلب السلطان واهله والكوس يدق تشجع ان
يجاوزه وخاف غائلة ذلك فعادوا الى الطلب فاجتمع في الطلب خلق عظيم
ووقف العدو قبالتهم على روس التلول والروابي والسلطان رحمه الله واقف
في طلبه والناس يجتمعون اليه حتى ثاب العساكر باسرها وخاف العدو ان
يكون في الشعرا كمين فتراجعوا يطلبون المنزلة وعاد السلطان رحمه
الله عليه الى تل في اوائل الشعرا ونزل عليه في خيمة ولقد كنت في خدمته
رحمه الله عليه استظله وهو لا يقبل الظل وطال عليه ... وسألناه ان
يطعم شي من الطعام فاحضر له شي لطيف فتناول منه شيئا يسيرا وبعث
الناس يجمعونهم الى السقي فان الماء كان بعيدا منهم وجلس ينظر من الجرحى

من المرضى والجرحى يحضرون بين يديه وهو ينفق فيهم ما يداويهم وحملهم
وقتل في ذلك اليوم رجال لهم وجرح جماعة من الطواشية وكان
من نُبِّت الملك العادل رحمة الله عليه والطواشي قايماز النجمي والملك الافضل
وابن صرم في ذلك وانفتح دمامل في وجهه وسال منه دم كثير على وجهه
وهو صابر محتسب في ذلك كله رحمة الله عليه وثبت ذلك اليوم طلب الموصل
وقتل منه علاء الدين وشكره السلطان على ذلك وتفقد الناس بعضهم بعضا
فوجدوا قد استشهد جماعة من العسكر عرف منهم امير شكار سوسك
وكان رجلا شجاعا معروفا وقايماز العادلي وكان مذكورا وابعوش
وكان شجاعا اسف السلطان رحمة الله عليه عليه وجرح خلق كثير وخيول
كثيرة وقتل من العدو جماعة واسر واحد واحضر فامر رحمه الله بضرب عنقه
فصل واحد منهم خيول الزنج وكان قد تقدم رحمه الله الى الثقل ان
يسير الى العوجا وذكر ان المنزل يكون على العوجا فاستاذنته وتقدمته
الى المنزل حتى هو رحمه الله ينتظر اجتماع العساكر وما يرد من
اخبار العدو وكان العدو قد نزل على ارسوف قبلها

المنزل التاسع

ن وسرنا بعد صلوة الظهر حتى اتينا الثقل وقد نزل

على النهر المعروف بالعوجا في منزل اخضر وطيبه فضرب على جانب النهر
ووصل السلطان رحمه الله الى المنزل اواخر النهار وازدحم الناس
على القنطرة ونزل على مشرف على النهر ولم يعبر الى الجهة وامر الجاويش
ان ينادي في العسكر بالعبور اليه وكان في قلبه من الوقعة امر لا يعلمه الا الله
تعالى والناس من ضجر الخيل وجرح القلب وما نام السلطان رحمة الله عليه
الى صبح ليلة الاحد الثاني عشر من شعبان سنة سبع وثمانين وخمسمائه
ودق الكوس وركب العسكر وسار الجاليش الى جهة العدو حتى وصل الى
قريب من ارسوف فعمل بعض الاطلاب القتال رجا خروج العدو ويتبعه
حتى يصادمه فلم يرحل العدو في ذلك اليوم لما نالهم من التعب والجراح فاقام
رحمة الله عليه قبالتهم الى آخر النهار وعاد الى منزلته التي بات بها فبات بها
ليلة الاثنين الثالث عشر ولما كانت صبيحة الاثنين دق الكوس وركب
وركب الناس وسار نحوهم ووصل خبر العدو وقد رحل طالبا جهة
يافا فقاربهم رحمة الله عليه مقاربة عظيمة ورتب الاطلاب ترتيب
القتال واخرج الجاليش واحدق العسكر الاسلامي بالقوم والقوا عليهم
من النشاب ما كاد ان يسد الافق وقاتلوهم قتال الحنق وقصد رحمه

الله عليه يحرّك عزماتهم على الحملة حتى اذا حملوا القى الناس عليهم وعطى
الله النصر للمسلمين فلم يحملوا وحفظوا نفوسهم وساروا مصطفين على عادتهم
حتى اتوا نهر العوجا وهو النهر الذي نزل لنا الغلاه فنزلوا على الشط وعبر
بعضهم النهر واقام الباقون من الجانب الشرقي ولما علم بنزولهم تراجع
الناس عنهم وعاد السلطان الى الثقل فنزل رحمة الله عليه في خيمته وطعم
الطعام واتى باربعة من الفرنج فلما احضرهم الحرب ومعهم اسراه فرفعوا
الى الزردخاناه واقام بقية اليوم في ذلك المنزل يجتني الاخبار الاطراف
باستحضار نقيب الخاندار وحضر من اخبره انه قتل من العدو يوم ارسوف
خيل كثيرة وانه تبعها الحرب وعدوها فزادت على مائة وجرح ابطال
من المسلمين خيل كثيرة وامر السلطان رحمه الله عليه ان يرحلت الجمال والثقل
الى الرملة وبات بها وبات هو رحمه الله عليه في ذلك المنزل

المنزل العاشر

ولما كان يوم الثلثا سابع عشر شعبان سنة سبع وثمانين
وخمسمائة بعد صلاة الصبح رحمه الله عليه ورحل ورحل مع الثقل الصغير وسار
يريد الرملة واتى باثنين من الفرنج فامر بضرب اعناقهما ووصل من اليزك
الاسلامي من اخبر ان العدو رحل يريد يافا وسار السلطان رحمه الله الى ان

الى الرملة ونزل في الثقل الكبير وادني اثنين من الفرنج ايضا فسألهم عن
حال القوم فذكروا انهم عزموا ان يقيموا بيافا اياما وفي انفسهم عمارتها واشحانها
بالرجال والعدد واحضر السلطان رحمه الله عليه ارباب مشورته وشاورهم
في امر عسقلان وانه هل يخربها ام يبقي واتفق الراي على ان يتخلف الملك
العادل ومعه طائفة من العسكر قريبا من العدو ليخرق اخباره واتصالها
وان يسير هو رحمه الله ليخرب عسقلان خشية من ان يستولي عليها الفرنج
وهي عامرة ويتسلمونها بما فيها من المسلمين ويأخذوا بها القدس الشريف شرفه
الله فتحه وينقطعوا بها طريق مصر المحروسة وخشي السلطان من ذلك وعلم
عجز المسلمين عن حفظها لقرب عهدهم من عكا وما جرى على من كان
مقيما بها وتجافى الناس عن الدخول في عسقلان وادخرت القوى في
عند الاسلام لحفظ القدس المحروس فتعين اذا ذاك خراب عسقلان
فحنا بالثقل الجمالي من اول الليل وتقدم رحمه الله الى ولده الملك الافضل ان
سار عقيب الثقل نصف الليل وسار هو رحمه الله عليه وانا في خدمته
صحوة يوم الاثنين

المنزل الحادي عشر وهو على عسقلان

ولما كان يوم الاربعا ثامن عشر شعبان سنة سبع وثمانين وخمسمايه

ووصل السلطان رحمه الله الى يبنا فنزل بها وفيها اخذ الناس راجلهم وراجل
رحمه الله عنها وسار حتى اتى ارض عسقلان بعد صلاة العصر ونزل
ضربت خيمته بعيدا منها فنام السلطان في ارض خيمته وحسب فبات هناك
مهموما بسبب خراب عسقلان وما نام تلك الليلة الا قليلا ولقد دعاني
الى الخدمة سحرا وقال احضر عنده بعد مضي نصف الليل فحضرت
وبدأ بالحديث في معنى خرابها واحضر ولده الملك الافضل وشاورني
في ذلك وانا في خدمته وطال الحديث في المعنى ولقد قال لي رحمه الله
والله لان افقد اولادي كلهم احب الي من ان اهدم منها حجرا واحدا ولكن
اذا قضى الله بذلك وعينته لحفظ مصلحة المسلمين طريقا فكيف اصنع ذكر

خراب عسقلان

ثم استخار الله تعالى فاوقع الله في نفسه ان
المصلحة في خرابها لعجز المسلمين عن حفظها عن الفرنج فاستحضر الوالي بها
قايماز وهو من كبار مماليكه وذوي الآراء منهم فامره ان يضع فيها
المعول وذلك في سحر ليلة الخميس التاسع عشر من شعبان سنة سبع
وثمانين وخمسماية واعتز ذاتيه وقد احتاز بالسوق والوطاق ينفذ
يستنفر الناس للخراب وقسم الناس وجعل لكل امير وطايفة من العسكر

السور على

بدنة يعلمونه وبرجا معلوما يخربونه ودخل الناس البلد ووقع فيهم
الضجيج والبكاء وكان بلدا نضرا خفيفا على القلب محكم الاسوار عظيم
البنا مرغوبا في سكناه فلحق الناس عليه حزن عظيم وعظم عويل اهله
وبكاؤهم على مفارقة اوطانهم وشرعوا في بيع ما لا يقدرون على حمله وبيع ما
يساوي عشرة دراهم بدرهم واحد وباع الناس اقفاصهم بالثمن البخس
حتى بيع اثنا عشر طيرا من الدجاج بدرهم واحد واختبط البلد وخرج
اهله الى العسكر المنصور بأولادهم ونسائهم خشية ان يهجم الفرنج البلد
وبذلوا في الكرى اضعاف ما يساوي فقوم الى مصر وقوم الى الشام وقوم
يمشون اذ لم يتهيأ لهم كرى وجرى امور عظيمة وفتنة كما بلغه احاطها لم يحصل
بالذين ظلموا وكان هو بنفسه وولده الملك الافضل يستعجلان الناس في الخراب
والحث عليه خشية ان يسمع العدو فيحضر ولا يمكن من خرابها وبات الناس
في الخيم على اتم حال من التعب والنصب وفي تلك الليلة وصل من جانب الملك العادل
من اخبر ان الفرنج تحدثوا معه في الصلح وانه خرج الى الفرنج فتحدث
معه في المعنى واطلب جميع البلاد الساحلية فرأى السلطان رحمه الله
ان ذلك مصلحة لما رأى في نفوس الناس من الضجر والسآمة من القتال والمصابرة

ولكن بما علاهم من الدخان ولهب النار سحق له في الحريق في ذلك فعوض
امر ذلك الى الله واصبح يوم الجمعة العشرين من شعبان على الاصرار
من الخراب واستعمال الناس فيه وحثهم عليه واباحهم الحجر الذي كان
ذخيرة في البلد للعجز عن نقله وضيق الوقت والخوف من هجوم الفرنج وامر
بحريق البلد فاضرمت النار في بيوته وادوره فاضطرمت النار فيه
ورفض اهله بواقي اقمشتهم للعجز عن نقلها والاخبار تتواتر من
جانب العدو بجاره بيافا ووصل الملك العادل ان سوف القوم وطول
الحديث معهم لعلنا نتدارك خراب البلد وامر بحشو ابراج البلد بالحطب
وان تحرق واصبح يوم السبت الحادي والعشرين ركب رحمه الله عليه
يحث الناس على الخراب والحريق ودام على ذلك يشغل الناس في التخريب
ويطوف عليهم بنفسه يحثهم على ذلك حتى ذلك حتى الناس مراحيد البنا ما
فوتا امتنع بشبهه من الاوسع الغرابوسين واخبار العدو تتواصل
اليه في كل وقت ويجري بينهم وبين الملك العادل والملك الفرنسي فعاني وغلبات
والاخبار تتواصل البنا وهو يواظب على الحث ونقل الثقل الى قريب البلد
لبعا ونوا الغلمان والسادات وغيرهم في ذلك محوطين السور منطقه وكان

على الخراب

عليهم البنا بحيث انه كان عرضه في مواضع تسعة اذرع وفي موضع
عشرة اذرع وذكر بعض الحجارين للسلطان رحمه الله وانا حاضر ان
عرض البرج الذي ينقبون فيه مقدار رمح ولم يزل الخراب والحريق
يعمل في البلد واسواره الى سلخ شعبان المذكور وعند ذلك وصل من جرديك
كتاب يذكر فيه ان القوم تنحوا وصاروا يخرجون من يافا ويغيرون
على البلاد القريبة منها فلو تحرك السلطان لعله تبلغ منهم غرضا
في غنيمتهم فعزم على الرحيل وعلى ان يخلف في عسقلان حجارين ومعهم
خيل يحميهم مستنقصون في الخراب فرأى ان يتأخر حتى تحرق البرج
المعروف بالاسبتار وكان برجا عظيما مشرفا على البحر كالقلعة المنيعة
ولقد دخلته وطفته ورأيت بناه احكم بنا يمكن ان يكون لا يعمل فيه المعاول
وانما اراد ان يحرقه حتى ينفتق بالحريق فيلان للمعاول ويعمل الهدم فيه
واصبح يوم الاثنين مستهل رمضان سنة سبع وثمانين وخمسمائة امر
ولده الملك الافضل ان يباشر ذلك بنفسه وخواصه ولقد رايته يحمل
الخشب هو وخواصه لحريق البرج ولم يزل الناس ينقلون الخشب
ويحشونه في البرج حتى امتلأ واطلقت فيه النار فاشتعل الخشب

وبقي النار تشتعل فيه يومين بليلتيهما ولم يركب السلطان رحمه الله عليهم
في ذلك اليوم لتغير المزاج وعرض لي ايضا انحراف مزاج اقتضى
انقطاعي عنه في ذلك اليوم ولقد تردد الي من يتعرف خبري عنه
ثلث مرات مع اشتغال قلبه رحمه الله بذلك المهم فالله تعالى يرحمه
فلقد كانت محاسن الاخلاق متممة به رحمه الله

ذكر نزوله بيبنا

ورحل ليلة الثلثاء وهي ليلة الثلث ثاني رمضان من سنة سبع وثمانين وخمسماية
وكان رحيله نصف الليل خشية على مزاجه من الحر وصلينا الصبح ورحلنا
ووصل هو رحمه الله تعالى يبنا ضاحي نهار الثلث وبدا فنزل في خيمة اخيه
الملك العادل واشتغل معه باخبارهم ساعة ثم ركب ونزل في خيمته وبات
تلك الليلة في تلك المنزلة

ذكر رحيله الى الرملة

واصبح في يوم الاربعا ثالث رمضان سنة سبع وثمانين وخمسماية راحلا الى جهة
الرملة فحضرنا حتى اتاها ضاحي نهار ونزل بالثقل الكبير هناك بنزول الناس
وركب الحمل ميمنة وميسرة وقلبا واطعم الناس الطعام ثم اخذوا في
الرحيل ثم صلوا الظهر والعصر وسار الى اللد فاتاها واشرف عليها وعلم انه
امر بخرابها وخراب قلعة الرملة ووقع الخراب في الموضعين في ذلك اليوم

وفرق الناس فرقا لتخريب الحصن والباقون من النقب والتحجير
في الاهرا السلطانيه واكثر من كان فيهما من المقيمين بها الى الانتقال
الى المواضع العامرة وماكان يبقى في الحصن الاقوت يسير وظل الناس
يخربون الى ان امسى المسا ثم عاد الى خيمته واصبح يوم الخميس رابع
رمضان واقام المخربين في الحصن ورتب عليهم من يستحثهم في ذلك
وهو يتردد اليهم في الاصايل حتى جاء وقت المغرب فمد الطعام وافطر
الناس وانفصلوا الى خيامهم ووقع له ان يسير خفية في نفر يسير
يشاهد احوال القدس الشريف عمره الله كما كان فسار من اول الليل حتى
ان نبت نوبه فبات فيها حتى اتى الصباح وصلى وسار حتى اتى القدس
الشريف حرسه الله تعالى في يوم الجمعة خامس رمضان المذكور وخلف
اخاه الملك العادل رحمه الله في العسكر تحث الناس على الخراب وصلى الجمعه
واقام ذلك اليوم يتصفح احوال القدس في عمارته وميرته وعدته ورجاله
وغير ذلك وظفر في ذلك اليوم غلمان الطواشي قايماز النجمي بالنصارى
ومعهم كتب قد كتبها الوالي الى السلطان فربهم التاج بذلك بها العواز
السلام الحلف والعدد والرجال اراد وجهها الى العدو فوقف على الكتب وضرب

نفار من كان معهم وما زال يتصفح احوال الحصار وينا من يسد خلله
الى يوم الاثنين ثاني رمضان ولما كان يوم الاثنين خرج شاليش العسكر
بعد صلاة الظهر فبات في بيت نوبه وفي هذا اليوم وصل نور الدين
قيسر شاه صاحب ملطيه ابن قليج ارسلان وافدا اليه مستنصرا به
على اخوته وابيه فانهم كانوا يقصدون اخذ بلاده منه فلقيه الملك
العادل رحمه الله قاطع اربد واحترموا واكرموا ثم لقيه تاج ولد السلطان
الملك الافضل وضربت خيمته قريبا من اربد وفي ذلك اليوم خرج من العدو
حشاشه فحمل عليهم اليزك ووصل الخبر الى عسكرهم فخرج في نصرتهم
خياله وجرى بينهم وبين اليزك قتال وذكر بعض الاسرى انه كان معهم
الانكتار وان سهما قصده فطعنه فجاء ارتيه وشده ثم نجى فسل الفرنجي
وجرح هو هكذا ذكر والله اعلم

ذكر عوده الى العسكر رحمه الله

ثم ولما كان يوم الثلث تاسع رمضان سنه ثمان وثمانين
وصل رحمه الله الى العسكر ولقيه الناس مستبشرين بقدومه والعيش وقلع اسلاب
ونزل له واحترموه واكرموه ونزل في خيمته رحمه الله عليه والتام الحث على
الخراب وتواصل اخبار العدو اليه ويقع بينهم وبين اليزك دفعات وتفرق
العرب من خيولهم وبغالهم ورحالهم

ذكر وصول الراكب

وفي غضون ذلك وصل رسول من الراهب يذكر انه يصالح الاسلام بشرط
ان يعطي صيدا وبيروت على ان يجاهر الفرنج بالعداوة ويقصد عكا
ويحاصرها ويأخذها واشترط ان يبذل له السلطان رحمه الله عليه اليمين على
ذلك ابدا فسير اليه العدل النجيب وحمل الاجابه الى ملتمسه ليقصد فصله
عن الفرنج فانه كان حسنا ملعونا وكان قد استشعر منهم اضطراب وهم
صنور منه فانحاز عنهم واستعصم بصور وهي منيعة فقبل ذلك القول منه
بهذا السبب وسار النجيب الصالح رسوله في يوم الجمعه ثاني عشر رمضان
من السنه المذكورة واشترط عليه ان يبدا بمجاهرة القوم وحصار عكا
واخذها واطلاق من بها في صور من الاسارى وعند ذلك يسلم الله
الموضعان وفي عشيه ذلك اليوم خرج رسول الاختيار الى الملك العادل
في تحريك سلسلة الحديث في الصلح

ذكر رحيل السلطان من الرمله رحمه الله

ولما كان يوم السبت الثالث عشر من رمضان سنه سبع وثمانين وخمسمايه
راى السلطان رحمه الله عليه ان يتأخر بالعسكر الى الجبل لينزل الناس من تقاد
دوابهم الى العلوفه فاتاها على الرمله فرس من العدو وماشي في النفوط في

الدواب خشية المهاجمة فرحل رحمة الله عليه ونزل على تل متصل بجبل
النطرون بالثقل الكبير وجمع العساكر اعدا البرك على العادة وذلك بعد
خراب الرملة واللد ولما نزل هناك في ذلك اليوم ذكر رحيل النطرون وامر
بتخريبها وكانت قلعة منيعة حصينة من القلاع المذكورة فشرع في
خرابه وترددت الرسل بين الملك العادل والانكتار يذكرون عنه انه قد
سئم من الصلح الى الملك العادل واخلد اليه وخرج منه عشرة اتفق اليها الى
البرك فاخبروه باخبار طيبة انهاها الى السلطان رحمة الله عليه في عشية
الاربعا سابع عشر رمضان من سنة سبع وثمانين وخمسماية **ذكر**
موت الابرنس وكان مما اخبر به الملك العادل ان ملك الابرنس
مات وكان موته في انطاكية عن مرض عرض له وان الانكتار عاد الى عكا
وكان سبب عوده الى عكا انه بلغه عنه مراسلة المركيس السلطان رحمه
الله عليه وبلغه ان المركيس قد انتظم الحال بينهما وبينه وانه قد استعرف
القاعدين على عكا فعاد هو الى عكا ليفسخ هذه المصالحة واستخرج
المراسل البديع لقيام الملك العادل في البرك ورحل السلطان رحمه الله يوم
الخميس الثامن عشر من الشهر وسار السلطان رحمة الله عليه الى البرك اجتمع

ما جرى للملك العادل في ذلك وسأل منه الاخبار وعاد الى المخيم وقت العصر
وان ياس من الفرنج قد خططها البرك فاخبر بصحة موت الابرنس
وعود الانكتار الى عكا **ذكر مسير الملك العادل الى القدس**
الشريف يسر الله خلاصه وصول خبر وفاة قزل بن ايلدكز
ولما كان يوم الجمعة التاسع عشر من رمضان سنة سبع وثمانين وخمسماية
اقتضى الحال تفقد احوال القدس والنظر في عمايره وكان الملك العادل
قد تقدم من البرك وعلم بعد مقامه من الفرنج عن ما اقترب ان يكون هو الذي
يسير الى القدس ويتفقد احواله فسار في ذلك لهذا الغرض وفي تاريخ
هذا اليوم وصل كتاب من الملك المظفر تقي الدين رحمه الله يخبر فيه ان
قزل صاحب ديار العجم ابن ايلدكز قد قتل عليه في فراشه فقتلوه وقيل ان
ذلك كان من تحت يد زوجته تعصبا للسلطان طغرل وجرى بسبب قتله
في بلاد العجم خبط عظيم وكان قتله على ما بلغنا في اوايل شعبان سنة سبع
وثمانين وخمسماية والله تعالى اعلم **ذكر عود الملك العادل رحمه**
الله الى القدس الشريف ولما كان يوم الاحد حادي عشري رمضان
قدم الملك العادل من القدس قبل العصر وفي تاريخ هذا اليوم وصل كتاب

من الديوان العزيز النبوي يذكر فيه فصل الملك المظفر تقي الدين خلاط
ويظهر ضوء الحاجة التامة بكثير ويشفع فيه في حسن ابن مجاف
ويتقدم باطلاقه وكان قد قبض عليه مظفر الدين باربل المحروسة وتقدم
بمسير القاضي الفاضل الى الديوان لتنجز ذلك وفصل امر قسيم الكتاب
الى القاضي الفاضل ليقف عليه ويذهب الى الملك المظفر بذلك

ذكر اخبار بزك كان على عكا وقصة اللصوص دخلوا في خيام العدو

ولما كان يوم الاثنين الثاني والعشرين من رمضان سنة سبع وثمانين
وخمسمائة احضر اللصوص فرسا وبغلة قد دخلوا الى خيم العدو وسرقوها
منهم وكان قد دبر الامر رحمه الله لما بلغه عن شلوح العرب يدخلون
ويسرقون منهم اموالهم وخيولهم ويسرقون الرجال احياء وذلك انه يكون
الواحد منهم نائما فيوضع على حلقه الخنجر ثم يوقظ فيرى الثلج والخنجر
في يد من وضعه في نحره فيسكت ولا يتجاسر ان يتكلم فيحمل وهو على هذا
الوضع الى ان يخرج من المخيم ويؤخذ اسيرا ونجح منهم جماعة فيخرجوا
فصار من اصابه ذلك سكت واختار الاسر على القتل وداموا على ذلك
مدة طويلة الى انتظام الصلح وفي تاريخ ذلك اليوم وصل من البزك النوب

على عكا في موضع يقال له الزيب خبر الاسارى مع رسول من البزك اخبر
انهم خرجوا من عكا وتفسحوا وان البزك حمل عليهم فاسر منهم احد
وعشرين نفسا وان الاسارى اخبروهم بصحة عود الانكتار الى عكا
وانه مريض بها والخبر داع ضعف اهل عكا وخوفهم وكذلك المبيع عندهم
وفي هذا التاريخ وصلت للعدو مراكب عدة قيل انها وصلت من عكا
وان فيها الانكتار قد عاد بجماعة عظيمة ليقصد عسقلان او بعض ما
وقيل ليقصد القدس والله اعلم

ذكر خبر وصول الاسارى المذكورين

ولما كان يوم الاربعا الرابع والعشرين من رمضان سنة سبع وثمانين وخمسمائة
وصل الاسارى من الزيب وكان وصولهم مفرحا للمسلمين مبشرا بكل خير وفيه
وصل رسول قزل رسلان قد سير من قبل وفاته ورسول ابن الجيد اتابك وفي
عشيته وصل رسول من الانكتار ومعه حصان للملك العادل في مقابلة
هدية كان انفذها اليه

ذكر وفاة حسام الدين بن لاجين

وفيه وصل خبر وفاته بالمحروسة دمشق لمن جاء للعزاء فصعب على السلطان
رحمه الله تعالى موته وشق عليه وفيه وصل كتاب من بيامة يذكر فيه
ان البرنس لعنه الله اغار على جبلة واللاذقية وانه كسر كسرة عظيمة

قتل منه جماعة وعاد الى انطاكية مخذولاً **ذكر دخول رسول الملك العادل الى الانكتار** ولما كان يوم الجمعة سادس عشري
رمضان سنة سبع وثمنين كان الملك العادل قد طلب الانكتار رسوله
فانفذ اليه الصنيعة وكان شابا حسنا ووصل اليه وهو في يازور
ووصل اليه ومن خرج معه جمع كبير من الرجالة وانتشروا في تلك الارض فاجتمع
به وسير معهم زمانا طويلا وحدثه في معنى الصلح وكان الجواب عن كلام
خرجت به مع اخي وصديقي يعني الملك العادل رحمه الله وذكر للسلطان ما عاد
الى الملك العادل واخبره به وكتبه في رقعة وانفذها الى السلطان رحمه
الله فوصلت قبل العصر من اليوم المذكور وكان مضمونها انك تسلم عليه وتقول
له ان المسلمين والفرنج قد هلكوا وخربت البلاد وخرجت من يد الفريقين
بالكلية وقد تلفت الاموال والارواح من الطائفتين وقد اخذ هذا الامر حقه
وليس هنالك حديث سوى القدس والصليب والبلاد فالقدس فمتعبدنا
ما ننزل عنه ولو لم يبق منا واحد واما البلاد فيعاد الينا منها ما هو
قاطع الاردن واما الصليب فهو خشبة لا مقدار له عندكم وهو عندنا
عظيم فيمن به السلطان علينا ونصطلح ونستريح من هذا العناء الدايم فلما

وقف السلطان رحمه الله عليه على هذه الرسالة استدعى ارباب المشورة
من دولته واستشارهم في جواب ذلك والذي رآه السلطان رحمه
الله في جواب ذلك ان قال القدس لنا كما هو لكم وهو عندنا اعظم مما
هو عندكم فانه مسرى نبينا ومجتمع الملائكة فلا يتصور ان ننزل عنه
ولا نقدر على التلفظ بذلك بين المسلمين واما البلاد فهي ايضا لنا في الاصل
واستيلاؤكم كان طارئا عليها لضعف من كان بها من المسلمين في ذلك الوقت
وما اقدركم الله على عمارة حجر منها ما دام الحرب قائما وما في ايدينا
نحن منها ناكل بحمد الله مغله وننتفع به واما الصليب فهلاكه عندنا قربة
عظيمة ولا يجوز لنا ان نفرط فيها الا لمصلحة راجعة الى الاسلام هي اوفى
منها وسار هذا الجواب اليه مع الواصل منه **ذكر هرب شيركوه
بن باخل الكردي من عكا وكان فيها اسيرا**
ولما كان ليلة الخميس نهار الجمعة سادس عشري رمضان المذكور وصل
شيركوه بن باخل الزرزاري وهو من جملة الامرا الذين بعكا اسرهم
الله فخلصه وكان من قصته انه هرب ليلة الاحد الحادي والعشرين
من شهر رمضان وذلك انه كان ادخر حبلا في حجرته وكان الاسير حين

ابن بارزك رحمه الله اذ دخوله جبلا في بيت الطهارة فاتفقا على الهرب ونزلا
من طاقة كانت في بيت الطهارة والخندق من السور الاول وعبر شفير من
الماء شوم ايضا وكان ابن بارزك حاله تردد اشرفه الجبل وتول شيره
سلما فراه وقد تغير من الوقعة فكلمه فلم يجبه وحركه فلم يتحرك فمضى وغشاه
بقنط وتبشير معه فلم يقدر فعلم انه ان اقام عنده اخذا جميعا فتركه
وانصرف واشتد هو وتاني في صعوده حتى اتى تل الحجاصين وقد طلع الصبح
فلامن في الجبل حتى علا النهار وكسر قيده وسار وستر الله تعالى عليه حتى اتى
المعسكر المنصور في ذلك الوقت وسئل عن هربه السلطان قدس الله روحه
وكان من اخباره ان سيف الدين المشطوب حنق عليه وانه قطع على نفسه
قطيعة عظيمة من خيل وبغال وانواع الاموال وان ملك الانكتار اخذه الله تعالى
الى عكا واخذ من كان له بها من خدمه ورد اليه واشتغله لم يبق
له من بها شيئا وان ولاجي الجبل يدعونه بالبرنس منكرا عظيما وان طغرل
السلاحدار احد خواص مماليك السلطان قدس الله روحه ونور قبل
هروب شيرزاد **ذكر رسالة سعى فيها الملك العادل الى**
السلطان قدس الله روحه مع جماعة من الامرا

وذلك انه لما كان يوم الاثنين التاسع والعشرين من شهر رمضان
استدعاني الملك العادل في صبيحته واحضر جماعة من الامرا علم الدين
سليمان وسابق الدين وعز الدين بن المقدم وحسام الدين بشارة وشرح
لنا ما جاء به رسوله من الانكتار المخذول الى الرسالة والكلام ورد
انه ذكر انه قد استقرت القاعدة على ان يتزوج الملك العادل باخت
الانكتار وكان قد استصحبها معه من صقلية فانها كانت زوجة
صاحبها وكان قد مات فاخذها اخوها لما اجتاز بصقلية فاستقرت
القاعدة على ان يزوجها من الملك العادل وان مستقرهما بالقدس
الشريف وان اخاها يعطيها بلاد الساحل التي في يده من عكا الى
يافا وعسقلان وغير ذلك ويجعلها ملكة الساحل وان السلطان قدس
الله روحه يعطي الملك العادل جميع ما في يده من بلاد الساحل ويجعله ملك
الساحل ويكون ذلك مضافا الى ما في يده من البلاد والاقطاع وانه
يسلم اليها صليب الصلبوت وتكون القرايا للداوية والاسبتارية
والحصون لهما واسارانا تطلق باساريهم وكذلك اساراهم وان الصلح يستقر
على هذه القاعدة ويرحل ملك الانكتار طالبا بلاده في البحر وينفصل الامر

هكذا ذكر رسول الملك العادل لدعن الملك والمعرفة ذلك الملك العادل
بنى عليه انه استحضرنا عنه وحملنا هذه الرسالة الى السلطان قدس الله
روحه وجعلني المتكلم فيها والجماعة يسمعون وتعرض عليه هذا الحديث
فان استصوبه وراه مصلحة له وللمسلمين شهدنا عليه بالاذن في ذلك
والرضى بجوازه وان اباه شهدنا عليه ان الكلام في الصلح قد انتهى الى هذه الغاية
وانه هو الذي رده ابطاله قال فمثلنا بالخدمة السلطانية وعرضنا عليه
الحديث واديت عليه الرسالة بمحضر من الجماعة المذكورين فبادر الى الرضا
بهذه القاعدة مختصا ان الملك الانكتار لا يوافق على ذلك اصلا وان هذا منه
هزو ومكر وكرر عليه الرضا بذلك ثلث مرات وهو يصرح ويشهد
على نفسه بالرضا به فلما تحققنا ذلك منه عدنا الى الملك العادل فعرفناه
ما قال وعرفته الجماعة اني كررت عليه الحديث في تفصيل التشهد عليه
وانه اصر على الاذن في ذلك واستقرت القاعدة عليه

ذكر عود الرسول الى الانكتار بجواب عن هذه الرسالة

ولما كان يوم الاربعا ثاني شوال سار ابن النحال رسولا من جانب السلطان
قدس الله روحه ومن جانب الملك العادل فلما وصل الى مخيم العدو وانه عزم الملك

بعدومه انفذ اليه ان الملكة عرض عليها اخوها حديث النكاح فسخطت من
ذلك وغضبت بسببه وانكرت ذلك انكارا عظيما وحلفت بدينها المغلظ
من يمينها انها لا تفعل ذلك وكيف تمكن مسلما ان يغشاها ثم قال اخوها
ان كان الملك العادل يتنصر فانا اتمم ذلك وان رضيت فانا افعل ذلك ونترك
باب الكلام مفتوحا فذهب الملك العادل الى السلطان رحمه الله يعرفه ذلك

ذكر خبر اخذ مركب مشهور للفرنج يسمى المسطح وكان عظيما عندهم

ولما كان يوم السبت خامس شوال وصل الخبر ان الاسطول الاسلامي
استولى على مراكب الفرنج وفيها مركب يعرف بالمسطح فقيل انه كان فيه
خمسين نفرا وانه ابلى على الشراع فقتل منهم خلق عظيم واستبقى منهم اربعة
نفر كبار من عدة من سادات الملوك وضربت البشائر بالنصر على
الظفر ولله الحمد والمنة

ذكر اجتماع الراي من الامرا بين يدي السلطان قدس الله روحه

ولما كان يوم الاحد سادس شوال جمع السلطان قدس الله روحه اكابر
الامرا وارباب الاراء من دولته وشاورهم فيما يصنع ان خرج العدو
وكان قد تواصلت الاخبار عنهم انهم قد اتفقوا على الخروج الى العسكر
الاسلامي فانفصل الراي بعد ذوي الاراء من المسلمين على انهم يقفون

في سرّ لئلهم بعد تخفيف الاثقال فان خروج الفرنج دانوا الى لقائهم وفي
ثاني عشر هذا اليوم استامن من الفرنج على فرسين واخبرا ان العدو على
عزم الخروج في يوم الثلثا وانهم نحو عشرة الاف فارس وذكرانهم
لا يخفون قصدهم وهرب اسير مسلم من جانبهم واخبر انهم قد تظاهروا
للخروج الى الموتا ثم انهما يتفقون على موضع يقصدونه ولما تحقق السلطان
قدس الله روحه ذلك امر اليجاويش ان ينادي بالعسكر المنصور حتى يتجهز
جريدة وشدت الرايات وحقق عزمه على انه يقف قباله القوم ان
خرجوا وسار في يوم الاثنين ثم نزل المنصور حتى اتى قبل كبسه الرماة
الى الاخيم هناك وبات للكمين

ذكر خروج الفرنج عن يافا

ولما كانت صبيحة يوم الثلثا ثامن شوال ركب الاطلاب للقتال وسلم اليزك
للملك العادل ومعه من يريد الغزاة وكان رحل جماعة من الروم يريدون القتال
فخرجوا الى جملة من خرج فما وصلوا الى خيام الفرنج خذلهم الله تعالى هجم
عليهم المماليك السلطانية لقوة جاشهم وانسهم بقتالهم وتفقهم براكبهم وعددهم
وركبوا عليهم الشباب فراهم الغزاة والواصلون من الروم فاغتروا بانفسهم
ووالقوهم في خيامهم وقاربوا عسكر العدو فلما راى الفرنج قلة العساكر والسابلة

بارزت هممهم وجوه كبرائهم نحوانهم وركبوا من داخل الخيام وصالحوا
صيحة الرجل الواحد وحملوا في جمع كبير فنجى من سبق به جواده وقتل
في القوم نحاة وطفق كاتب قتلوهم الله تعالى على ساقه ونقلوا خيامهم
الى يازور واقام السلطان قدس الله روحه تلك الليلة مكانهم الى الصباح

ذكر وفاة الملك المظفر رحمة الله عليه

ولما كان يوم الجمعة حادي عشر شوال ركب السلطان قدس الله روحه الى
جهة العدو فاشرف عليهم ثم عاد واشير بالاشارة الى ان يجدد الملك العادل
بان يحضر معه علم الدين سليمان بن جندر وسابق الدين بن الداية وعز الدين
بن المقدم وطاشتكين الجاعدار وجد منه امر كان وما ان خلا المكان عن سوى
الخاصين وكنت في جملتهم وانس ما كان الناس على الخيمة ثم اخرج
كتابا بيده وقضه ووقف عليه وبدر دموعه رحمه الله وغلبه البكا
والنحيب حتى وافقناه من غير ان نعلم السبب ما هو وفي اثنا ذلك ذكر انه
يتضمن وفاة الملك المظفر رحمة الله عليه فاخذ الجماعة في البكا حتى
انه بوظيفته ثم اذكرته بالله تعالى وامضا قضائه وقدره فقال
استغفر الله وانا لله وانا اليه راجعون ثم قال المظلوم كتم ذلك والخفا

للانفصال بالعود ونحن ننازلهم ثم لحضر الطعام واهل الجاه وانفصلوا
وكان الكتاب الواصل المتضمن نعيه هو غير الكتاب الواصل الى اخاه بنعيه
في طي كتاب وصل من النايب بها وكانت وفاته في طريق خلاط عايدا
الى ميافارقين محمولا حتى وصل الى ميافارقين ثم عملت له تربة عندها
مشهورة بارض حاه وحمل اليها ودفن وزرت ضريحه رحمه الله عليه
وكانت يوم الجمعة تاسع عشر رمضان سنة سبع وثمانين وخمسمائة رحمة الله عليه

ذكر كتاب وصل من بغداد

ووصل يوم السبت الثاني
عشر من شوال من السنة المذكورة وصل من دمشق كتاب من ابواب بها
في طيه كتاب من بغداد من الديوان العزيز النبوي مجده الله تعالى يتضمن فصولا
ثلثة الاول الانكار على [illegible] الى [illegible] وبولغ فيه حتى قيل ان
الديوان العزيز لا يعلم والفصل الثاني يتضمن الانكار على مظفر الدين
في مسكه حسن ابن قفجاق والامر باعادته الى [illegible] وبولغ فيه حتى قيل فيه
ان الديوان العزيز لم ياذن له في ذلك وكان من قصة حسن ابن قفجاق انه
قصد اربل [illegible] بالسلطان طغرل فانه كان نزل [illegible] لما هرب من ديار
العجم واستنصر به وتزوج اخته ووقع في ذهنه انه يكون اتابكه ويملك به

البلاد فقصد اربل وقتل اهلها على ما قيل وسبى نساهم وذراريهم
وتعرض للقوافل وكان [illegible] الكرجي [illegible] ولما وجد السلطان طغرل
قوته تركه وانصرف عنه وعاد هو الى بلاده واظهر الفساد
في الارض والتعرض للقوافل على ما قيل فاستعطفه مظفر الدين صاحب
اربل حتى عاد اليه وانخرط في سلك اصحابه وقبض عليه فانفذ الديوان
العزيز ان [illegible] لا [illegible] مظفر الدين على [illegible] ولعله تشفع الى
الديوان فانقضت [illegible] ذلك [illegible] واما الفصل الثالث فكان يتضمن
التقدم باحضار القاضي الفاضل الى الديوان العزيز رسولا ليقرر معه
قواعد وتكشف اليه اسباب هذا [illegible] الكتاب ولما
الجواب عنه فان السلطان [illegible] الجواب عن الفصل الاول
بانا لم نامر بشيء من ذلك وانما عبر لجمع العساكر والعود الى الجهاد
فاتفق اسباب اقتضت ذلك وقد امرناه بالعود عنه واما الفصل
الثاني فاجاب عنه بان عرفهم حال ابن قفجاق وما تصدى له من الفساد
في الارض وانه قد تقدم الى مظفر الدين حتى يحضر معه الى الشام ليقطع
منه ويكون ملازما للجهاد واما الفصل الثالث فانه اعتذر عن القاضي

الفاضل بانه لم الاعراض وقوته تضعف عن الحركة الى العراق وهذا
كان حاصل الجواب

ذكر وصول صاحب صيدا رسولا من جانب المركيس

ولما كان يوم الثلثا حادي عشر شوال من السنة المذكورة وصل من اخبر بوصول
صاحب صيدا من جانب المركيس صاحب صور وكان قد جرى بيننا وبينهم
احاديث متردده حاصلها انهم ينقطعون عن الفرنج وينصروننا ويصيرون
معنا عليهم بناء على فتنة كانت جرت للمركيس مع الملوك بسبب امراة تزوجها
كانت زوجة لاخي الملك جفري وفسخ نكاحها بامر اقتضاه دينهم واضطربت
اراوهم فيه فخاف المركيس على نفسه فاخذ زوجته وهرب من تحت الليل
الى صور وانفذ الى السلطان يعرض عليه والانتما اليه وكان في ذلك
مصلحة للمسلمين لانقطاع المركيس عن الفرنج فانه كان من اشدهم باسا واعظمهم
للحرب مراسا واثبتهم في التدبير اساسا وحيث اتصل خبر وصول هذا
الرسول بالسلطان قدس الله روحه امر باحترامه واكرامه وامر بضرب خيمة
وضرب حولها شقة ووضع فيها من الطرح والفرش ما يليق بمثلهم من
ملوكهم وامر بانزاله في الثقل ليستريح ثم يجتمع به ○

ذكر وقعة الكمين التي استشهد فيها اياز الطويل قدس الله روحه

ولما كان سادس عشر شوال من السنة المذكورة امر السلطان قدس الله روحه
الحلقة ان كمنت العدو في بطون اودية هناك واستصحبوا جماعة من العرب
فلما استقر الكمين في موضعه ظهرت العرب على جاري عادتها في مناوشة
العدو فكان العدو قد خرج منه جماعة للاحتشاش والاحتطاب فرسانهم
محيطة بهم فحمل العرب عليهم فضربوا عليهم ووقع الحرب بينهم وثار الصياح
فصاح الفرنج وركب منهم جمع من الخيالة وطلبوا جهة الصوت فانهزم العرب
بين ايديهم الى جهة الكمين والعدو يتبعهم طمعا فيهم حتى قاربوا الكمين
وخرج الكمين عليهم وصاحوا بهم صيحة الرجل الواحد فانهزموا بين
ايديهم نحو خيامهم واتصل الخبر بالعدو فركب منهم خلق عظيم وقصد
نحو الوقعة والتحم القتال واشتد الامر وقتل جمع من الطائفتين وجرح واسر
جمع من العدو واخذ منهم خيل كثيرة وكان سبب انفصال الحرب ان السلطان
قدس الله روحه حسب مثل هذا الواقع فانفذ اميرا اخر اسمه سيف الدين
يازكج ومن يجري مجراهم ردا للكمين وقال ان رايتم الغلبة على الكمين فاظهروا
فلما راوا الكرة من جانب العدو خرجوا على العدو وخلصوهم وكانهم ولما
راى العدو الاطلاب الاسلامية قد توجهت نحوهم انهزموا ولو

الادبار نحو خيامهم والسيف يعمل فيهم حتى دخلوا الخيام وانفصل الحرب
قبيل الظهر من نهار الاربعا سادس عشر شوال وكان السلطان قدس
الله روحه قد رتب من يتشوف اخبار الكمين ولبث في خدمته فكان اول من
وصل من الوقعة جماعة من العرب ومعهم خمسة ارؤس من الخيل قد اخذوها
من الوقعة وانفصلوا قبل انفصال الحرب ثم كانت الغلمان تتواتر بالبشاير
بنبو الخيل وقتل من الوقعة من العدو على ما قيل ما يقارب ستين نفسا وجرح من العدو
جماعة وقتل من المعروفين من المسلمين جماعة منهم اياز المهراني رحمة الله عليه
وكان شجاعا معروفا وجاول اعلام الجيش وسار وصرع اياز الطويل
وجرح عدة جراح وحمل الى المسلمين واسر من العدو فارسان معروفان
واستامن اثنان بخيولهما وعدتهما وعاد السلطان احمد الله الى الخيمة
فرحا مسرورا بمن ناس من قتل فرسه متلطفا بالمجروح منهم حاثا على
التشهد وفي عشية اليوم المذكور وصل رسول الانكتار الى الملك العادل
يعتبه على الكمين ويطلب الاجتماع به فاستاذن واذن له فسار اليه

ذكر ما جرى للملك العادل والانكتار واجتماعهما

ولما كان يوم الجمعة ثامن عشر شوال من السنة المذكورة سار الملك العادل

الى اليزك لموضع ضربت له فيه نوبة عظيمة وسار معه من الاطعمة والحلاوات
والتحف ما جرت العادة ان يحمل من ملك الى ملك وهو ان الجمل في ذلك
لا يجلب وسار الانكتار الى الخيمة وحضر عنده على ما قيل واحترمه
احتراما عظيما ووصل مع الانكتار شيء من طعامهم الذي يختصون
فاتحف به الملك العادل على حسب المطايبة فتناول منه الملك العادل
وتناول هو واصحابه الواصلون معه من طعام الملك العادل وقدم اليه
ما كان حمل اليه وتحادثا معظم ذلك النهار وتفاصلا عن توادد ومطايبة
ومحبة اكيدة

ذكر الرسالة التي انفذها الانكتار الى السلطان

قدس الله روحه في معنى الاجتماع به وجوابها ان وفي ذلك اليوم سال
الملك العادل ان يلتمس لدى السلطان قدس الله روحه الاجتماع به
والمتولي بين يديه ولما وصلت هذه الرسالة شاور السلطان قدس الله روحه
الجماعة في الجواب فما منهم من وقع له ما وقع له رحمة الله عليه وذلك انه قال
له الملوك اذا اجتمعوا انفتح منهم المخاصمة بعد ذلك فاذا انتظم امر
حسن الاجتماع وان الاجتماع لا يكون الا للمفاوضة في مهم وانا لا افهم لسانك
وانت لا تفهم لساني والترجمان بيننا ثقة وانت به فليكن ذلك

الترجمان رسولا حتى يستقر امره وتستتب قاعدته وعند ذلك يكون
الاجتماع الذي يعقبه الوداد والمحبة قال الرسول ولما سمع الانكتار
ذلك استعظم هذا الجواب وعلم انه لا يتفق على الوجه غرض الا بالدخول
تحت المراضي السلطانية

ذكر حضور صاحب صيدا بين يدي السلطان

وادا الرسالة والكتب الذي وصل فيه ولما كان يوم السبت
تاسع عشر شوال من السنة المذكورة جلس السلطان قدس الله روحه
واستحضر صاحب صيدا فسمع رسالته وكلامه بمحضر وحضر معه
جماعة وملوكه وكنت حاضر المجلس [illegible] رحمه الله عليه [illegible]
وكان دابهم وقد هم بين ايديهم يلجون به العادة ولما رفع الطعام خلي بهم
وكان حديثه في ان السلطان يصالح المركيس صاحب صور وكان قد خلص
للاجانب من اكابر الفرنجية منهم صاحب صيدا وغيره من المعروفين وقد
سبقت قصته وكان من شرط الصلح معه اظهار عداوته للفرنج المجوبه
وكان بسبب ذلك شدة خوفه منهم ووافقه ووقعت له معهم بسبب الزوجة
وبذل له السلطان قدس الله روحه الموافقة على شروط قصد بها رحمه الله عليه
الايقاع بينهم وان يشغل بعضهم ببعض فطالع السلطان قدس الله روحه وعاد

رسالته

بان يرجع عليه الجواب بما يعتمد وانصرف عنه في ذلك اليوم

ذكر وصول رسول الانكتار

ولما كان عشية ذلك اليوم
وصل رسول ملك الانكتار وهو ابن الهنفري وهو من اكابرهم وملوكهم
ومن اولاد ملوكهم فوصل رسولا ومن صحبته شيخ كبير منهم ذكروا ان عمره
مائة وعشرون سنة فاحضره السلطان قدس الله روحه عنده وسمع
كلامه وكانت رسالته ان الملك يقول اني احب صداقتك ومودتك وانت
قد ذكرت انك اعطيت هذه البلاد الساحلية لاخيك فاريد ان تكون
حكما بيني وبينه وتقسم البلاد بيني وبينه ولا بد وان يكون لنا علقة بالقدس
الشريف ومقصودي ان تقسم البلاد بحيث لا يكون عليه لوم من المسلمين ولا
علي لوم من الفرنجية فاجابه في الحال بوعد جميل ثم اذن لهم في العود في الحال وتأثر
بذلك تأثرا عظيما وانفذ وراءهم من يسألهم عن حديث الاسارى وكان منفصلا
عن حديث الصلح فقالوا ان كان الصلح فعلى الجميع وان لم يكن صلح فلا يكون من حديث
الاسارى شي وكان غرضه قدس الله روحه بنقض قاعدة الصلح فانه التفت
الي في المجلس بعد انفصالهم وقال لي متى صالحناهم لم نومن غائلتهم فاني لو
حدث بي حادث الموت ما كانت تجتمع هذه العساكر ويقوى الفرنج والمصلحه

الأمر الكلي الجهاد خشي لخروجهم من الساحل لو يأمنا الموت هذا كان رايه
قدس الله روحه وانما غلب على الصلح قدس الله روحه

ذكر مشورة ضربها في التخيير بين الصلحين صلح الملك

وصلح المركيس صاحب صور ولما كان يوم الاثنين حادي عشر شوال جمع
السلطان الامرا والاكابر وارباب المشورة وذكر لهم القاعدة التي
التمسها المركيس واستفسر امره من جانبه عليها وهي اخذ صيدا وان يكون
معنا على الفرنج وقتالهم ومجاهرتهم بالعداوة وذكر لهم ما التمسه الملك
من تقرير قاعدة الصلح وهي ان يكون لهم من القرايا الساحلية موضع مخصوص
ويكون لنا الجبليات باسرها او تكون القرايا باسرها مناصفة وعلى هذين القسمين
يكون لهم اقسا في القدس الشريف وبالجملة كان الاختيار قد خير بين
هذين القسمين فشرع قدس الله روحه الجال في الفاعلين للامرا واستخرج
آراهم في ترجيح احدى الجانبين الاختيار والمركيس وترجيح احدا القسمين
المذكورين من جانب الملك فراى ارباب الراي انه ان كان صلح فليكن مع الملك
فان مصافاة الفرنج للملك بحيث يخالطوهم بعيدة صحبة غير مامونة
الغايلة وانفض الناس ونقي الحديث مترددا في الصلح والرسل تتواصل

في تقرير قواعد الصلح وأصل القاعدة ان الملك قد بذل اخته للملك العادل
بطريق التزويج وان تكون البلاد الساحلية الاسلامية والفرنجية لها
فاما الفرنجية فمن جانب اخيها والاسلامية للملك العادل من جانب
السلطان وكان اخر الرسايل من الملك في المعنى ان قال ان معاشر دين
النصرانية انكروا على وضع اختي تحت مسلم بدون مشاورة البابا وهو كبير
دين النصرانية ومقدمه وها انا انفذ اليه رسولا يعود في ستة اشهر
فان اذن فبها ونعمت والا ازوجك ابنة اختي وما احتاج في اذنه في
ذلك هذا كله وسوق الحرب قايم والقتال عليهم ضربة لازب وصاحب صيدا
يتردد مع الملك العادل في الاجتماع ويشرف على الفرنج وقتال المسلمين لهم
وهم ينظرون ويحركوا الطلب الصلح خوفا من ان ينضاف المركيس الى المسلمين
وعند ذلك تكسر شوكتهم ولم يزل الحال كذلك الى يوم الجمعة خامس
عشر شوال من السنة المذكورة

ذكر رحيله الى تل الجزر قدس الله روحه

ولما كان يوم الجمعة اصبح السلطان قدس الله روحه
على عزم الرحيل واحضر ارباب الراي وشاورهم في جواب رسالة القوم
وعرض عليهم حديثهم وذكر ما عندهم في ذلك واحضر الرسل وكان

القسيسين ثم رجع بينه قدس الله روحه وبين النصرانيين واستقرت القاعدة
على ان تنفذ معهم رسولين من جانبه واحد من جانب الملك العادل
الاخر لان الحديث كان يتعلق به وكان من جملة رسالتهم ان البابا انكر
اذ في هذا العقد ثم وان لم ياذن فيه زوجنا الملك العادل بابنة اخت الملك
وهي بكر وذكروا ان من دينهم ان البابا انما يحتاج الى استيذانه في
تزويج الثيب من بنات الملوك واما الابكار فيزوجهن اهلهن وكان الجواب
عن ذلك انه ان كان عقد فيكون على هذه لانه سبق الحديث فيها
ونحن لا نرجع عما فعلناه وان لم ياذن فيها فلا حاجة بنا الى غيرها وانفصل
الحال على ذلك وسار الرسل الى خيم الملك العادل ليتجهز رسول السلطان
قدس الله روحه ويلحقهم ثم وصل بعد ذلك من اليزك من اخبر ان الفرنج
قد انتشر منهم راجل كثير وخرجوا عن الاسوار التي لهم ولم يظهر خروجهم
غائلة وسار قدس الله روحه الى تل الخروبة لاجل قرب ذا المنزل وتبعه الناس
في الرحيل فما كان الظهر الا وقد وصل الناس الى السلطان قدس الله روحه
ونزلنا تل الخروبة ولما عرف الفرنج خذلهم الله بعود السلطان رحلوا
عائدين واقام السلطان تل الخروبة ثم رحل الى جهة القدس الشريف ورحل

الفرنج الى جهة بلادهم واشتد الشتاء وعظمت الامطار وسار السلطان
الى القدس الشريف واعطى العساكر دستورا واقمنا بالقدس في
ذلك الشتاء اجمع وعاد العدو الى بلاده وارتفعت الاخبار في يافا
عساكره ثم عاد الى عكا ليتطرق الى جهاتها واقام مدة ثم وصل منه رسول
يقول ان الملك يؤثر الاجتماع بالملك العادل اخي فيه مصلحة تعود
على الطائفتين فعقد بلغني ان السلطان فوض امر الصلح الى اخي الملك العادل
فعقد السلطان قدس الله روحه مشورة في مضي الملك العادل واتفق
الراي على المضي بحيث يجتمع به فاذا انتهى العود وكذا لك وقال النواحي
فحدثني بقول ان الحديث قد جرى بيننا مرارا وما استقر على مصلحة
فان كانت هذه الدفعة مثل الدفعات فلا حاجة الى الحديث وان كان
الحديث بحت حال يقارب الامر وانا لا اجتمع بك الا ان ادري ما بيننا رب
مفصل الحال وقد رجع الملك العادل انه ان راي ما يرضى فصل الحال عليه فصله
والا طاوله مطاولة الى ان يصل العساكر من الاطراف فالتمس الملك العادل
تذكرة يتضمن كل شيء ما يتفصل الحال عليه فكتب له تذكرة ذكر فيها
المناصفات وذكر فيها من امر بيروت انه ان اصر على طلبها اشترط خرابها

وراعيهم وكذلك القايدون وان النسوا عمان وعواجب ونجلى صليب
الصلبوت وبدون اللامه قش ونفتح لهم باب زيادتها بشرط ان الحجار
السلاح وكان الحامل على ذلك ما لحق الناس من التعب وواظبة الغزاه
وكثرة الديون والبعد عن الاوطان فان من الناس من كان لا يفارق السلطان كان
ولا ابعد طلب دستور منه **ذكر مسير الملك العادل رحمه الله**
وكان مسيره من القدس الشريف عصر الجمعة رابع ربيع الاول سنة ثمان
وثمانين وخمسمائه ثم وصل كتابه من بيسان يقول انا قد وافقنا على عمارة
البلاد وان حل بين في يده شي فهو له فان كان يأتي ابرنسيار ابدا على ما نسم
البلاد وان حل بين يده اضنعم في مقابلته ما يقابل الزيادة ملاحصنا وان كان
ملك في ايديهم اكثر فعلنا ذلك ويكون القدس لنا والكرمية الصخرة هذا كان
مضمون الكتاب فاوقف السلطان عليه الامرا فاستصوب ذلك الامير
ابو الهيجا وراوا ان مثل هذا المثال يوثق على ما مضى عليه الملك العادل
وهو مصلحته وسار الجواب الى الملك العادل بذلك ولما كان يوم الثلثا
الخامس عشر من ربيع الاول وصل الحاجب ابو بكر صاحب الملك العادل
يخبر ان الانكتار الملعون سار الى يافا من عكا وان الملك العادل كان الى ان يجتمع

الامر قاعدة منفصلة والله يجري من هذا العجب ومن الاخبار مقايات
كثيرة حاصلها انه نزل على ان يكون الصخرة لنا والقلعة لنا والباقي
مناصفة وان لا يكون في القلعة منهم مقدم مذكور وان يكون قرايا القدس
وباطنه مناصفة **ذكر عود الملك العادل من الغور**
ثم قدم الملك العادل في سادس عشر ربيع الاول ولقيه السلطان قدس
الله روحه واجتمعا على ما سبق من الكبير **ذكر غارة الفرنج**
خذلهم الله تعالى وفي عشية ذلك اليوم وصل من اخبر ان الفرنج اغاروا على
جمله عرب قريب الداروم وانهم اخذوا للنهب جماعة واخذوا منهم نحوا
الف راس غنم ومواشي وعظم ذلك على السلطان وشق عليه وسير جماعة
فلم يلحقوهم **ذكر انفصال رسول المركيس** وكان قد وصل يوسف
غلام صاحب صيدا رسولا من جانب المركيس يلتمس الصلح مع المسلمين بحاشرط
رحمه الله عليه شروطا منها ان يقاتل جنسه ويباينهم ومنها انه ما اخذ
من البلاد الفرنجية بعد الصلح بانفراده يكون له وما اخذناه نحن بانفرادنا
يكون لنا وما نتفق نحن وهو على اخذه يكون له نصف البلد ويكون لنا ما
فيه من اسارى المسلمين وغير ذلك من الاموال ومنها ان يطلق له كل

ذلك يسيرة في مملكته ومن ذلك انه ان وصل اليه الانكتار امر البلاد لامر حركه

منهم كان الصلح بيننا وبينه على ما استقر بيننا وبين الانكتار ما عدا

عسقلان وما بعدها فانه لا يدخل في الصلح فيكون الساحليات له وما

في ايدينا لنا وما في الوسط يكون مناصفة وسار رسوله على هذه القاعدة

ذكر وصول العساكر الاسلامية

في سنة ثمان وثمانين وخمسمائة

فاول من وصل اسد الدين شيركوه بن محمد بن شيركوه وكان وصوله يوم الاثنين

ثامن عشري ربيع الاول من السنة المذكورة وكان جريدة متقدما على عسكره

ذكر خروج سيف الدين المشطوب من الاسر

وكان وصوله الى القدس الشريف

يوم الخميس مستهل جمادى الاخرة ودخل على السلطان قدس الله روحه بغتة

وعنده اخوه الملك العادل رحمه الله فنهض اليه واعتنقه وسر به سرورا عظيما

واخلى المكان وتحدث معه طرفا من احاديث العدو وسأل عن حديث الصلح فذكر

ان الانكتار سكت عنه وفي هذا اليوم كتب السلطان الى ولده الملك الافضل

يسير الى قاطع الفرات يتسلم البلاد من الملك المنصور بن الملك المظفر وكان قد

اظهر العصيان بسبب الخوف من السلطان على نفسه واظهر ذلك ودخل

في امره الملك العادل وسير الى الملك العادل حتى يتحدث في امره وكان هو المتحدث

له وكان ذلك قد شق على السلطان رحمة الله عليه واثار عليهم عظيم

عظيم كيف فتح هذا الباب من اهله ولم يكن احد من اهله خاف منه ولا

نكث عليه وهذا كان السبب في توقف الانكتار في الصلح فانه طمع لما

هذا الحال ان يتكدر على السلطان شرب الخواطر ويحوجه الى الموافقة على

ما لا يرضاه فنفذ الى الملك الافضل ان يسير الى البلاد وكتب الى الملك الظاهر

بحلب المحروسة ان يخرج الى معونته عاونه وجمع عسكره وتبرع

وسار باحترام عظيم حتى وصل حلب المحروسة واكرمه اخوه الملك الظاهر

اكراما عظيما وحمل اليه الضيافة وقدم بين يديه تقدمة حسنة عزم الى

الحديث العدو

ذكر عود رسول صور

ولما كان سادس ربيع الاخر

سنة ثمان وثمانين وخمسمائة وصل يوسف من جانب المركيس يجدد حديث

الصلح ويقول ان الفصل الكامل على يديه من الفرنجية فان يجري في

الايام سارت الفرنسيسية في البحر وان الانكتار بطل الحديث معه في

الصلح مع المركيس بالكلية فرأى السلطان قدس الله روحه الصلح مع

المركيس بصلحه لتشتغل قلبه من جانب الشرق وخاف ان ينفصل عن ابن تقي

الدين بالشرق فيحدث فيها ما يشغل الخاطر عن الجهاد فاجاب اليها

ملتمس الرئيس وانتهى مع صاحبه مواصفه على نحو ما تقدم وسار
العدل في جواب يوسف الرسول ودار بعد صلاة الجمعه تاسع ربيع
الآخر من سنة ثمان وثمانين **ذكر هلاك المركيس الملعون**
ولما كان سادس عشر ربيع الاخر سنة ثمان وثمانين وصل من العادل
الرسول المنفذ الى الرئيس صاحب برديس انه قتل وعجل الله بروحه الى النار
وكان صورة قتله انه تغدى يوم الثلاثا ثالث عشر عند الاسقف وخرج
فقفز عليه اثنان من اصحابه بالسكاكين وكان خفيفا من الرجال فما زالا
يضربانه حتى عجل الله بروحه الى النار ومسك الشخصان فسيلا عن
هذا الامر ومن وضعهما عليه فقالا ان الانكتار وضعنا عليه وقام
الامر اثنان تخطا العلم الى ان اتصل الخبر بالملوك والعمل في الامور وذكر
الهدنه **ذكر خبر الملك المنصور وما جرى له**
وذلك انه لما بلغه موت السلطان قدس الله روحه عليه انفذ الى الملك
العادل رسولا يستشفع به ليطيب قلب السلطان عليه ويفرج له عن
قسمين اما حران والرها وسميساط واما حماه ومنبج وسلميه والمعره مع
كفالة اخوته وراجع الملك العادل السلطان رحمه الله عليه مرارا فلم يفعل ذلك ثم

صحح عشر

يجب الى ثني عنه فجرت الشفاعه الثانيه من جميع الامرا وهو ان تنجز كتابه
فرجع الى الحلقه النبويه رضي الله عنه وحلف انه على حران والرها وسميساط
على انه اذا عبر الفرات اعطي المواضع التي انتزعها وتحمل اخوته وخلا عن
تلك المواضع التي في يده ودخل تحت ضمان ذلك وتعاطاه الملك العادل
ثم التمس الملك العادل خط السلطان رضي الله عنه كما جرى عليه فخرج
نسخه اليمين في تاسع عشر ربيع الاخر وانفصل الحال وانقطع الحديث وكثر
الغرر دد بينهما في ذلك والخلاف من سلطان الخط كيف خاطب في مثل ذلك
من جانب بعض اولاده اولاده **ذكر قدوم رسول الروم**
ولما كان مستهل جمادى الاول وصل رسول من قسطنطينيه الكبرى والتقي
بالاكرام والاحترام ونزل بالخيمه السلطانيه في الثالث من جمادى الاول
وكانت رسالته تشتمل على مطالب منها صليب الصلبوت ومنها ان
تكون البيعه ... من جانبه وساير كنايس القدس ومنها ان يقع
الاتفاق معه على ان يكون عدو من عاداه وصديق من صادقه ومنها ان
يوافق على قصد جزيرة قبرص فاقام الى يومين ثم سير معه رسول يقال
له ابن البزار من الديار المصريه واجيب بالمنع عن جميع مقترحاته وقيل

له ان الصليب قد بذل فيه ملك الكرج مائتي الف دينار فلم يجب الى ذلك

ذكر ما جرى للملك العادل في البلاد التي هي قاطع الفراه

وذلك انه لما سار الملك الافضل دون الملك العادل قلب السلطان على ابن تقي
الدين وكثر الحديث في حقه وانفذ الى السلطان استشاره [illegible]
يستخدمه الملك العادل في امر مجمعهم في خدمته وذكرت لهم ما ارسلني فيه
اليهم فانتدب الامير حسام الدين ابو الهيجا الجواب وقال نحن عبيد
هذا البيت وذلك صبي وربما حمله خوفه ان ينضاف الى جانب اخر ونحن
ونحن فما نقدر على الجمع بين قتال المسلمين والكفار فان اراد ان نقاتل المسلمين
فليصالح الكفار وسرنا الى تلك الجانب ونقاتل بين يديه وان اراد منا
ملازمة الغزاة فليصالح المسلمين ويتابعهم وهذا كان جواب الجميع فوق
السلطان قدس الله روحه وجرت نسخة يمين لابن تقي الدين
رحمه الله وحلف له بها واعطاه خطه بما استقر من القلاع ثم ان
الملك العادل رحمه الله التمس من السلطان رحمه الله عليه البلاد التي
كانت بيد ابن تقي الدين بعد انتقاله وجرت مراجعات كثيرة في العوض
عنها وانتهت الرسولية فيها وكان اخر ما استقر ان يتسلم تلك البلاد وينزل

عن ما هو مناجي الفراه وما قطعها ما عدا الكرك والشوبك والاعمال
والبلقا وخاصه بمصر بعد النزول عن خبزه على عادته في كل سنة ستة الف
غراره غلة تحمل الى السلطان من الصلت والبلقا الى القدس والمحل في
السنة المذكوره في تواضعه له ويحمل قاطع الفراه السلطان في هذه
السنه ايضا واخرجه السلطان رحمه الله عليه بذلك وسار بنفسه
ليصلح ابن تقي الدين وتطيب قلبه وكان مسيره في تاسع جمادى الاولى
سنة ثمان وثمانين وخمسمائة

ذكر استيلاء الفرنج على الداروم

وكان الفرنج خذلهم الله تعالى لما راوا ان السلطان رحمه الله عليه قد نقل
العساكر [illegible] ونزلوا على الداروم وطمعوا
فيه وكان بيد علم الدين قيصر فنزلوا عليه لما كان يوم السبت تاسع جمادى
الاولى سنة ثمان وثمانين اشتد زحف العدو على المكان
وكان الاشكال للملعون قد استشهد من نوبه عكا تقي بين جليبين
فتمكنوا من نقب المكان ولحقوا النقب وطلب اهل الحصن منهم
ورد ذلك الى السلطان رحمه الله عليه فلم يمهلوهم واشتد والقتال
عليه فاخذوه عنوة فاستشهد من قدر الله له بذلك واسر من قدر له

او ذلك وكان ذلك قدر العسكر **ذكر قصدهم مجدل يابا**

ولما استولى العدو على الداروم وتكاثروا بعد ان تقرروا منه ووضعوا فيه
من اختاروه ادوا حتى نزلوا التل الذي بين ابيار الحسي وهو قريب من جبل
الخليل عليه السلام وذلك في رابع عشر جمادى الاولى فاقاموا عليه ثم انهضوا
افضل حصن يقال له مجدل يابا فاتوه جريدة وخلفوا خيامهم في منزلهم
وكان بها عسكر اسلامي فلقيهم وجرى بينهم قتال عظيم وقتل من العدو رجل
مذكور فيما بينهم واستشهد من المسلمين فارس واحد وكان سبب قتله الله
ووقع رمحه فنزل لياخذه منهم فرمته الراكب فلما دروه وقتلوه وعادوا
الى خيامهم في بقية اليوم خاسرين ولله الحمد **ذكر وقعة جرت في صور**

ولما كان سادس عشر جمادى وصل كتاب من حسام الدين بشارة بذكر فيه انه
خلاف هو رحمة الله عليه في القدس لنوع النيابات كان عوض له فانا احس
العدو المخذول بظهور العساكر الاسلامية اليه عاد خائبا خاسرا
نا ثابل العقابة ووصلت الاخبار من الامرا يخبرون رحيل العدو الى عسقلان
خاسئا خاسرا ولله الحمد والمنة **ذكر تعبية العدو لقصد القدس**
الشريف ولما كان يوم السبت ثالث عشر جمادى الاولى

وصل ما صدر من العسكر يخبر ان العدو قد خرج في جماعة وفارس منه وان
عظيم وخيم على تل الصافية فسير السلطان قدس الله روحه الى العساكر
الاسلامية ينذرها ويحذرها ويستدعي الامراء اجوبته الى عنده بعد
راى ابتغى العمل بمقتضاه فوصل ورحل العدو من تل الصافية الى جانب
النطرون فنزل شماليه وذلك في سادس عشري جمادى الاولى وكان
قد سار من عرب الاسلام جماعة الى يافا فوصلوا عابرين من
غير علم بحركة العدو فنزلوا في بعض الطريق يقتسمون فوقعت عليهم
عساكر العدو واخذوهم وهرب منهم ستة نفر فوصلوا الى السلطان
واخبروه الخبر ووصلت الجواسيس واصحاب الاخبار من جانب العدو
يخبرون انه قد نزل بالنطرون لنقل الازواد والالات التي تدعو الحاجة اليها
في الحرب فاذا حصل عندهم ما يحتاجون اليه قصدوا القدس الشريف وفي
يوم الاربعاء وصل منهم رسول صحبه غلام كان للمشطوب عندهم يحدث
في معنى قراقوش ويجدد نوع معنى الصلح **ذكر نزولهم في بيت**
نوبة وهو موضع وطاه بين جبال بينه وبين القدس مرحلة فرحلوا
من النطرون يوم الاثنين سابع عشرين من [illegible] ونزلوا ببيت

نوبه ولما عرف السلطان رحمه الله عليه ذلك استحضر الامرا وضرب
مشورا فيما يفعل وكان خلاصة الراي ان يقسم الاسوار على الامرا ويخرج
بنفسه الى جهة العدو فاذا عرف عزم موضعهم من السور
واستنجد وناله ودعت الحاجه اليهم خرجوا وان دعت الحاجه الى
ملازمة مواضعهم لازموها فكتبت الرقاع وسيرت الى الامرا ذكر
وقعه جرت وكان طريق يافا وعسقلان يمتد الى العدو المخذول
فامر السلطان قدس الله روحه من في اليزك ان يعمل معهم ما يمكنه وكان
في اليزك بدر الدين دلدرم فكمن حول الطريق كمينا فصادف جماعه من قوم
جمع من رجالة العدو يحمون قافله تحمل ميره فاستضعفهم فحملوا عليهم
وجرى قتال عظيم كانت الدبره فيه على العدو وقتل منهم عشرا واسر جماعه
ووصل الاسارى يوم السبت تاسع عشر جمادى الاولى الى القدس
الشريف وكان ادخالهم وقع عظيم وجرى على العدو من ذلك وهن
عظيم وقويت قلوب اليزكيه وانبعثت هممهم حتى حملوا على العسكر
ونزلوا الى اطراف الخيم والله اعلم ذكر وقعه اخرى
ولما علم المسلمون ان القوافل لا تنقطع خرج جماعه واخذوا معهم عربا

كثيره وكمنوا كمينا واجازت القافله ومعها جمع كثير فخرجت العرب
على القافله فتبعتهم الخياله فاندرجوا بين ايديهم منهزمين نحو المسلمين
فخرجت الامرا الكمين عليهم فاطردوا منهم وقتلوا وجرح ومن الامرا جماعه
وذلك في يوم الثلثا ثالث جمادى الاخرى سنة ثمان وثمانين وخمسمايه
ذكر اخذ قافلة مصر رحمها الله تعالى
وكان قد تقدم السلطان قدس الله روحه الى عسكر مصر بالمسير وتقدم اليهم
بالاحتراز والاحتياط عند مقاربة العدو واقاموا ببلبيس اياما حتى
اجتمعت القوافل اليهم واتصل خبرهم بالعدو المخذول ثم ساروا طالبين
البلاد والعدو يترقب اخبارهم ويتوصل اليهم بالعرب المفسدين
ولما تحقق العدو خبر القفل امر عسكره بالاهبة الى سفح الجبل وركب
في الف راكب مردفين الف راجل وامر العسكر بالاحتياط والتحفظ
وسار حتى اتى تل الصافيه فبات ثم سار حتى اتى تل الصافيه ثم علق على
خليه فيه وسار حتى اتى ما يقال له الحسى واتصل خبر نهضة العدو
انفذ واخبر القافله وكان المندوب لذلك ابن الحراسلم والنبا العاربي
وجماعه من الفرسان للذكر وامرهم ان يصعدوا بالقفل في البريه ويبعدوا ثم

على العدو مهما امكن فاتفق ان العسكر وصل الحسى قبل وصول العدو اليه
فلم يقعوا عليها وساروا حتى اتصلوا بالقفل والعسكر المصري فاتوا بالقفل
على ذلك الطريق فقد منهم بانهم لم يجدوا في الطريق ذا عرا ورد الجشو فيه
لخوف فرعبوا في قرب الطريق وسلكوا بالناس على غير الطريق
فوصل الناس الى ماء يقال له الخويلفة وتفرق الناس لاجل الما فاخبرت
العرب العدو بذلك وهو نازل براس الحسى فقام من وقته وسرى حتى
اتاهم قبيل الصبح وكان مقدم العسكر المصري فلك الدين اخو الملك العادل
لامه فاشير اليه بالمسير لئلا يقطع الطريق واستظهارا بالصعود الى
الجبل فخاف فلك الدين ان يرحل بالليل حوكى في الليل امر على القافلة
لبعدها فنادى في الناس الا يرحلوا الا بالصباح والا الاختيار للعدو
فانه بلغنا انه لما بلغه الخبر لم يصدق به فركب مع العرب بجمع يسير وسار
حتى اتى القفل وطاف حوله في صورة عربي وراهم ساكنين قد غشيهم
النعاس فعاد واستركب عسكره وكانت الكبسة قريب الصباح فقيض
الناس ودفع بخيله ورجله فكان الشجاع الاشد القوي الذي ركب فرسه ونجى
بنفسه وانهزم الناس الى جهة القفل والعدو بتلوهم فلما رأوا القفل اعتنوا

عن قتال العسكر وطلبوا القفل فانقسم القفل بلطف الله اقسام قسم قصدوا
الكرك مع جماعة من العرب وعسكر الملك العادل وقسم ادخلوا في البرية
مع جماعة من العرب وقسم استولى عليهم فاخذهم بجمالهم واحمالهم
وجميع ما معهم وكانت وقعة شنيعة لم يصب الاسلام بمثلها من مدة
مديدة وكان في العسكر المصري جماعة من الامراء منهم حسين الجراحي وفلك الدين
وبني الكاولي وغيرهم من الامرا وقتل من العدو نائبه فارس على رواية
وعشرون انفس على رواية ولم يقتل من المسلمين معروف سوى الحاجب يوسف
وابن الحادي الصغير فانهما استشهدا الى رحمة الله تعالى وكان السلطان
قدس الله روحه حمل مع ابن الكرزي جمال دونه وسلم وتقدم عند السلطان
بسبب ذلك وتبدد الناس في البرية ورموا اموالهم وكان السعيد منهم
من نجى بنفسه وجمع العدو ما اندرج من الجمال والاحمال والاقمشة وسائر
انواع الاموال وهلك جماعة من خدمة الجمال والخربندية خدمة البغال
والساسة خدمة الخيل وسار في جحفل من غنيمة يطلب عسكره فنزل على الخويلفة
وسقى منها ثم سار حتى اتى الحسى ولقد كان خلق من كان اسيرا معهم لتلك
تلك الليلة وقع فيهم الصوت ان العسكر السلطاني قد قصدهم فتركوا الغنيمة

واتهموا وتجروا عنها زمانا فلما انكشف لهم ان العسكر لم يلحقهم عادوا
الى ارحل وهرب في تلك الغيبة جمع من الاسارى المسلمين وكان الحاكي
منهم فسالته كم حزرتم الجمال والخيل فاخبر ان الجمال كانت ثلاثة
الاف جمل والاسارى خمسمائة وازيد عدد الخيل اخبر بذلك جماعة وكانت
هذه الوقعة صبيحة الثلثا حادي عشر جمادى الاخرة سنة ثمان وثمانين ووصل
الى السلطان قدس الله روحه في عشية ذلك اليوم بخبر عشنا الاخبار وكانت
حاشا في حديثه ووصل اليه خبر شاب من الاصطبل فامر السلطان خبر الى
منه في قلبه ولا اكثر تشويشا منه لها بلطفه واخذ في تسكينه وتسليته
وهو لا يكاد يقبل الى الساعة محل الى اصل القضية ان اميرا اخر اسمه الشار
عليهم انهم يصعدون الجبل مع تقولوا فلم يفعلوا فصعد هو الجبل واصحابه
فلما وقعت الكبسة كان هو على الجبل لم يصل اليه احد من العدو ولم ينجد
بنجدة ولما انهزم المسلمون تبعهم خيالة الفرنج واقام الرجالة منهم يسوقون
ما تخلف من المسلمين من الاقمشة فلما لحق امير اخر ان الخيالة قد بعدت
عن الرجالة نزل اليهم بمن معه من الجبل ليسوقهم من جنب الشعر ودخلوا
منهم جماعة وغنموا منهم دوابا من جملتها بغل كان تحت هذا القاصد ثم سار

العدو بطلب خيامهم وكان وصولهم الى مخيمهم في سادس عشر جمادى الآخرة
وكان يوما عندهم اظهروا فيه السرور واستبشروا بما اخذوه وعزموا على العود
بخيمهم الى الوطاة على بيت نوبه وصح عزمهم على القدس وقويت نفوسهم
بما حصلوا عليه من الاموال والجمال التي تنقل الميرة والازواد والاحمال
من مصر مع عسكرها ورتبوا جماعة على المحفوظين الطريق على من ينقل
الميرة والتبن والاخرهري الى صور وطرابلس وغيرها فاستنهض منها
من المقاتلة ليصعدوا الى القدس ولما عرف السلطان قدس الله روحه
ذلك منهم عمد الى الاسوار فقسمها على الامرا وقدم اليهم بتهيئة اسباب
الحصار واخذ في افساد المياه التي حول القدس بخرب الصهاريج والجباب
بحيث لم يبق حول القدس ما يشرب اصلا في ذلك الطرف عظيما وارض
القدس لا يطمع في حفر بير فيها ماء معين فيقطعها الا انها جبل عظيم وحجر
صلد وسير الى العساكر يطلبها من الجوانب والبلاد

ذكر قدوم الملك الافضل

وكان لما استقرت القاعدة مع الملك العادل في
عبوره الى البلاد الفراتية سير الى الملك الافضل يامره بالعود من فصله
تلك البلاد وكان قد وصل الى حلب المحروسة فلما وصله امر السلطان

الفوت عاد مع انكسار في قلبه وتشوش في باطنه فوصل الى دمشق متعتبا
ولم يحضر الى خدمة السلطان فلما اشتد خبر الفرنج سير اليه وطلبه فما
وسعه التاخر فسار معه من كان تخلف من العساكر الشرقية الى دمشق
وكان وصوله في يوم الخميس تاسع عشر جمادى الاخرة فلقيه السلطان فقربه
العا[illegible] به وترجل له اكثر العالية وتعظم الامر وسار وفي خدمته اخواه
الملك الظافر وقطب الدين فظاهر القدس من جهة العدو ذكر

عود العدو الى بلادهم وسبب ذلك

لما كانت ليلة الخميس تاسع عشر
جمادى الاخرة احضر السلطان قدس الله روحه الامرا عنده لحضور الامير ابو
الهيجا مشقة عظيمة وطرش على كرسي في خيمة السلطان وحضر المشطوب
والاسدية باسرهم وجماعة الامرا امرني ان احلفهم واحثهم على الجهاد فذكرت
ما يسر الله من ذلك وكان ما قلته ان النبي صلى الله عليه وسلم لما اشتد به الامر
بايعه الصحابة رضي الله عنهم على الموت في لقا العدو ونحن اولى من تأسى
به صلى الله عليه وسلم والمصلحة الاجتماع عند الصخرة والتحالف على الموت فلعل
بركة هذه النية يندفع هذا العدو فاستحسن الجماعة ذلك ووافقوا عليه
ثم شرع السلطان قدس الله روحه بعد ان سكت زمانا في صورة مفكر والناس

سكوت كان على رؤوسهم الطير ثم شرع وقال الحمد لله والصلاة على رسول
الله اعلموا انكم جند الاسلام اليوم ومنعته وانتم تعلمون ان دما المسلمين
واموالهم وذراريهم معلقة في ذممكم فان هذا العدو ليس له من المسلمين
من يلقاه الا انتم فان لويتم اعنتكم والعياذ بالله طوى البلاد طي السجل
للكتاب وكان ذلك في ذمتكم فانكم انتم الذين تصديتم لهذا واكلتم مال
بيت المال فالمسلمون في سائر البلاد متعلقون بكم والسلام فانتدب لجوابه
سيف الدين المشطوب وقال يا مولانا نحن مماليكك وعبيدك وانت الذي
انعمت علينا وكبرتنا وعظمتنا واعطيتنا واغنيتنا وليس لنا الا رقابنا
وهي بين يديك والله ما يرجع احد منا عن نصرتك الى ان نموت فقال
الجماعة مثل ما قاله فانبسطت نفسه بذلك المجلس وطاب قلبه واطعمهم
ثم انصرفوا ثم انقضى يوم الخميس على اشد حال من التاهب والاهتمام حتى
كان العشا الاخرة واجتمعنا في خدمته السلطان على العادة وسمرنا حتى
مضى هزيع من الليل وهو غير منبسط على عادته ثم صلينا العشا وكانت
الصلاة هي الدستور العام فصلينا واخذنا في الانصراف فاستدعاني رحمه
الله عليه فلما جلست في خدمته قال لي علمت ما الذي تجدد فقلت وما الذي

اجتمع عندى

خفية قال ان ابا الهيجا انفذ الي اليوم وقال لي جماعة المماليك والامرا وانكروا
علينا موافقتنا لك على الحصار والتاهب له وقالوا لا مصلحة في ذلك فانا نخاف
ان نحصر ويجري علينا ما جرى على اهل عكا وعند ذلك توخذ بلاد الاسلام
اجمع والراي ان نلقا مصافا فان قدر الله تعالى ان نهزمهم ملكنا
بقية بلادهم وان تكن الاخرى سلم العسكر ومضى القدس وقد انحفظت
بلاد الاسلام بعساكرها مدة بغير القدس وكان رحمه الله عنده من
القدس امر عظيم لا تحمله الجبال فشق عليه هذه الرسالة واقمت تلك
الليلة في خدمته حتى الصباح وهي من الليالي التي احياها في سبيل الله رحمه الله
وكان من ما قالوا في الرسالة انك ان اردتنا نقيم فتكون معنا او بعض اهلك حتى
نجتمع عنده والا فالاكراد لا يدينون للاتراك والاتراك لا يدينون للاكراد
وانفصل الحال على ان يقيم من اهل بيته الاتابك مجد الدين ابن فرخشاه صاحب بعلبك
وكان رحمه الله يحدث نفسه بالمقام ثم منعه رايه عنه لما فيه من خطر الاسلام
فلما قارب الصبح اشفقت عليه وخاطبته في ان يستريح ساعة لعل العين
تاخذ حظها من النوم وانصرفت عنه الى داري فما وصلت الا والموذن قد
اذن فاخذت في اسباب الوضو فما فرغت الا والصبح قد طلع وكنت اصلي

الصبح معه رحمه الله على دوام غالب الاحوال فعدت الى خدمته وهو يجدد
الوضو فصلينا ثم قلت له رحمه الله عليه قد وقع لي واقع اعرضه فاذن
فقلت المولى في اهتمامه وما قد حمل نفسه من هذا الامر مجتهد فيما هو
فيه وقد عجزت اسبابه الارضية فينبغي ان يرجع الى الله تعالى وهذا
يوم الجمعة وهو ابرك ايام الاسبوع وفيه دعوة مستجابة في صحيح
الاحاديث ونحن في ابرك موضع نقدر ان نكون فيه في يومنا هذا فالسلطان
يغتسل للجمعة ويتصدق بشي خفية بحيث لا يشعر انه منك وتصلي بين الاذان
والاقامة ركعتين تناجي فيهما ربك وتفوض مقاليد امورك اليه وتعترف
بعجزك عما تصديت له فلعل الله يرحمك ويستجيب دعاك وكان رحمه الله
على حسن العقيدة تام الايمان يتلقى الامور الشرعية باكمل انقياد وقبول
ثم انفصلنا فلما كان وقت الجمعة صليت الى جانبه في الاقصى وصلى ركعتين
ورايته ساجدا وهو يذكر كلمات ودموعه تتقاطر على مصلاه رحمه الله
ثم انقضت الجمعة فلما كان عشيتها وصلت رقعة من جورديك وكان في اليزك يقول فيها ان القوم ركبوا باسرهم ووقفوا
في البر على ظهر ثم عادوا الى خيامهم وقد سيرنا جواسيس تكشف اخبارهم

ولما كان صبيحة يوم السبت وصلت رقعة لحزني تخبر فيها ان الخوارزمية رجعوا
واخبروا ان القوم اختلفوا في الصعود الى القدس والرحيل الى بلادهم فذهب
العرب بسببه الى الصعود الى القدس وقالوا نحن ما جينا من بلادنا بسبب القدس
ولا نرجع دونه وقال الاخبار ان هذا الموضع فقد افسدت مياهه ولم يبق
حوله ما الصلاة من اين نشرب فقالوا له نشرب من ماء تقوع وبينه وبين
القدس مقدار فرسخ فقال كيف نذهب الى السقي فقالوا نقسم قسمين قسم يركب
الى السقي مع الدواب وقسم يبقى على البلد في المنزلة ويكون الشرب في اليوم
مرة فقال الاخبار اذا اخذ العسكر البراني الذي يذهب مع الدواب ويخرج
عسكر البلد على الباقين ويذهب دون النصر لنا فما نقصل الحال على ان رحلوا
بلادهم مراعيتهم وحلوا الاشهاد اثني عشر منهم وحكم الاسلاعر ثلثة منهم
وقد يابوا على حكم الثلثة فاما مودتهم به يفعل فلما اصبحوا حملوا عليهم بالرحيل
فلم يكنهم المخالفة واصبحوا في بحر الحادي والعشرين من جمادى الاخر والحلبي
الى نحو الرملة وعلى اعقابهم والله اكبر ما اصبح ووقف عسكرهم شاكا في السلاح
الى ان لم يبق في المنزلة الا الاثار ثم نزلوا بالرملة ووصل الخبر بذلك فرد السلطان
قدس الله روحه ورد الناس فكان يوم سرور وفرح ولحق السلطان قدس الله

روحه خان على مصر المحروسة لما حصلوا عليه من الكمال والظفر وكانت مدة
الاخبار بتنقل هذا الكتاب مرارا ان

ذكر رسالة الاخدهري

ولما فرغ بال السلطان من رحيل العدو واستحضر رسول الخدهري لسماع رسالته
فحضر بين يديه رحمه الله عليه وان ادى اداء الرسالة فقال ان الخدهري
يقول ان الافرنج قد انقطعا في البلاد الساحلية وهي الان لي فاعد علي بلادي
حتى اصالحك واقدم اجدادي فغضب السلطان لذلك غضبا عظيما
بحيث شكا وتنقش يده فاقيم من بين يديه فسأل ان يمهل حتى يقول كلمة اخرى
فاذن له في ذلك فقال يقول ان البلاد في يدك فما الذي يحطبني منها فانهزم
والغانمة ولما كان يوم الثالث والعشرين من جمادى الاخر استحضر الرسول
وكان جوابه يكون الحديث بيننا في صور وعكا على ما كان مع الرئيس ثم
ثم وصل بعد ذلك الحاجي يوسف صاحب المشطوب من القريح وذكر ان الانكار
حضر واحضر الخدهري واخلا المجلس وقال له تقول لصاحبك انا وانت
نحن وانتم والملاطيح حتى الدماء لا ينبغي ان تعتقد ان ذلك الرعي صحيح بني
بل للصلح ويكون هو الواسطة بيننا وبين السلطان ولا تعتبر لعن
منزلي ما بين ناخر لنطح والقدم مع الحاجي شخصين يسمعان الكلام من

المنسوب وكان ظاهر الحال الكلام في معنى اطلاق بها الذين لم اوش
وباطنه في معنى الصلح والخبر للحاجب انهم رحلوا عن الرملة قاصدين يافا
وانهم على غاية من الضعف والعجز عن قصد مكان فاستحضر المنسوب من
يافا لسماع الرسالة فحضر وكان الجواب ان الكندهري قد اعطى عكا ومن
اصابهم على يده وبيركا والاجناد في بقية البلاد **وقعة جرت على عكا**

وذلك انه كان رحمه الله عليه قد جعل في مقابلة عكا عسكرا اختشيه خروج
العدو الى تلك النواحي التي تليهم فلما كان يوم الاحد الثاني والعشرين من جمادى
الآخرة خرج العدو والخيالة من عكا عابرين على ظلمها من البلاد والرساتيق
فثارت عليهم الكمناء من جوانب وكان في شعر العسكر الشلاي
خروجهم فكمن لهم فاخذوا واسر منهم جماعة وقتلوا جماعة والله الحمد **ذكر عود رسولهم**
في معنى الصلح ولما كان يوم الجمعة سادس عشري جمادى الآخرة عاد رسولهم
صحبة الحاجب يوسف وقد حمل الحاجب يوسف رسالة يؤديها بالحضور صاحبهم هي
ان الملك يعني الانكتار يقول انا راغب في مودتك وصداقتك وانه لا يريد ان
يكون فرعون يملك الارض ولا يظن فيك ذلك ولا يجوز لك ان تملك المسلمين كلهم
ولا يجوز لي ان اهلك الفرنج هم وهذا ابن اختي الكندهري قد ملكته هذه الديار

وسلمته اليك يكون هو وعسكره بحكمك ولو استدعيتهم الى الشرق سمعوا
واطاعوا ويقول ان جماعة من الرهبان والمنقطعين قد طلبوا منك كنائس
فما بخلت عليهم بها وانا اطلب منك كنيسة وتلك الامور التي كانت تضيق
صدرك مما كان يجري في المراسلة مع الملك العادل قد تركت رضاها واعرضت
عنها ولو اعطيتني مقرعة او خرقة قبلتها وقبلتها فلما سمع السلطان هذه
الرسالة جمع ارباب الرأي واصحاب مشورته وسألهم عما يكون جواب
هذه الرسالة فما منهم الا من اشار بالمجاملة وعقد الصلح لما كان قد اخذ
المسلمين من الضجر والتعب وعلاهم من الديون واستقر الحال على هذا
الجواب الى اذا دخلت معنا هذا الدخول فما جزاء الاحسان الا الاحسان
ابن اختك يكون عندي كبعض اولادي وسيبلغك ما افعل في حقه من الخير وانا
اعطيك اكبر الكنائس وهي القمامة وبقية البلاد نقسمها فالساحلية
التي بيدك الآن تكون بيدك والتي بايدينا من القلاع الجبلية تكون لنا وما بين
العملين يكون مناصفة وعسقلان وما وراءها يكون خرابا لا لنا ولا
لكم وان اردتم قراياها تكون لكم والذي كنت اكرهه خراب عسقلان
وانفصل الرسول طيب النفس وذلك في ثاني يوم قدومه وهو الثاني

والعشرين من جمادى الآخرة من سنة ثمان واتصل الخبر انهم بعد وصول
الرسل اليهم رحلوا الى جهة عسقلان طالبين جهة مصر ووصل يوم
يوم الجمعة سابع وعشرين من جمادى الآخرة رسول من جانب قطب الدين
بن قلج ارسلان يقول ان البابا قد وصل الى قسطنطينية في خلق لا يعلم
عددهم الا الله تعالى وقال الرسول انني قتلت في الطريق اثنا عشر فرسا
ويقول تقدم الى من يتسلم بلادي فاني قد عجزت عن حفظها ولم يصدق السلطان
هذا الخبر ولم يجزع به

ذكر عودة رسول الفرنج الينا

ولما كانت عشية الاحد التاسع والعشرين من جمادى وصل الحاجب
صاحب المشطوب ومعه حصري رسول الملك وقال ان الملك يشكر انعام
السلطان ويقول ان الذي اطلبه منك ان يكون لنا في قمامة القدس عشرون
نفسا وان من سكن من النصارى والفرنج في البلد لا يتعرض اليهم واما
بقية البلاد فلنا منها الساحليات والوطاة والبلاد الجبلية لكم واخبرنا
الرسول من عنده بنفسه ناصحة انهم قد نزلوا عن القدس ما عدا الزيارة وانما حديث
يقولون ذلك تصنعا وانهم راغبون في الصلح وان الانكتار لا بد له من الرواح
الى بلاده واقام يوم الاثنين سلخ الشهر وكان معه في هذه الدفعة بازان هدية

السلطان فاستحضر الامرا باسرهم وشاورهم فيما يكون جوابا للملك
الرسالة واتفق الكل على هذا الجواب وهو ان القدس ليس لكم
منه حديث سوى الزيارة فقالوا للرسول وليس على الزوار شيء يوخذ
منهم فعلم من هذا الموافقة واما البلاد فعسقلان وما وراها لا بد
من خرابه فقال الرسول قد خسر الملك على سورها مالا كثيرا فالاجود ان يسال
المشطوب للسلطان رحمه الله عليه ان يجعل مزارعها وقراها له
في مقابلة خسارته فاجاب بان الداروم وغزة تخرب ويكون بلدها
مناصفة واما باقي البلاد فيكون لهم من يافا الى صور باعمالها ومهما
اختلفا فيه تكون مناصفة وهذا الجواب رسالته وسار في يوم
الاثنين مستهل رجب سنة ثمان وثمانين ومعه الحاجب يوسف وكان
قد طلب رسولا مذكورا ليحلفه لما استقرت القاعدة فلحق السلطان
رحمه الله عليه تسيير الرسول الى حين استقرار القاعدة وانفذ لهم هدية
حسنة في جواب هديتهم وما كان رحمه الله يغلب في الهدايا

ذكر عود الرسول

وكان عودهم ومضى من الليل ...
من ليلة الثالث من شهر الله رجب حضر الحاجب ليلا واخبر السلطان

الملطه وحضر الرسول في بكرة الخميس الثالث من رجب وادى الرسالة
وهي ان الملك يسالك ويخضع لك في ان تترك له هذه البلاد اللتي
كانت معه والي فتدلها عنده مركك وعظمتك وما سببا تراده
ها الا ان الفرنج لم يسمحوا بها وهو قد نزل القدس بالكلية لا يطلب
ان يكون فيه رهبان ولا قسوس الا في القمة وحدها فتترك له ان هذه
البلاد ويكون الصلح عاما فيكون لهم ما في ايديهم من الداروم الى انطاكية
وتسلم ما في ايديكم وينتظم الحال ويروح وان لم ينتظم الصلح فالفرنج ما
يمكنونه من الرواح ولا يمكنه مخالفتهم فانظر الى هذه الصناعة في
استخلاص الغرض باللين تارة والخشونة اخرى وكان لعنه الله مضطر
الى الرواح وهذا عمله مع اضطراره والله المسؤول في ان يكفي المسلمين شره
فما بلوا باعظم حيلة ولا اشد اقداما منه ولما سمع السلطان رحمه الله
عليه هذه الرسالة احضر الامرا وارباب الراي من دولته وسالهم عن الجواب
ما يكون فكان خلاصة الراي هذا الجواب وهو ان انطاكية لنا معهم
حديث ورسلنا عندهم فان عادوا بما نريد ادخلناهم في الصلح والا فلا
ولنا البلاد التي يتعلق بها فلا يرى المسلمون على دفعها اليه والا فلا [illegible]

والمأمور عسقلان فما حدى ممالبه مما خرب عليه اثم الى الوطاه ونزل
الرسول بعد الجمعة رابع رجب سنة ثمان وثمانين **ذكر قدوم رسول**
الملك الظاهر صاحب حلب ولما كان يوم السبت الخامس
من رجب وصل رسول الملك الظاهر وكان [illegible] الحبيب له وارد [illegible] بحاجبه
لما يراه فيه من امارات السعادة وصفات النجابة وتوسم الملك فخرج
السلطان قدس الله روحه الى القاقبه فلقيه من قبلي الخازندار فانه
وصل على العود ونزل له عند القاقبه واحترمه وضمه اليه وقبل
بين عينيه ونزل في دار الاستبار ن **ذكر عود الرسول ابنا**
ولما كان يوم الاحد السابع من رجب وصل الحاج يوسف وحده
وذكر ان الملك قال له [illegible] ان خرب عسقلان عجزا ولحرا ولا
يسمح عنا في البلاد مثل ذلك ولنا البلاد فحدودها معروفة لا نشاحح
فيها وعند ذلك [illegible] السلطان رحمه الله عليه الخروج الى جهة الحد
واظهار القوة وشدة العزم على القتال **ذكر غزوة رحمه الله عليه**
ولما كان العاشر من رجب خرج السلطان رحمه الله عليه الى الفرنج
خذلهم الله تعالى فقد رحلوا طالبين نحو بيروت فبرز الى منزله يقال

واكرمه

[illegible]

بالجيب وكان قدوم الملك العادل من البلاد الفراتية في يوم جمعة
الحادي عشر من رجب ودخل الصخرة وصلى عندها ثم توجه يتبع السلطان
ثم ان السلطان رحل من الجيب الى بيت نوبة وبعث الى العساكر
المصرية يحثهم على الخروج واللحوق به ولحق السلطان ببيت نوبة
ثاني لحق قد تخلف عند ابيه للاستعداد ثم رحل في الاحد ثالث عشره
الى الرملة فنزل بها ضاحي نهاره على تلال من الرملة ولد واقام بها بقية
الاحد ولما كان صبيحة الاثنين رابع عشره ركب وسار حتى اتى يازور
وبيت دجن واشرف على يافا ثم عاد الى منزلته واقام بها بقية يومه
وجمع ارباب مشورته وشاورهم في النزول على يافا واتفق الرأي على
ذلك **ذكر حصار يافا** ولما كان صباح الثلثا خامس عشره رحل
طالبا جهة يافا فخيم عليها ضاحي نهاره ورتب العسكر ميمنة وميسرة وقلبا
وكان على البحر وطرف الميمنة ايضا على البحر والسلطان في الوسط وكان
صاحب الميمنة الملك الظاهر وصاحب الميسرة اخوه الملك العادل
والعساكر فيما بينهما ولما كان سادس عشر الشهر زحف الناس اليها واستصغروا
امرها استصغارا عظيما ثم رتب السلطان رحمة الله عليه الناس للقتال والحصر

المنجنيقات ورتبها على اضعف موضع في السور مما يلي الباب الشرقي
وكان في ذلك اليوم على جزء من حائط قباله المنجنيقات واطلق
النقابين في السور وارتفعت الاصوات وعظم الضجيج واشتد الزحف
واخذ النقابون النقب من شمالي الباب الشرقي الى الزاوية طول الجانب المكان
وكان قد هدم المسلمون ذلك في الحصار الاول وبناه الفرنج ولم الغا
من النقب ودخلوا فيه ولم يشك الناس في اخذ البلد في ذلك هلا
واسرا العدو في زيادة وكان الملك في عكا قد توجه الى جهة بيروت
وهذا الذي حمل السلطان على نزوله على يافا ثم انفصل ذلك اليوم عن
قتال شديد وقد ضرس العدو منه وظهر من العدو من الشدة والحماية
والذب والمنع ما اضعف قلوب الناس فعملوا النقابون قد لاحوا
من النقب علا فارب الفراغ اخذ العدو في حشو النقب عليهم فخسف
في موضع عند هدان النقابون وخرج منهم جماعة وتفاتر الناس عن
القتال وعلموا ان امر البلد مشكل وانه يحتاج الى زيادة عمل فاخذ
بحزم السلطان رحمه الله وحد عزمه لذلك وامر النقابين ان ياخذوا
النقب في بقية البدنة من البرج الى الباب وامر المنجنيقات ان تضرب

قبالة البدنة المنقوبة ففعلوا ذلك واقام السلطان الى الليل هناك
الى ان مضى من الليل مقدار ثلثه وعاد الى الثقل وكان الثقل بعيدا عن
البلد على [illegible] ساعة واصبحت المنجنيقات وقد اقيم منها اثنان واقيم الثالث
في ذلك النهار واصبح السلطان على القتال والزحف فلم يجد من الناس
ميلا الى القتال بسبب نصب المنجنيقات ظنا منهم ان المنجنيقات لا تحل الا
بعد ايام فلما علم السلطان قدس الله روحه من الفاترة اتوا اهل حملهم
على الزحف والتحم القتال واشتد الامر واذاقوا العدو مر الامر واشرف
البلد على الاخذ وايقنت النفوس به وطمعت في ذلك طمعا شديدا وضعف
العدو الا انه جرح من المسلمين جماعة [illegible] والزبوك من البلاد منهم
الحاجب ابو بكر وخلج والي بعلبك واصيب بجنبه وطغرل الناجي
وسر استنقر في وجهه وهاس منقوبي المماليك وابار جوكس في يده
وهو من جارهم ولما راى العدو المخذول ما قد حل بهم ارسلوا رسولين
نصرانيا وفرنجيا يطلبان الصلح ويتحدثان فيه فطلب السلطان منهم فاعل
القدس وقطيعته فاجابوا الى ذلك واشترطوا ان ينظروا الى يوم السبت
الذي هو سابع عشر رجب فان جاءتهم نجدة [illegible] القاعدة على كذا

استنفرى فابى السلطان الانتظار وعاد الرسول ثم رجعوا ايضا الى وقت
الانتظار فابى ذلك وتقاعد الناس عن القتال بسبب تواتر الرسل الى ما
الى الزمة على جاري العادة فامر السلطان النقابين بحشو النقوب
التي نقبوها ففعل ذلك ووضعت النار فيه فوقع بعض البدنة وكان العدو
قد عرف وقوع النار في النقب وعلم ان ذلك المكان يقع فعمد الى
اخشاب عظيمة وهيأها خلف ذلك المكان فلما وقع ذلك المكان احرق
النيران ومنعت من الدخول في الثلمة في امر السلطان فرجعوا وكانوا قوم
مصابرة عظيمة ولله درهم من رجال القتال ما اشدهم واعظم باسهم فانهم
مع هذا كله يغلقون الباب [illegible] خارج الابواب ولم يزل
الناس في اعظم قتال الى ان فصل الليل بين الطايفتين ولم يقدر على البلد
في ذلك بعد حرق النقوب في باقي البدنة وضاق صدر السلطان لهذا
الامر وتقسم فكره وندم كيف لم يجبهم الى الصلح وبات تلك الليلة في
المخيم وقد عزم على ان يقيم تمام خمسة مناجيق يضرب بها البدنة
الصغيرة بسبب النقوب بالنيران وتحنيف من جانبهم

ذكر فتح يافا وهي اول الفتح الثاني وما جرى عليها من الوقائع

ولما كان يوم الجمعة ثامن عشر رجب سنة ثمان وثمانين اصبحت المنجنيقات
وقد نصبت وحجارتها قد جمعت من الاوادي والاماكن البعيدة لعدم
الحجر في ذلك وطلبت ترمي البدنة المنقوبة وزحف السلطان قدس الله
روحه وزحف ولده الملك الظاهر زحفا شديدا وزحف عسكر الملك
العادل من الشرق فانه كان مريضا وارتفعت الاصوات وضربت
الكوسات وخفقت المنجنيقات والجاهم الويل من كل جانب واشتد
عزم النقابين في ايقاد النار فما ارتفع من النهار الا وقد وقعت
البدنة وكان وقعها كوقع الصاعقة ونادى الناس الا ان البدنة قد وقعت
فلم يبق من له ادنى ايمان الا وزحف ولم يغلب العدو الا رعدا وزحف
هذا وهم على القتل اشد حرصا وعلى الموت اعز واكرم وذلك ان البدنة
لما وقعت علا غبارها ودخانها واظلم الافق وعميت عين النهار وما تجاسر
احد على الولوج خوفا من اقتحام النار فلما انكشفت الظلمة ظهرت اسنة
قد نابت مناب الاسوار ورماح قد سدت الثلمة حتى عن نفوذ الابصار
ورأى الناس هولا عظيما من صبر القوم وثباتهم وشدة جراءتهم
وسكناتهم ولقد رأيت رجلين على ممشى الصورة يدفعان المتسلق فيه

من جهة الثلمة وقد اتى احدهما بحجر المنجنيق فاخذه وتولى الحائط
وتمام كذا يقوم مقامه متصديا بالقتل والحية اسرع من لمح البصر حتى لم
يفرق بينهما الا ناظر بصير ولما رأى العدو ما قد آل الامر اليه سيروا
رسولين الى السلطان قدس الله روحه يطلبان الامان فقال رحمه
الله القادر من فارس وفرس الفارس بمثله والراجل بالراجل والعاجز كما يحكم
القدس فحضر الرسولان راي القتال على الثلمة اشد من ضرام النار
فسأل السلطان ان يبطل القتال الى ان يعود فقال ما اقدر على منع
المسلمين من هذا الامر ولكن ادخل الى اصحابك وقل لهم يتحازون الى القلعة
ويتركون الناس يشتغلون بالبلد فما بقي دونه مانع وعاد الرسول يطلب
الرسالة فانحاز عدو الله الى قلعة يافا بعد ان قتل منهم جماعة كثيرة
ودخل الناس البلد عنوة ونهبوا منها قماشا عظيما وغلالا كثيرة واثاثا
ونقايا قماش ما نهب من اثقال المصريين واستغرقت القافلة على الرحبة
الذي نهبه السلطان ولما كان عصر يوم الجمعة المبارك وصل السلطان
رحمه الله عليه خبر يافا النجمي وكان في طريق العدو بحيث يقصد عكا
العدو الذي في عكا نجدة ... انا لما سمع خبر يافا اعوص عن

القلعه ونخرجوا اليوم ونستولوا على الكعه بما فيها من الحواصل والاسلحه
وتحنها نحطك الى الملك الظاهر وهو خارج الباب فهو يسيرها الى
عندنا وسير معى لتقويه القلب على ذلك عز الدين جورديك وعلم الدين
قيصر ودرباس الفقراني فسرت من ساعتى ومعي شمس الدين عدل
الخزانه حتى اتيت منزله ولد الملك الظاهر وهو نايم في شليته على تل
قريب الحوف البزل وعليه لاتغيره وهو بلامه يحوبر والاصبع الله
لهم صنيعهم في نصره الاسلام فايقظته وقام والنوم في عينيه ومرت
في خدمته وهو يستفهم مني رساله السلطان رحمه الله حتى وقف حتى
امر دخلنا نحن الى بابا واتينا القلعه وامرنا الفرنج بالخروج منها
فاجابوا الى ذلك وتهيوا للخروج **ذكر كيفية بقا القلعه**

وكان ذلك في بكره السبت تاسع عشر رجب سنه ثمان وثمانين ولما
جابوا الى الخروج قال عز الدين جورديك لا ينبغي ان يخرج منهم احد حتى
تخرج الناس من البلد خشيه ان يخطفوهم وكان الناس قد ادخلهم
الطمع في البلد واخذ عز الدين يشتد في ضرب الناس واخراجهم
غير مصوطين بعلمهم ولا يحصر بن يمان مليف بكر اخراجهم

فقصد بيروت ويقاد الى قصد يافا فاشتد عزم السلطان على تتمه
السور وتسلم القلعه وكنت ممن لم ير الامان لانه قد راح احدهم وكان
الناس لهم مده لم يطعموا واشتد الحر وعظم بؤسهم عليهم فكان احدهم
عشرة ثما بعث هم الحسد عبر ان الامان وقع واتفق الصلح فلانت
بعد ذلك من بحث على اخراج العلوس القلعه ونسلمها حو فان الحوف
النجده وكان السلطان قدس الله روحه بتنجحه عبر ان الناس
قد اقعدهم التعب عن امتثال الامر واخذ منهم الحديد وشده الحر
ودخان النار حتى لم يبق لهم استطاعه على الحركه واقام السلطان
تحتهم الى الهوى من الليل لما راى ما قد نزل بالناس من التعب وسار
الى خيمته الى التل وسرنا في خدمته ثم نزل في خيمته وعدت الى خيمتي
وعندي من القلق ما اقلقني عن النوم ولما كان سحر تلك الليله سمعنا
بوق الفرنج وقد نعق وعلمنا ان بوصول النجده فاستدعاني السلطان
رحمه الله على سرعه وقال لا شك ان النجده قد وصلت في البحر وبعلى
الساحل من عساكر الاسلام من يمنعهم من النزول والمصلحه ان تسير الى
الملك الظاهر وتقول له يظاهر الباب القبلى وتدخل انت ومن يراه الى
يقف

وطال الامر الى ان علا النهار وانا الومه وهو لا يرجع عن ذلك
وارسلت تحيى فلما رايت الوقت يفوت قلت له ان النجوم قد وصلت
والصلح المسارعة في اخراجهم والسلطان قد اوصاني بذلك فلما
عرف السبب فحينئذ اجاب الى اخراجهم ومضينا الى باب القلعة
القريب من الباب الذي ولده للملك الظاهر قايم عنده فاخرجنا تسعة
واربعين نفرا بخيولهم ونسائهم وسيرناهم وللمخرج هذا النفر تشدد
نفر الباقين وحدثتهم انفسهم بالعصيان وكان سبب خروج هولا
انهم استقلوا المراكب التي جاءتهم وظنوا الاحسن لهم منها ولم يجعلوا
ان الانحدار مع القوم ورآهم قد تاخروا عن النزول الى علو النهار
فخافوا ان يتبعوا ايبو حذوا ويتبلوا المخرج من خرج ثم بعد ذلك
ضويق النجوم حتى صاروا خمسة وثلثين مركبا فقويت نفوس الباقين
في الحصن فظهرت منهم امارات العصيان وذلك [illegible] وخرج منهم
من الجسر من يتجسس عنهم واخذوا الطارقات والجنوبات وعلو
على الاسوار وكانت القلعة جديدة لم تنزف بعد فلما رايت الامر
قد آل الى ذلك نزلت من الملك الذي انت وانقطع عليه وهو ملاصق الباب

القلعة وذلك اخر الدين دهره دانقا مع عشره في شغل الملك جرح
من الاجناد حذوا حذركم فقد تغيرت عزايم القوم فلما كانت الساعة
حين صرت خارج البلد في خدمة الملك الظاهر وقد ركبوا
القوم خيولهم وحملوا من القلعة حملة الرجل الواحد ولم يخرجوا [illegible] كان في
البلد من الاجناد ولقد ازدحم الناس في الباب حتى كاد ان يتلف منهم
جماعة من رعاع العسكر مستقلين بالاحمر فهجموا عليهم وقتلوا منهم
واسروا وسيروا الى السلطان للملك الظاهر الى ابيه السلطان قدس الله
روحه فعرفته بالحال فامر ايجادوش ونادى في العسكر وضرب الكوس
للقتال وتبادر الناس من كل جانب للغزاة وهجموا البلد وحشوا العدو في
القلعة وابقى بالسوار واستبطوا نزول النجوم اليهم وخافوا خوفا عظيما
فارسلوا اطلبوا كتبهم والسلطان وكان خلفهما بلي وسولن الى السلطان
رحمه الله عليه يذكر ان السلاحورى ويسالان القاعدة الاولى الخروج
الرسل الى السلطان رحمة الله عليه والقتال يشتد عليهم وكان سبب
ابتاع نزول النجوم انهم راوا البلد مشحونا بيارق للمسلمين ورجالهم
فخافوا ان تؤخذ القلعة قبل اخذت وكان النجوم يمنع من سماع الصوت
من كل جانبه لكثرة الضجيج والتهليل والتكبير فلما رادم في القلعة شدد

وفي بعض [illegible]

الرجف بسببهم وامتناع البحر من النزول مع كثرتها فانها بلغت سبعا
وخمسين مركبا منها خمسة عشر شاني وكاشاني الملك علموا ان البحر قد
نضوا ان البلد قد اخذ وهرب رجل منهم بنفسه للسبح وتقصد العلم
الى البناء وكان رملا فلم يصبه شي لشدة عدوه واختفى الى البحر فخرج
الى شاني فصعد الى شاني الملك فحدثه الكريب فلما تحقق الاخبار ذلك
انحل الملك عزم مع اصحابه الدفع بطلب الرجل فكان اول شاني الغي
من جهة شانيه وكان الحجر وفيه حجرا وتبير قد احمر وكان رملا
كان الساعة وقد نزل كل من في الشواني الى البنا هذا ان وانا انا هم في البر
ذلك ثم حملوا على المسلمين فلم يقدروا بين ايديهم واخرجوهم من البنا
وكان يحيى قد هرب فسبقت حتى اتيت السلطان واخبرته بالخبر ومن بعده
الرسولان وقد اخذ العلم بيده حتى يكتب لهما الاحسان معرفته واذنه
بما جرى فامتنع من اخذه واشتغلهم بالحرب فما كان الا ساعة حتى
قدم المسلمون نحو السلطان فصاح في الناس فركبوا وقبض على الرسل
وامر بتاخير الثقل والاسواق الى كابارزور فرحل الناس وتخلف لهم
ثقل عظيم ما كان قد نهبوا من يافا لم يقدروا على نقله ووصل الثقل وفي
السلطان جرحه في الليل ومات من ليلته هناك وخرج الافرنج الى

الى موضع السلطان الذي كان فيه لمضايقة البلد وامروني في التكلم
ان يخرجوا اليه فعظم شواره واجتمع به جماعة من المماليك وجرى بينهم
احاديث ومجاذبات كثيرة

ذكر تجدد حديث الصلح

ثم طلب الحاجب ابا بكر العادلي يحضر عنده وايبك العزيزي وسنقر
المشطوب وغيرهم وراى وكان قد صار في جماعة فرضوا من المماليك
وقرب منهم جماعة ودخل معهم دخولا عظيما بحيث كانوا يجتمعون
به اوقات متعددة وكان قد صار في الاسر جماعة بدر الدين دلدرم
وغيرهم فلما حضر هذا النفر عنده مجد وهزل ومن جملة ما قال هذا
ملك السلطان عظيم وما في الارض للاسلام اكبر ولا اعظم منه كيف رحل
عني المكان بمجرد وصولي ووالله ما لبست لامة حربي ولا تاهبت لامر
وانا في رجلي الا زربول البحر فكيف لحقه ثم قال والله انه لعظيم والله
ما ظننت انه يأخذ يافا في شهرين فكيف اخذها في يومين ثم قال لابي
بكر سلم على السلطان وتقول له بالله عليك اجب سؤالي في الصلح
فهذا امر لا بد له من آخر وقد هلكت بلادي وراء البحر وما دوام
هذا مصلحة لا لنا ولا لكم ثم انفصلوا عنه وحضر ابو بكر عند السلطان

وعرض ما قال وكان ذلك في اواخر يوم السبت تاسع عشر رجب فلما
سمع السلطان رحمة الله عليه ذلك احضر ارباب المشورة وانفصل
الحال على ان الجواب انك كنت طلبت الصلح اولا على قاعدة وكان
الحديث في يافا وعسقلان والان فقد خربت هذه يافا فيكون لك
من قيسارية الى صور فمضى اليه وعرفه ما قال فعاد الرسول ومعه رسول
فرنجي وقال يقول الملك ان من عادة الفرنج انه اذا اعطى احد
لواحد بلدا صار تبعه وغلامه وانا اطلب منك هذين البلدين يافا
وعسقلان ويكون عساكرهما في خدمتك دائما واذا احتجت الي وصلت
اليك في اسرع وقت وخدمتك كما تعلم خدمتي فكان جواب السلطان
رحمة الله عليه حيث دخلت هذا المدخل فانا اجيبك الى ان نجعل هذين
البلدين قسمين احدهما لك وهو يافا وما وراءها والثاني لي وهو
عسقلان وما وراءها ثم سار الرسولان ورحل السلطان الى الثقل
وكان الخيم بيازور ورتب اليزك بها وامر بخرابها وخراب بيت دجن
ورتب النقابين لذلك واليزك عندهم وسار حتى اتى الرملة فخيم بها
يوم الاحد العشرين من رجب ووصل اليه الرسول مع الحاجب ابي

١٨٧

بكر فاسرا باكرامه واحسان اليه وكانت رسالته الشكر من الملك
على العطايا بيافا ويجدد السؤال في عسقلان ويقول انه ان وقع
الصلح في هذه الايام الستة سار الى بلاده والا احتاج ان يشتي
هاهنا فاجابه السلطان في الحال وقال اما النزول عن عسقلان
فلا سبيل اليه واما تشتيته في هذه البلاد فلا بد منها لانه قد
استولى على هذه البلاد ويعلم انه متى غاب عنها اخذت بالضرورة
واذا اقام ان شاء الله تعالى واذا سهل عليه ان يشتي هاهنا ويبعد
عن اهله ووطنه مسيرة شهرين وهو شاب في عنفوان شبابه ووقت
اقتناص لذاته ما يسهل علي ان اشتي واصيف واشتي واصيف
وانا في وسط بلادي وعندي اولادي واهلي ويأتي الي ما اريده
ومن اريده وانا رجل شيخ قد كرهت لذات الدنيا وشبعت منها
ورفضتها عني والعسكر الذي يكون عندي في الشتاء غير العسكر
الذي عندي في الصيف وانا اعتقد اني في اعظم العبادات ولا ازال
كذلك حتى يعطي الله النصر لمن يشاء فلما سمع الرسول طلب ان يجتمع بالملك
العادل فاذن له في ذلك فسار الى خيمته وحضره كان قد اخر بسبب
مرض اعتراه الى موضع يقال له مار صموال فسار الرسول اليه مع جماعة

ثم بلغ السلطان ان عسكر العدو قد رحل من عكا قاصدا يافا للانجاد
فجمع ارباب الراي وعقد مشورة في قصدهم فاتفق الراي على انهم يقصدهم
ويرحل الثقل الى الجبل ويقصدونهم جريدة فان لاح منهم فرصة انتهزوها
والا رجعوا عنهم وهذا ادنى من ان نصبر حتى تجتمع عساكر العدو ونرحل
الى الجبل في صورة منهزمين واما الان فاذا رحلنا فنحن في صورة طالبين فامر
السلطان الثقل بالمسير الى الجبل في عشية الاثنين حادي عشري رجب وسار
هو قدس الله روحه جريدة في صبيحة يوم الثلثا حتى نزل على العوجا
ووصل من اخبره ان عسكر العدو قد وصل قيسارية ودخل اليها ولم يبق فيه
طمع وبلغه ان الانكتار قد نزل خارج يافا بنفر يسير وخيم قليلة فوقع
له انه ينتهز فيه الفرصة ويكبس خيمه وينال منهم غرضا وعزم على
ذلك وسار من اول الليل والادلاء من العرب تقدمه وانقطع الناس في الدرج
الى ان اتى الصباح الى خيم العدو فوجدها يسيرة مقدار عشرة خيم فداخلهم
الطمع وحملوا عليهم حملة الرجل الواحد فثبتوا ولم يتحركوا من اماكنهم وكشروا
عن انياب الحرب وكانوا على الارض اصبر فاندفع العسكر منهم ووجموا
ثباتهم وداروا العسكر حولهم حلقة واحدة ولقد حكى لي بعض الحاضرين انه

تاخرت مع الثقل ولم احضر هذه الوقعة ولله الحمد الا انه بلغني
ان عدة الخيل كانت تحزرها الكثير سبعة عشر والمقلل تسعة والرجالة
دون الالف وقيل ثلثمائة وقيل اكثر من ذلك فوجد السلطان رحمه
الله من ذلك وجدا عظيما ودار على الاطلاب بنفسه يحثهم على الحملة
ويعدهم بالحسنى على ذلك فلم يجبه دعاه احد سوى ولده الملك الظاهر رحمه الله
فانه تاهب للحملة فمنعه وبلغني انه قال له الجناح اخو المشطوب قل لغلمانك الذين
ضربوا الناس يوم فتح يافا واخذوا منهم الغنيمة يحملون وكان في قلوب الناس
العسكر من تسلط السلطان على يافا حيث فوتهم الغنيمة وجرى ما جرى
ما اثر هذا الاثر فلما راى السلطان ذلك راى ان وقوفه في مقابلتهم
الشرذمة اليسيرة خسارة للجند ولقد بلغني ان الانكتار اخذ رمحه من غير علل
ذلك اليوم وحمل من طرف الميمنة الى طرف الميسرة فلم يعترض له احد
فغضب السلطان قدس الله روحه ثم اعرض عن القتال وسار حتى اتى
يازور كالمغضب فنزل بها وذلك في يوم الاربعاء ثالث عشري رجب وبات
العسكر بها النزل ثم اصبح يوم الخميس سار الى النطرون فنزل بها واتى
العسكر فاحضر عشية وصلنا اليه ضحوة نهار الخميس رابع عشري رجب

فبات بها ثم اصبح يوم الجمعة وسار الى خيمة الملك العادل شقيقه ودخل
القدس وصلى الجمعة ونظر العماير ورتبها ثم عاد من يومه الى الثقل وبات
بمنزله بالنطرون

ذكر قدوم العساكر

فاول من وصل علاء
الدين بن اتابك صاحب الموصل وكان وصوله ضحى نهار السبت سادس
عشري رجب فلقيه السلطان قدس الله روحه على بعد واكرمه واحترمه
وانزله عنده في الخيمة وعمل له دعوة حسنة وقدم له تقدمة جميلة ثم سار
الى خيمته واما رسول الملك فانه عاد في هذا اليوم من الملك فان الملك
العادل كان قد حمله مشافهة الى الملك وعاد مع الحاجب ابي بكر الى
يافا فعاد ابو بكر وحضر عند السلطان في ذلك اليوم واخبر ان الملك لما
دخل يافا وخرج الى ظاهرها وكان كلامه اني كم اطرح نفسي
على السلطان وهو لا يقبلني ولانت احرص حتى اعود الى بلادي والآن
فقد هجم الشتا وتغيرت الانوا وعزمت على الاقامة وما بقي بيننا حديث
هذا كان جوابه خذله الله

ذكر قدوم عسكر مصر المحروسة

واقام السلطان قدس الله روحه بالنطرون ولما كان يوم الخميس تاسع شعبان
قدم عسكر مصر فخرج السلطان رحمة الله عليه الى لقائهم وكان فيهم مجد الدين

خلدبري وسيف الدين يازكج وجماعة الاسدية وكان في خدمتهم
الملك المؤيد مسعود واظهروا الزينة ونشروا الاعلام والبيارق
فكان يومًا مشهودًا ثم انزلهم عنده ومد الخوان ثم سار الى الثقل

ذكر قدوم الملك المنصور تقي الدين رحمه الله

وكان قد تسلم البلاد التي وعد بها وجهزه ان وصل الى خدمة الملك العادل
في يوم السبت حادي عشر شعبان فنزل عنده بارض عمويك وانفذ
الملك العادل رحمه الله الى السلطان قدس الله روحه يخبره بوصوله
ويسأله في احترامه واكرامه واطلاق الوجه له ولما تحقق الملك
الظاهر وصول الملك المنصور استاذن والده في لقائه واستاذن
الملك العادل فاذن له في ذلك فسار فوجد الملك المنصور مخيما ببيت
نوبة فنزل عنده وفرح بلقائه واقام عنده الى العصر وذلك في يوم
الاحد ثم اخذه وسار به جريدة حتى اتى خيمة السلطان وهو في
خدمته فدخل عليه واحترمه ونهض واعتنقه وضمه الى صدره ثم غلبه
البكا فصبر نفسه حتى غلبه الامر وغشيه من البكا ما لم ير مثله
فبكا الناس لبكائه ساعة زمانية ثم باسطه وساله عن الطريق ثم انفصل

وبات ... في خيمته و... الملك الظاهر رحمه الله الى صبيحة الاثنين ثم رحل
وعاد الى عسكره ونشر الاعلام والبيارق وكان معه عسكر جليل
فعرض بين يدي السلطان وذلك في صبيحة الاثنين الثالث عشر شعبان وترك
في هذه العسكر الى الرملة

ذكر رحيله قدس الله روحه الى الرملة

وذلك انه لما راى العساكر قد اجتمعت جمع ارباب الراي
وقال ان الانكتار قد مرض مرضاً شديداً والافرنسيسية قد ساروا
راجعين الى البحر من غير شك ونفقاتهم قد قلت وهذا عدو قد مكن
الله منه واري ان نسير الى يافا فان وجدنا منها طمعاً بلغناه والا تعدنا تحت
الليل الى عسقلان فما يحسنا الصبح الا ونحن ... فراوا ذلك راياً
وتقدم الى جماعة من الامرا لعز الدين جورديك وجمال الدين فرج وغيرهما
بالمسير في ليلة الخميس سادس عشر شعبان حتى تكون قريباً من يافا في صورة
يزك يستعرفون كم فيها من الخيالة والرجالة بالجواسيس ثم عرفونه ذلك
فساروا هذا وتسلل الانكتار لا شتغل في طلب الفاكهة والثلج واوقع الله عليه
في مرضه شهوة الكمثرى والخوخ وكان السلطان يسير بذلك ويقصد استكشاف
الاخبار بتواتر الرسل الذي اخترناه من الجار ... منها انثنا بها فارس على

قول الانكتار وما ثنا فارس على قول المقل وان الذي هرى بين دين
الافرنسيسية في مقامهم وهم عازمون على عبور البحر قولاً واحداً وانه لا
عناية لهم بسور البلد وانما عنايتهم بعمارة سور القلعة وكان قد طلب
الانكتار الحاجب ابا بكر العادلي وكان له معه انبساط عظيم فلما تحقق
السلطان رحمه الله هذه الاخبار اصبح يوم الخميس راحلاً الى جهة الرملة
فنزل بها ضاحي نهار ووصل الخبر من الغيارة انهم يقولون ان الانكتار
بيافا فلم يخرج الا ثلثمائة فارس تحضهم على بغال فاسرهم السلطان مقامهم
هناك ثم وصل الحاجب ابو بكر ومعه رسول من عند الملك يشكر السلطان
على اسعافه بالفاكهة والثلج وذكر ابو بكر انه انفرد به وقال له قل
لاخي يعني الملك العادل ينظر كيف يتوصل الى السلطان في معنى الصلح
ويستوهب لي منه عسقلان وامضي ويبقى هو هاهنا مع هذه الشرذمة
اليسيرة ياخذ البلاد منهم فليس غرضي الا اقامة جاهي بين الفرنجية وان
لم ينزل السلطان عن عسقلان فياخذ لي منه عوضاً عن خسارتي على
عمارة سورها فلما سمع السلطان ذلك سيرهم الى الملك العادل وكان قد تقدم
صاحب بهاء الدين دلدرم الياروقي يتوسط الصلح فلما ساروا اسر السلطان

الى الفرنج بان يمضي الى الملك العادل ويقول له ان نزلوا عن عسقلان
فصالحهم فان العسكر قد ضجروا من ملازمة البيكار والنفقات قد نفدت
وسار واضحى نهار الجمعة سابع عشر شعبان ل **ذكر الاجابة**
الى النزول عن عسقلان ولما غربت الشمس من اليوم الآخر
انفذ بدر الدين دلدرم من اليزك يقول انه خرج الينا خمسة انفس
منهم شخص متقدم عند الملك يسمى هونفري وذكروا ان معهم حديثا فهل
اسمع حديثهم ام لا فاذن له السلطان في ذلك فلما كان عشاء الآخرة حضر
بدر الدين بنفسه واخبر ان حديثهم كان ان الملك نزل عن عسقلان وعن
طلب العوض عنها وقد صح مقصوده في الصلح فاعاد السلطان بان ينفذ
اليهم ياخذ بين على ذلك ويقول ان السلطان قد جمع العساكر ولا يمكنني
ان اجدد هذا الحديث الآن اتوب انك لا ترجع فيه وبعد ذلك احده
وسار بدر الدين على هذه القاعدة وكتب الى الملك العادل يخبره باجابة ولما
كان السبت ثامن عشر شعبان انفذ بدر الدين وذكر انه اخذ يدهم
على هذه من ثقته واخذ حدود البلاد على ما استقر في الدفعة الاولى
مع الملك العادل فاحضر السلطان الديوان وذكر يافا وعملها ولخرج الرملة

منها ولدا وفيها في مجلس يا يازم ذكر قيسارية وعملها وارسوف وعملها
وحيفا وعملها وعكا وعملها والخرج منها الناصرة وصفورية والثبت
الجميع في ورقة وكتب جواب الكتاب وانفذه على يد الطرنطاي
مع الرسول وكان قد وصل الرسول المخبر بالقاعدة مع بدر الدين في عشر
السبت وقال للرسول هذه حدود البلاد التي تبقى في ايديكم فان
صالحتم على ذلك فبارك الله عليكم بيني وينفذ الملك من يحلف ويكون
ذلك في يوم غد والا فيعلم ان هذا التدبير وهما طاله ويكون الامر قد انفصل
بيننا وساروا في يوم الاحد على هذه القاعدة ولما كان عشاء الآخرة
من يوم الاحد العشرين من شعبان وصل من اخبر بوصول الطرنطاي ومعه
الرسل واستاذن في حضورهم فاذن رحمه الله في حضور الطرنطاي وحده
وذكر ان الملك قد وقف على بال الرقعة والنكر انه نزل عن العوض فاذكر
الجماعة الذين حضروا الى بدر الدين دلدرم انه نزل عن ذلك فقال اذا
انا قلته فلا ارجع عنه قولوا للسلطان تبارك رضيت بهذه القاعدة
ورجعت الى مروءتك فان زدتني شيئا فمن فضلك وانعامك وساروا
وبحضر الرسل الليلة وانا موالي بدم واحضروا الرسل عند السلطان بكرة

الرسل عشرين من شعبان وذكروا ما استقر عن صاحبهم ثم انفصلوا الى
خيمهم وحضر عند السلطان اصحاب الراي وارباب المشورة واستقر الامر
وانفصل القاعدة وسار الامير بدر الدين دلدرم الى الملك العادل واخذ
الرسل معه في صورة من يسال في زيارة الرملة وعاد عشية الاحد ليلة
الثاني والعشرين من شعبان وكتبت المواصفة وذكر فيها الشروط والصلح
لمدة ثلث سنين من تاريخها وهو الثاني والعشرين من شعبان سنة ثمان
وثمانين وخمسمائة ويبدو فيها ان الرملة لهم ولد انضا وسير الحال قبل ان
قدرت ان ترضيهم باحد الموضعين او مناصفتها فافعل ولا بد لهم
حديث في الجبليات وراي السلطان قدس الله روحه ذلك مصلحة لما
غشي الناس من الضعف وقلة النفقات والشوق الى الاوطان ولما
شاهد من تقاعدهم على يافا يوم امرهم بالحملة فلم يحملوا فخاف ان يحتاج
اليهم فلا يجدهم فراي ان يجمهم مدة حتى يستريحوا وينسوا هذه الحالة
التي صاروا اليها ويعمروا البلاد ويشحن القدس بما يقدر عليه من الالات ويتفرغ
لعمارته وكان من القاعدة ان تكون عسقلان خرابا وان يتفق اصحابنا
واصحابهم على خرابها خشية ان ياخذها عامرة ولا يخربها فيقع الجدال على

من القاعدة واشترط دخول بلاد الاسماعيلية واشترطوا هم دخول
صاحب انطاكية وطرابلس في الصلح على قاعدة اخرى فاصطلح
عليه واستقر الحال على ذلك وسارت الرسل يوم الثلثاء حادي عشرين
شعبان سنة ثمان وثمانين وخمسماية وحلف عليهم انه لابد من قضي الحال
اليوم لما اصطلح ادخصومه خشية ان يكون هذا الحديث من قبيل الحادثة
السابقة ومدافعاته المعروفة

ذكر قدوم رسل مرجان بعده

وفي ذلك اليوم وصل رسول سيف الدين بكتمر صاحب خلاط يبذل الطاعة
والموافقة وتسيير العسكر وحضر رسول الكرج وذكر فصلا في معنى
الديارات التي لهم في القدس وعمارتها وشكوا من انها اخذت من ايديهم
وسال عواطف السلطان رحمه الله عليه في ردها الى ايدي نوابهم وحضر رسول
صاحب ارزن الروم يبذل الطاعة والعبودية

ذكر تمام الصلح

ولما وصل الحال الى هنا اتفق خاطر الملك في جنبه حتى اعلم الملك به
فلما علم استحضره عنده مع نفر من الجماعة وعرض عليه القول الفسخ وهو
مريض الجسم فقال للطافة لا والوقوف عليها واتاهم ما تحت وهذه بدرك
فاجتمعوا بالملك هنري وبجماعة وافقوهم على النسخة ورضوا بالرملة

مناصفة وجميع ما في النسخة واستقرت القاعدة على انهم يحلفون يوم
يوم الاربعا لانهم كانوا قد اكلوا شيا يوم الثلثا وعادتهم الا يحلفوا
وانفذ الرسول الى السلطان رحمه الله عليه من عرفه ذلك ولما كان يوم
الاربعا الثاني والعشرون من شعبان استحضر الجماعة عند الملك واخذوا
يده وعاهدوه واعتذروا بان الملوك لا يحلفون وقنع من السلطان بمثل
ذلك ثم حلف الجماعة خلف الكندهري ابن اخته المستخلف عنه في الساحل
وباليان بن بارزان والبرنس صاحب طبرية ورضي الاسبتار والداوية
وساير مقدمي الافرنجية بذلك وساروا في بقية اليوم عائدين الى المخيم
السلطاني فوصلوا عشا الاخرة وكان الواصلون من جانبهم ابن الهنفري
وابن بارزان وجماعة من مقدميهم فاحترموا واكرموا وضرب لهم خيمة تليق
بهم وحضر العادل وحكى ما جرى ولما كان صبيحة الخميس الثالث والعشرين
من شعبان حضر الرسل في خدمة السلطان قدس الله روحه واخذوا
يده الكريمة وعاهدوه على الصلح على القاعدة المستقرة واقترحوا ان يحلف
جماعة الملك العادل والملك الافضل والملك الظاهر وعلي بن احمد المشطوب
وبدر الدين دلدرم والملك المنصور صاحب حماه وابراهيم بن المقدم صاحب شيزر

وغيرهم فوعدهم السلطان ان يسير معهم رسولا الى الجماعة القادرين
ليحلفهم وحلف لصاحب انطاكية وطرابلس وعلق اليمين بشرط حلفهم
للمسلمين فان لم يحلفوا لم يدخلوا في الصلح ثم امر المنادي ان ينادي في
الوطاقات والاسواق الا ان الصلح قد انتظم فمن شا من بلادهم يدخل الى
بلادنا فليفعل ومن شا من بلادنا يدخل الى بلادهم فليفعل واشاع رحمه
الله عليه ان طريق الحج قد فتح من الشام ووقع له عزم الحج في ذلك المجلس
ولقد كنت حاضر ذلك جميعه ووقع له ذلك رحمه الله وامر السلطان قدس الله
روحه ان يسير مائة نقاب لتخريب سور عسقلان معهم امير ليخرج
الفرنج منها ويكون معهم جماعة من الفرنج الى حين وقوع الخراب في السور
خشية من استبقائه عامرا وكان يوما مشهودا غشي الناس من الطائفتين
من الفرح والسرور ما لا يعلمه الا الله تعالى والله العليم ان الصلح لم يكن
عن ايثاره فانه قال لي رحمه الله في بعض محاوراته في الصلح اخاف
ان اصالح وما ادري اي شي يكون مني فيقوى هذا العدو وقد بقيت لهم هذه
البلاد فيخرجوا لاستعادة بقية بلادهم وترى كل واحد من هولا الجماعة
قد قعد في راس تله يعني حصنه وقال لا انزل ويهلك المسلمون فهذا

فيه العسكر وكان ذلك آخر العهد برأي المصلحة في الصلح لسآمة العسكر
وتظاهرهم بالمخالفة وكان مصلحة في علم الله تعالى فإنه لو اتفقت وفاته رحمه الله
والصلح غير منعقد لو كان اتفق ذلك في أثناء الوقعات لكان الإسلام على خطر
فما كان الصلح إلا توفيقا وسعادة له رحمه الله عليه **ذكر خراب عسقلان**
ولما كان يوم السبت خامس عشري شعبان ندب السلطان علم الدين
قيصر إلى خراب عسقلان وسير معه جماعة من النقابين والحجارين والنفر
لأن الملك كان قد عين من يسير معه ليقف على الخراب وبخروج الفرنج منها
فوصلوا إليها يوم الأحد فلما أرادوا الخراب اعتذر الأجناد الذين بها
بأنا لم يأت الملك جابر لكبير بلدة فسألوا أن يدفعوها المدة حتى يخرج أو ادفعوها
إليهم البنا فوصل بعد ذلك رسول الملك يأمرهم بالخروج فخرجوا ووقع الخراب
فيها صبيحة نهار الاثنين سابع عشري شعبان سنة ثمان وثمانين واستقر
تخريبها ووقع على الجماعة رقاع في المعاونة على الخراب وأعطى كل واحد
قطعة معلومة من السور وقيل له دستور أخرابها **ذكر رحيل**
السلطان قدس الله روحه من الرملة
ولما كان يوم الأربعا التاسع والعشرين من شعبان رحل السلطان إلى النطرون

واختلط العسكران وذهب جماعة من المسلمين إلى يافا في طلب التجارة
ووصل خلق عظيم من العدو إلى القدس للحج وفتح لهم السلطان رحمه الله
الباب في ذلك ونفذ معهم الخفرا يحفظونهم حتى يردوهم إلى يافا وأكثر
ذلك من الفرنج وكان غرض السلطان رحمه الله بذلك أن يقضوا وطرهم
من الزيارة ويرجعون إلى بلادهم فيأمن المسلمون شرهم ولما علم الملك
كثرة من يرد منهم صعب عليه ذلك وسير إلى السلطان يسأله منع
الزوار والفرنج إلا بإذن لأجل ما يثير حضورهم كلاما من جانبنا
وعلمت الفرنج ذلك فعظم عليها واهتموا في الحج فكان يرد كل يوم منهم جمع
كثير ممن يقدمون مع أوساط وملوك متنكرين وشرع السلطان رحمه الله على
في إكرام من يرد منهم بمد الطعام ومباسطتهم ومحادثتهم وعرفهم إنكار الملك
ذلك وتعسفه إلى الملك وأذن لهم السلطان في الحج وعرفهم أنه لم يلتفت
إلى منع الملك من ذلك واعتذر إلى الملك بأن قوما قد وصلوا من ذلك البعد
ولم يسر الله لهم زيارة هذا المكان الشريف لا أستحل منعهم ثم اشتد المرض
بالملك فرحل ليلة الأربعا تاسع عشري شعبان وقيل إنه بائت وسار هو
والكندهري وسائر المقدمين إلى عكا ولم يبق في يافا إلا مريض أو عاجز

وتقريبه

ذكر عود العساكر الاسلاميه الى اوطانهم

ولما انقضى هذا الامر واستقرت هذه القواعد اعطى السلطان الناس
دستورا فكان اول من سار عسكر اربل فانه سار مستهل شهر رمضان
المبارك ثم سار بعده في ثانيه عسكر الموصل وسنجار والحصن واشتاع امر
الحج وقوي عزمه على ابراه الزمه منه وكان هذا مما وقع لي وبدات بالاشاره
في يوم تمم الصلح ووقع منه رحمه الله عليه موقعا عظيما وامر الديوان
ان كل من عزم على الحج من العسكر تثبت اسمه حتى يحصي عدة من يدخل
معنا في الطريق وكتب جرايد بما يحتاج اليه في الطريق من الخلع والازواد
وغير ذلك وسيرها الى البلاد ليعدوها

ذكر رحيله رحمة الله عليه

ولما اعطى الناس دستورا وعلم عود العدو متوجها الى ورايه راي الدخول
الى البيت المقدس الشريف لتهيه اسباب عمارته والنظر في مصالحه والتاهب
للمسير الى الحج فرحل من النطرون ضحوة يوم الاحد رابع شهر رمضان وسار حتى
اتى بنا رحمه الله يتفقد للملك العادل بعلوجبه فسار الى القدس ولحقت
عنه رسولا من جانب السلطان الماو اليه باسمه الوزير ذي لدم والقول
وكان قد انقطع عن خدمته مده بسبب المرض وكان قد تاثل فعرفناه مجي

السلطان الى ايام وصوله الجبا دكه وحمل على نفسه وسار معا حتى القيه
بذلك المكان وهو اول وصوله ولم ينزل بعد الفيه ونزل وقبل الارض
وعاد ودب فاستدناه وسال عن مزاجه وسارا جميعا حتى اتيا القدس
الشريف في بقيه ذلك اليوم

ذكر وصول رسول من بغداد

ولما كان يوم الجمعه الثالث والعشرون من شهر رمضان صلى الملك العادل
قدس الله روحه الجمعه وانصرف كاتبا الى الكرك عن دستور من السلطان
لينظر في احواله ويعود الى البلاد الشرقيه يدبرها فانه كان قد اخذها
من السلطان قدس الله روحه وكان قد ودع السلطان رحمة الله عليه
فلما وصل الى العازريه نزل بها مخيما فوصله من اخبره ان رسولا من بغداد
واصل اليك فانفذ الى السلطان وعرفه وذكر انه يجتمع به ويطالعه بما
وصل معه ولما كان يوم السبت الرابع والعشرين دخل الملك العادل الى
الخدمه السلطانيه وذكر ان الرسول وصل اليه من جانب ابن الناقد
ببغداد وهو نائب وزارة بغداد ومضمون الكتاب انه يحثه على
استعطاف قلب السلطان الى الخدمه الشريفه والدخول بينه وبين الديوان
العزيز وانكار عليه في تاخر رسله عن العتبه الشريفه وانزاح المسير

القاضي الفاضل يحضر الديوان ويقرر قواعده لا تنحل بعده وبين
السلطان رحمه الله عليه الأبيه ذلك وعزم الملك العادل من الديوان
وعود عظيمه ان اقرر ذلك ويكون له يد عند الديوان يستثمرها
فيما بعد وما يشبه هذا اللفظ يحدث عند السلطان ويكرم في
انفاذ رسول يسمع كلام الديوان ويستعلم اثر دخول الملك العادل في
البين وزاد الحديث ونقص وطال وقصر حتى عزم السلطان على
انفاذ الضيا الشهرزوري وعاد الملك العادل الى خيمته الحارزيه
بعد تقرير هذه القاعده وعرفه اجابه السلطان الى انفاذ رسول
الى خدمه الديوان العزيز وسار يوم الاثنين طالبا جهة الكرك وسار
الضيا متوجها الى بغداد يوم الثلثا سادس شهر رمضان ذكر

توجه ولده الملك الى بلاده ووصيه السلطان له

الظاهر

ولما كان يوم الاربعا السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك
توجه ولده الملك الظاهر بعد ان ودعه ونزل الى الصخره فصلى عندها
وسال الله تعالى ما اغاثه ثم ركب وكنت في خدمته فقال لي قد تذكرت
ما احتاج فيه الى مراجعه السلطان مشافهه فانفذني استاذن له

في العود الى خدمته فاذن له في ذلك فحضر واستحضرني والظاهر كان
ثم قال اوصيك بتقوى الله تعالى فانها راس كل خير وامرك بما امرك الله
به فانه سبب نجاتك واحذرك من الدما والدخول فيها والتقلد لها
فان الدم لا ينام واوصيك بحفظ قلوب الرعيه والنظر في احوالهم
فانت اميني وامين الله عليهم واوصيك بحفظ قلوب الامرا وارباب
الدوله والاكابر فما بلغت ما بلغت الا بمداراه الناس ولا تحقد على
احد فان الموت لا يبقي احدا واحذر ما بينك وبين الناس فانه لا يغفر
الا برضاهم وما بينك وبين الله يغفره الله بتوبتك اليه فانه كريم
وكان ذلك بعد ان افطرنا في خدمته ومضى من الليل ما شا الله ان
يمضي واكثر من ذلك لكن هذا ما امكن حكايته وضبطه فحضر ولده
بين يديه الى قريب السحور ثم اذن له في الانصراف فنهض له وودعه
وقبل وجهه ومسح بيده على راسه وانصرف في دعة الله ونام
في برج الخشب الذي للسلطان يجلس عنده في الليالي الى الكره وسرت
في خدمته الى بعض الطريق وودعته وسار في حفظ الله ان شا الله

ذكر مسير الملك الافضل رحمه الله

ثم سير الملك الافضل ثقله واثام

ثم رجع السلطان على لسان في اشتغال كانت له حتى دخل في شوال
اربعة ايام وسار في ليلة الخميس نصف الليل عن نحب عليه
جوره على طريق الغور **ذكر مسيره قدس الله روحه الى القدس**
واقام السلطان قدس الله روحه يقطع الناس ويعطيهم دستورا
وتاهب المسير الى الديار المصرية وانقطع شوقه الى الحج وكان من
اهل الصالح الذي فاته ولم يزل كذلك حتى صح عزمه انقلاع مركب الانكتار
المخذول متوجها الى بلاده مستهل شوال فعند ذلك جرد السلطان عزمه
على ان يدخل الساحل جريدة ويتفقد القلاع البحرية الى بانياس ويدخل
محروسة دمشق يقيم بها اياما قلائل ويعود الى القدس الشريف سائرا
الى الديار المصرية ليتفقد احوالها ويقوم بحوائجها والنظر في مصالحها
وامر في المقام بالقدس الشريف الى حين عوده لحاح باماد سنان (?)
افتقاده واكماله للمدرسة التي انشاها فقدس رحمة الله عليه الى حين عوده
وسار من القدس ضحى نهار الخميس شوال سنة ثمان وثمانين ووصل عند
الى البيرة ونزل بها واكل فيها الطعام ثم رحل حتى اتى بعض طريق نابلس
فبات ثم اتى نابلس ضحى نهار الجمعة سابع شوال فلقيه خلق عظيم يشتكون

على المشطوب ويتضورون اليه سوء عاشهم فاخذ رحمه الله كتبهم وكشف عن
احوالهم الى العصر يوم السبت ثامنه ثم رحل ونزل بسبسطية وتفقد
ابو الهاشم ثم رحل في طريقه الى كوكب ونظر في احوالها وامر بسدها وذلك
في يوم الاثنين عاشره **ذكر خروج بها الدين قراقوش من الاسر**
وكان انعقاده من ربقة الاسر يوم الثلثا حادي عشر شوال ووصل الخدمة
الشريفة السلطانية ففرح به فرحا شديدا وكان له حقوق كثيرة على
السلطان والاسلام واستاذن السلطان رحمه الله عليه في المسير الى
دمشق لتحصيل القطيعة فاذن له في ذلك وكان القطيعة على ما بلغني ثمانين
الف دينار **ذكر وصول البرنس** الى الخدمة السلطانية مستزورا
ولما وصل السلطان الى بيروت وصل الى خدمته البرنس صاحب
انطاكية مستزورا فبالغ في اكرامه واحترامه ومباسطته وانعم
عليه بالعمق وارزغان ومزارع تحمل خمسة عشر الف دينار
ذكر بيوت المشطوب بالقدس وكان قد تخلف المشطوب
بالقدس من جملة العسكر المتخلف له ولم يخرج اليه وانما كان والدعا الذي
جور ديك كان وكله بعد الصلح جاله عوده الى القدس بعد ان شاوره

الملك العادل والملك الافضل والملك الظاهر على التائي والايثار وابو شار
به اهل البين والصلاح لانه كان كثير الجد والحرمه لاهل الخير فامرني
السلطان رحمه الله عليه ان اوليه ذلك في يوم جمعه عند الصخره فوليته
اياه وصلى الجمعه واشترطت عليه الامانه وعرفته موضع حسن
اعتقاد السلطان فيه فاعتنق الامر وقام به القيام المرضي واما
المنصوب كان مقيما بالقدس من جمله من كان فيه وتوفي رحمه الله عليه
في يوم الاحد الثالث والعشرين من شوال ودفن في داره بعد ان صلى عليه
في المسجد الاقصى رحمه الله

ذكر عود السلطان قدس الله روحه

الى المحروسه دمشق وكان عوده اليها بعد الفراغ من تصفح احوال القلاع
الساحليه بابرها والتقدم بسد خللها واصلاح امور اجنادها وتحصينها
بالرجال والاجناد فدخل الى دمشق يوم الاربعا سادس عشرين شوال
وفيها اولاد الملك الافضل والملك الظاهر والملك الظافر واولاده الصغار
وكان يحب البلد ويؤثر الاقامه فيها على سائر البلاد وجلس للناس في
بكره الخميس سابع عشرين منه وحضر الناس عنده وبلوا شوقهم من
رؤيته رحمه الله عليه وانشده الشعرا وعم ذلك المجلس الخاص والعام

واقام ينشر جناح عدله ويهطل سحاب انعامه وفضله ويكشف
مظالم الرعايا في اوقات المجالس حتى كان يوم الاثنين مستهل ذي
القعده عمل الملك الافضل دعوه للملك الظاهر فانه لما وصل الى دمشق
بلغه حركه السلطان اليها فاقام بها حتى يتملى بالنظر اليه ثانيا وكان
نفسه الشريفه كانت احست بدنو اجل السلطان فودعه في تلك الدفعه
مرارا متعدده وهو يعود اليه ولما اتخذ الملك الافضل له دعوه اظهر
فيها من بديع التجمل وغريب ما يليق بهمته وكانه اراد مجازاته عما خدم
به حين وصوله الى حلب المحروسه وحضرها ارباب الدنيا والاخره
وسال السلطان قدس الله روحه الحضور فحضر جبرا لقلبه وكان يوما
مشهودا على ما بلغني

ذكر قدوم الملك العادل اخيه

ولما تصفح الملك العادل احوال الكرك وامر باصلاح ما قصد اصلاحه فيه
عاد طالبا البلاد الفراتيه فوصل الى دمشق يوم الاربعا سابع عشر
ذي القعده وكان السلطان قد خرج الى لقائه واقام يتصيد حول غباغب
الى الكسوه حتى لقيه وسارا واجتمعا يتصيدان وكان دخولهما الى دمشق
آخر نهار الاحد حادي عشري شوال سنه ثمان واقام السلطان بجهه القعده

الله عليه بدمشق ينتظرون هو واخوه واولاده ويتفرجون في اراضي
دمشق ومواطن الصبى وكانه وجد راحة مما كان فيه من ملازمة
التعب والنصب وسهر الليل ونصب النهار وما كان ذلك الا كالوداع
لاولاده ومرابع تنزهه وهو لا يشعر رحمه الله عليه ونسي عزمه مصر
وعرض له امور اخرى وعزمات غير ذلك ووصلني كتابه قدس الله
روحه الى القدس يستدعيني الى خدمته وكان شتا شديدا ووحلا عظيما
فخرجت من القدس الشريف حرسه الله تعالى في يوم الجمعة الثالث والعشرين
من المحرم سنة تسع وثمانين وكان الوصول الى دمشق يوم الثلثا
ثاني عشر صفر سنة تسع وكان وصل اداب الحاج على طريق دمشق
وكان دخول السلطان الى اعصر الاثنين حادي عشر فلم يبق الى
في خدمة السلطان الى ضاحي نهار الاثنين يوم الوصول فانه اتفق حضوري
وكان الملك الافضل جالسا في الايوان الشمالي وعنده خلق من الامرا
وارباب المناصب ينتظرون جلوس السلطان لخدمته فلما شعر
بحضوري استحضرني وهو وحده قبل ان يدخل اليه احد فدخلت عليه
رحمه الله عليه فقام ولقيني لقا ما رايت اشد منه بشرا فيه رحمه

ذكر لقائه الله ولقد ضني اليه ودمعت عينه رحمه الله عليه
للحاج رحمه الله عليه ولما كان يوم الاربعا ثالث عشر صفر طلبني
فحضرت عنده فسالني عمن في الايوان فاخبرته ان الملك الافضل جالس
في الايوان والامرا والناس في خدمته فاعتذر اليهم على لسان جمال الدوله
اقبال ولما كان بكرة الخميس استحضرني فحضرت عنده وهو في
صفة البستان وعنده اولاده الصغار فسال عن الحاضرين فقيل رسل
الفرنج وجماعة الامرا والاكابر فاستحضر رسل الفرنج الى ذلك المكان
فحضروا وكان له ولد صغير وكان كثير الميل اليه يسمى ابا بكر وكان حاضرا
وهو رحمه الله يداعبه فلما وقع بصره على الفرنج ورا اشكالهم وحلق
ذقونهم وقص شعورهم وما عليهم من الثياب الغريبة خاف منهم
وبكا فاعتذر اليهم وصرفهم بعد ان حضروا ولم يسمع كلامهم وقال
لي اكلت اليوم شيا وكانت عادته رحمه الله عليه هذه الاباسطة ثم
قال احضروا لنا ما تيسر فاحضروا ارزا بلبن وما يشبه ذلك من الاطعمه
الخفيفه فاكل رحمه الله عليه وكنت اظن انه غير مشتهي وكان في
هذه الايام يتعذر للناس لثقل الحركة عليه وكان بدنه كان ممتليا

[illegible] كسل فلما فرغنا من الطعام قال ما الذي عندك من خبر الحاج
فقلت قد اجتمعت بجماعة منهم في الطريق ولولا كثرة الوحل لدخلوا
اليوم ولكنهم في غد يدخلون فقال نخرج ان شا الله الى لقائهم وتقدم
بتنظيف طرقاتهم من المياه فانها كانت سنة كثيرة الانداء وقد سالت المياه
في الطرق كالانهار وانفصلت عن خدمته ولم اجد عنده من النشاط ما اعرفه منه
ثم ركب يوم الجمعة فركبنا وخرجت عنده تاخرا فرايناه بجهته وقد لقي
الحاج وكان فيهم سابق الدين وقرالا الياروقي وكان كثير الاحترام
للمشايخ قدس الله روحه فلقيهم ثم لحقه الملك الافضل ولده والتقى الجماعة
واستدعاني الملك الافضل لحدثني فنظرت الى السلطان رحمه الله عليه فلم
اجد عليه كزاغنده وما كان له عادة يركب بدونه وكان يوما عظيما
قد اجتمع فيه للقا الحاج والتفرج على السلطان معظم من في البلد فلم
اجد الصبر دون ان سرت الى جانبه وحدثته في اهمال هذا فكانه استيقظ
فطلب الكزاغند فلم يجد الزردكاش فوجدت لذلك امرا عظيما وقلت
في نفسي سلطان يطلب ما لا بد منه في عادته ولا يجده واوقع الله في قلبي
تطيرا بذلك فقلت له رحمه الله ما ثم طريق تسلك ليس فيه خلق كثير يعال

الى ان سار رحمه الله بين البساتين يطلب جهة المنيبع وصرنا في خدمته
وقلبي يرتعد لما قد اوقع في نفسي من الخوف عليه فسار حتى اتى القلعة وعبر
على الجسر الى القلعة وهو طريقه المعتاد وكانت اخر ركباته رحمة الله
عليه وقدس روحه ذكر مرضه رحمة الله عليه
ولما كانت ليلة السبت وجد كسلا عظيما وما انتصف الليل حتى غشيته
حمى صفراوية كانت في باطنه اكثر منها في ظاهره واصبح في يوم السبت
سادس عشر صفر سنة تسع وثمانين متكسلا عليه اثر الحمى ولم يظهر
ذلك للناس لكن حضرت عنده انا والقاضي الفاضل ودخل ولده الملك الافضل
وطال جلوسنا عنده واخذ يشكو قلقه بالليل وطاب له الحديث الى
قريب الظهر ثم انصرفنا والقلوب عنده فتقدم الينا بالحضور على
الطعام في خدمة ولده الملك الافضل ولم يكن للقاضي عادة بذلك فانصرف
ودخلت الى الايوان القبلي وقد مد الطعام وولده الملك الافضل قد
جلس في موضعه فانصرفت ولم يكن لي قوة الجلوس استيحاشا وبكى
في ذلك اليوم جماعة تفاولا بجلوس ولده موضعه ثم اخذ المرض في تزايد
من حينئذ ونحن نلازم التردد في طرفي النهار وندخل اليه انا والقاضي

الناس في النهار مرارا ويعطي الطريق في بعض الايام التي يجد فيها
خفة وكان مرضه في راسه رحمه الله عليه وكان من امارات انتها العمر
غيبة طبيبه الذي كان قد الف مزاجه سفرا وحضرا وراى الاطبا
فصده ففصدوه في الرابع فاشتد مرضه وقلت رطوبات بدنه وكان
يغلب عليه اليبس غلبة عظيمة ولم يزل المرض في تزايد حتى انتهى الى غاية
الضعف ولقد اجلسناه في السادس من مرضه واسندنا ظهره الى
مخدة واحضر ما فاتر ليشربه عقيب شرب تليين الطبع فشربه
فوجده شديد الحراره فشكى من شدة حره فغير وعرض عليه ثانيا
فشكى من برده ولم يغضب ولم يصخب رحمه الله عليه ولم يقل سوى
هذه الكلمات سبحان الله لا يمكن احد تعديل الما فخرجنا انا والقاضي
يقول لي ابصر هذه الاخلاق التي قد اشرف المسلمون على مفارقتها والله
لو ان هذا بعض الناس كان قد ضرب بالقدح راس من احضره واشتد
مرضه في السادس والسابع والثامن ولم يزل متزايدا وتغيب ذهنه
رحمه الله عليه ولما كان التاسع حدثت به رعشة وامتنع من تناول
المشروب واشتد الارجف في البلد وخاف الناس ونقلوا الاقمشة من

الاسواق وغشي الناس من الكابة والحزن ما لا يمكن حكايته ولقد
كنت انا والقاضي الفاضل نقعد في كل ليلة الى ان يمضي من الليل ثلثه او قريب
منه ثم نحضر في باب الدار فان وجدنا طريقا دخلنا وشاهدناه وانصرفنا
والا انصرفنا احواله وانصرفنا وها نجد الناس يرتقبون خروجنا الى
بيوتنا حتى يقرأوا احواله من صفحات وجوهنا ولما كان العاشر من
مرضه حقن دفعتين وحصل من الحقنة راحة وحصل بعض الخف
وتناول من ما الشعير مقدارا صالحا وفرح الناس فرحا شديدا فاقمنا
على العادة الى ان مضى من الليل هزيع ثم اتينا باب الدار فوجدنا جمال الدولة
اقبالا فالتمسنا منه تعريف الحال المتجدد فدخل ثم انفذ الينا مع
الملك المعظم توران شاه جبره الله تعالى يقول ان العرق قد اخذ في ساقيه
فشكرنا الله تعالى على ذلك والتمسنا منه ان يلمس بقية بدنه ويخبرنا
بحاله في العرق فلمسه ثم خرج الينا وذكر ان العرق سابغ فشكرنا
الله تعالى على ذلك وانصرفنا طيبة قلوبنا ثم اصبحنا في الحادي عشر
من مرضه وهو يوم الثلثا السادس والعشرين من صفر حضرنا الباب
وسالنا عن الاحوال فاخبرنا ان العرق افرط حتى نفذ في الفرش ثم في الحصر

ذا نزلت به الارض وان البيس قد نزا بد نزوا بدا عظيما
وحارت العوم واستشعر الاعطاب

ذكر تحليف الملك الافضل الناس

ولما راى الملك الافضل ما حل بابيه وتحقق الياس منه شرع في
تحليف الناس وجلس في دار رضوان المعروفة بسكنا واستحضر
القضاة وعمل له نسخة يمين تختصر محصله للقاصد تتضمن الحلف
للسلطان مدة حياته ولولده بعد وفاته والعقد للناس بان الارض
قد اشتد وما نعلم ما يكون وما نفعل هذا الا احتياطا على جاري
عادة الملوك فاول من استحضر للحلف سعد الدين مسعود اخو بدر
الدين مودود الشحنة فبادر الى اليمين من غير اشتراط ثم استحضر
ناصر الدين صاحب صهيون فحلف وزاد ان الحصن الذي في يده
له وحضر سابق الدين صاحب شيزر فحلف ولم يذكر الطلاق
واعتذر بانه ما حلف به ثم حضر خشترين الهكاري فحلف وحضر
نوشروان الزرزاري وحلف واشترط ان يكون له خبز يرضيه
وحضر علكان ومنكلان وحلفا ثم مد لكوان وحضر الجماعة

واظهروا ولما كان العصر اعيد مجلس التحليف واحضر ميمون القصري
وشمس الدين سنقر الكبير وقالا نحن نحلف بشرط ان لا نسل في
وجه احد من اخوتك سيفا لكن راسي دون بلادك هذا قول ميمون
واما سنقر فانه امتنع ساعة ثم قال انت حلفتني على الط[illegible]
يمينا وانا عليها وحضر سامه وقال ليس لي خبز فعلى اي شي احلف
فرجع محلف وعلق يمينه بشرط ان يعطى خبزا يرضيه وحضر
سنقر المشطوب وحلف واشترط ان يرضى وحضر البكي الفارس
وحلف وحضر ايبك الافطس وحلف واشترط رضاه ولم يحلف
بالطلاق وحضر اخو سيباروخ وحلف واشترط رضاه وحضر
حسام الدين بشارة وحلف وكان متعتبا على هولاء ولم يحضر احد
من الامرا المصريين ولم يتعرض لهم بل حلف هولاء النفر وربما شذ
منهم غير معروف ونسخة اليمين المحلوف بها وفصولها الفصل
الاول انني من وقتي هذا قد اصفيت نيتي واخلصت طويتي للملك
الناصر مدة حياته وانني لا ازال باذلا جهدي في الذب عن دولته
بنفسي ومالي وسيفي ورجالي ممتثلا امره واقفا عند مراضيه

من يحب دولة الملك الافضل علي والله انني في طاعته والذب عن
دولته وبلاده بنفسي ومالي وسيفي واستثل امره ونهيه وباطني
وظاهري في ذلك سوا والله على ما اقول وكيل ثم وصل التحليف هذه
نسخة اليمين المحلوف بها اعني مقاصدها

ذكر وفاته رحمة الله عليه وقدس الله روحه

واحسن خلفه للمسلمين ولما كانت ليلة الاربعا السابع والعشرين
من صفر سنة تسع وثمنين وخمسماية وهي الليلة الثاني عشر
من مرضه رحمه الله عليه اشتد مرضه وضعفت قوته ووقع في
اوايل الامر من اول الليل وحال بيننا وبينه النسا واستحضرت
انا والقاضي الفاضل في تلك الليلة وابن الزكي ولم تكن عادته الحضور
في ذلك الوقت وعرض علينا الملك الافضل ان نبيت عنده فلم يرا
القاضي الفاضل ذلك رايا فان الناس كانوا في كل ليلة ينتظرون نزولنا
من القلعة فخاف ان لا ننزل فيقع الصوت في البلد وربما نهب الناس
بعضهم بعضا فراي المصلحة في نزولنا واستحضار الشيخ ابي جعفر
امام الكلاسه وهو رجل صالح يبيت في القلعة حتى ان احتضر رحمه

الله عليه بالليل حضر عنده وحال بينه وبين النسا وذكره الشهادة
وذكر الله تعالى ففعل ونزلنا وكل منا يود فداه بنفسه وبات في
تلك الليلة رحمه الله عليه على حال المنتقلين الى الله تعالى والشيخ
ابو جعفر يقرا عنده القران ويذكره بالله تعالى وكان ذهنه
غايبا من ليلة التاسع لا يكاد يفيق الا في الاحيان وذكر الشيخ ابو
جعفر انه لما انتهى الى قوله تعالى هو الله الذي لا اله الا هو عالم
الغيب والشهادة سمعه وهو يقول رحمه الله عليه صحيح وهذه
يقظة في وقت الحاجة وعناية من الله تعالى به فلله الحمد على ذلك وكانت
وفاته رحمه الله عليه بعد صلاة الصبح من يوم الاربعا سابع عشرين
من صفر سنة تسع وثمانين وخمسماية وبادر القاضي الفاضل بعد
طلوع الصبح فحضر وفاته رحمه الله عليه ووصلت وقد مات
وانتقل الى رضوان الله ومحل كرامته ولقد حكي لي انه لما بلغ الشيخ
ابو جعفر الى قوله تعالى لا اله الا هو عليه توكلت تبسم وتهلل وجهه
وسلمها الى ربه وكان يوما لم يصب المسلمون والاسلام بمثله منذ فقد الخلفا
الراشدون وغشي القلعة والبلد والدنيا من الوحشة ما لا يعلمها الا

الله تعالى وبالله لقد كنت اسمع من بعض الناس انهم يتمنون فدا من
يعز عليهم بنفوسهم وما سمعت هذا الحديث الا على ضرب من التجوز
والترخص الا في ذلك اليوم فاني علمت من نفسي ومن غيري انه لو
قبل الفدا لفدي بالنفس ثم جلس ولده الملك الافضل للعزا في الايوان
الشمالي وحفظ باب القلعة الا عن الخواص من الامرا والمعممين
وكان يوما عظيما قد شغل كل انسان ما عنده من الحزن والاسف
والبكا والاستغاثة عن ان ينظر الى غيره وحفظ المجلس عن
ان ينشد فيه شاعر او يتكلم فيه فاضل او واعظ وكان اولاده
يخرجون مستغيثين بين الناس فتكاد النفوس تزهق لهول
منظرهم ودام الحال على ذلك الى بعد صلاة الظهر ثم اشتغل
بتغسيله وتكفينه فما مكنا ان ندخل في تجهيزه ما قيمته حبة
واحدة الا بالقرض حتى في ثمن التبن الذي يلبن به الطين وغسله
الدولعي الفقيه فلم يكن لي قوة تحمل ذلك المنظر واخرج بعد صلاة
وندبت الى الوقوف على غسله
الظهر رحمه الله عليه في تابوت مسجى بثوب فوط وكان ذلك وجميع
ما احتاج اليه من الثياب في تكفينه قد احضره القاضي الفاضل من وجه حل عرفه

وارتفعت الاصوات عند مشاهدته وعظم الضجيج حتى ان
العاقل يتخيل ان الدنيا كلها تصيح صوتا واحدا وغشي الناس من
البكا والعويل ما شغلهم عن الصلاة وصلى عليه الناس ارسالا
وكان اول من ام بالناس القاضي محيي الدين بن الزكي ثم اعيد رحمه
الله عليه الى الدار التي في البستان وكان متمرضا بها رحمه الله
عليه ودفن في الصفة الغربية منها وكان نزوله في حفرته قدس
الله روحه ونور ضريحه قريبا من صلاة العصر ثم نزل في اثنا
النهار ولده الملك الظافر وعزا الناس فيه وسكن قلوب الناس
وكان الناس قد شغلهم البكا عن الاشتغال بالنهب والفساد
فما يوجد قلب الا حزين ولا عين الا باكية الا من شا الله ثم رجع
الناس الى بيوتهم اقبح رجوع فلم يعد منهم احد في تلك الليلة الا
انا حضرنا وقرانا وجددنا حالا من الحزن واشتغل ذلك اليوم
الملك الافضل بكتب الكتب الى عمه واخوته يخبرهم بهذا الحادث
وفي اليوم الثاني جلس للعزا جلوسا عاما واطلق باب القلعة
للفقها والعلما وتكلم المتكلمون ولم ينشد شاعر ثم انفض المجلس

فطهره ذلك اليوم واستمر الحال في حضور الناس بكرة وعشية
لقراءة القرآن والدعا له رحمه الله عليه واشتغل الملك الافضل
بتدبير امره وقراسل اخوته دعة ثم انقضت تلك
ثم انقضت تلك السنون واهلها فكانها وكانهم احلام
وصلى الله على سيدنا محمد وسلم واله هذا اخبار الملك الناصر
المظفر يوسف بن ايوب رحمه الله عليه فرغت من جمعها يوم وفاته
رحمه الله عليه وقصدت بذلك وجه الله تعالى في حث الناس على
الترحم عليه وذكر محاسنه والله يحسن خلافته من بعده ويجزيه
ما هو اهله بمحمد واله وحسبنا الله ونعم الوكيل
قال مولانا الصاحب المصنف اكرم الله
المصون علوه ذكر المدن التي يسر الله فتحها على يديه رحمه الله عليه من
ديار الفرنج خذلهم الله تعالى من سنة ثلث وثمنين الى سنه ست
وثمنين طبريه على نهر الاردن بالسيف عكا على البحر
الكبير بالامان حيفا على البحر بالامان الناصرة التي تنسب
اليها النصارى الرملة قيسارية بالسيف

ارسوف بالامان يافا بالسيف من نهار عسقلان بالامان
غزة بالامان الداروم صيدا على البحر بيروت بالامان
جبيل هونين جبلة تبنين انطرطوس دون الحصن خربها
بالسيف وقلعتها بالامان اللاذقية من بيتها بالسيف وقلعتها بالامان
الشقيف صهيون القدس الشريف طهره الله تعالى نابلس
البيرة بارض القدس صفورية الطور حصن دبورية
الفولة حصن عفربلا حصن جينين سبسطية كوكب
حصن عفرى شمالي القدس بيت لحم حصن الحارثية بارض
القدس البرج الاحمر قريبا منه حصن الخليل عليه السلم
بيت جبرين تل الصافية حصن مجدل يابا قلعة الجب
العوفاني الجيب التحتاني النطرون الحصن الاحمر
لد بارض الرملة قلنسوة قريبا منها يبنا الفاقون
والقيمون قلعة الكرك بعد حصار سنة ونصف قلعة الشوبك
بعد حصار سنتين قلعة السلع الوعيرة قلعة الجع
قلعة الطفيلة قلعة الهرمز جميع ذلك في وادي موسى والسراه

قلعة صفد حصن بارد شقيف ارنون حصن اسكندرونة
بين صور وعكا قلعة اي الحسن بارض صيدا صيد الضيا
حصن بلده بالساحل الاعلى المرقب على البحر
حصن كمور بارض عكا بالثبات بين جبله والمرقب صهيون
بلاطنس حصن الجماهرية قلعة البيرة بكاس
الشغر بكسرايل الشهابية قلعة برزية
دربساك بغراس قريبا من انطاكية الدانور بارض بيروت
السوفند قريبا من صيدا لحج والحمد لله رب العالمين
وصلواته على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم ووافق الفراغ منه في ...
رجب المبارك سنة ... وعشرين وستمائة على يد العبد الفقير الى ... ...

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين
الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده
اللهم صل على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم

وحسبنا الله ونعم الوكيل

... نظرت ... الله ...

... العقد ... ولد ... الدعاء
داعيا لمالكه ... ولا ...

٢٣٦

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم
اللهم صل على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم

فهم في بطون الارض بعد ظهورها محاسنهم فيها بوال دوائر
خلت دورهم منهم واقوت عراصها وساقتهم نحو المنايا المقادر
وخلوا عن الدنيا وما جمعوا لها وضمهم تحت التراب الحفائر

... ... الاجماع
واني اذا ما ... حذارا ... العقل
لا ... الذي انا عالم ... فعل اللبيب المغامر
... ... عليه ... ...
... ... الدنيا والاخادع

... ...

اخرة ٤٣١

وما فارس يشرع ميدان فضة يجرجر اذيال كطير الجناديس

وتركب في يوم الطعان اسنة منعلة يشعر مشي العرايس